كراسات مستقبلية

سلسلة غير دورية تصدرها المكتبة الأكاديمية تعنى بتقديم الاجتهادات الفكرية والعلمية ذات التوجه المستقبلى

رئيس التحرير أ.د. أحمد شوقى مدير التحرير أ. أحمد أمين

المراسلات :

المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية
راس المال المصدر والمدفوع ٩,٩٧٣,٨٠٠ جنيه مصرى
١٣١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة
القاهرة - جمهورية مصر العربية
تليفون : ٧٤٨٥٢٨٢ - ٣٣٦٨٢٨٨ (٢٠٢)
فاكس : ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية
الحاصلة على شهادة الجودة
ISO 9002
Certificate No.: 82210
03/05/2001
UKAS QUALITY MANAGEMENT

تحديات الدور المصرى وآفاق المستقبليات ...

ما بين التنبؤ ... والنبوءات !

[دراسة من منظور لغويات التفاوض]

obeikandl.com

obeikandl.com

تحديات الدور المصرى وآفاق المستقبليات ...

ما بين التنبؤ ... والنبوءات ! ..

[دراسة من منظور لغويات التفاوض]

تأليف

د. حسن محمد وجيه

خبير لغويات التفاوض والحوار الدولى

الناشر

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

٢٠٠٣

obeikandl.com

obeikandl.com

حقوق النشر

الطبعة الأولى ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ

حقوق الطبع والنشر © جميع الحقوق محفوظة للناشر :

المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية
رأس المال المصدر والمدفوع ٩,٩٧٣,٨٠٠ جنيه مصرى
١٢١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة
القاهرة - جمهورية مصر العربية
تليفون : ٧٤٨٥٢٨٢ - ٣٣٦٨٢٨٨ (٢٠٢)
فاكس : ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة
كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من الناشر .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

إهداء

« ... عاهدت نفسي أن أكد لتنعمى

وأخوض أخطار الحِمام لتسلمى

فإذا حييت فإن ذكرك فى فمى

وإذا قضيت فقد فديتك بالدم ...» .

إلى مصر التى فى خاطرى وفى دمى ..

إلى كنانة الله فى أرضه ....

إلى كل جنودها فى المجالات المختلفة

الذين هم فى رباط إلى يوم الدين ...

وإلى كل ذوى العقول المنصفة فى عالمنا

أهدى هذا الجهد المتواضع وكل جهد ...

وأدعو الله تعالي أن يجعل منه علماً ينتفع به

إنه هو السميع العليم وهو وحده المستعان» .

ولا يسعنى إلا أن اتقدم بخالص الشكر العميق لأسرة هذه السلسلة القيمة ، وأخص بهذا الشكر أ.د. أحمد شوقى وأ. الفاضل أحمد أمين والأخين الكريمين أ. حاتم محمد حفنى و أ. محمد صالح حامد لجهدهما المشكور فى تدقيق هذا العمل ولأرائهما المشجعة لى ...

obeikandl.com

obeikandl.com

هذه السلسلة

تزايدت فى السنوات الأخيرة ، عمليات إصدار كراسات تعالج فى مقال تفصيلى طويل (Monograph) موضوعاً فكرياً أو علمياً هاماً . وتتميز هذه الكراسات بالقدرة على متابعة طوفان الإتجاهات والمعارف الجديدة ، فى عصر يكاد أن يحظى باتفاق الجميع على تسميته بعصر المعلومات .

تعتمد هذه الميزة على صغر حجم الكراسات نسبياً بالمقارنة بالكتب ، وتركيز المعالجة وتماسك المنهج والإطار . ولأهمية الدراسات المستقبلية فى هذه الفترة التى تشهد تشكيلاً متسارعاً لملامح عالم جديد ، سعدت بموافقة المكتبة الأكاديمية وحماسة مديرها العزيز الأستاذ / أحمد أمين لإصدار « كراسات مستقبلية » كسلسلة غير دورية مع تشريفى برئاسة تحريرها .

والملامح العامة لهذه السلسلة ، التى تفتح أبوابها لكل المفكرين والباحثين العرب، تتلخص فى النقاط التالية :

انطلاق المعالجة من توجه مستقبلى واضح (Future-oriented) أى أن يكون المستقبل هو الإطار المرجعى للمعالجة ، حيث يستحيل إستعادة الماضى ، ويعانى الحاضر من التقادم المتسارع بمعدل لم تشهده البشرية من قبل .

الالتزام بمنهج علمى واضح يتجاوز كافة أشكال الجمود الإيديولوچى ، مع رجاء ألا تتعارض صرامة المنهج مع تيسير المادة وجاذبية العرض .

الإبتكارية Creativity المطلوبة فى الفكر والفعل معاً ، فى زمان صارت النصيحة الذهبية التى تقدم فيه للأفراد والمؤسسات : تجدد أو تبدد Innovate or evaporate !!

الإلمام العام بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية ، التى تعد قوة الدفع الرئيسية فى تشكيل العالم ، مع استيعاب تفاعلها مع الجديد فى العلوم الاجتماعية والإنسانية، من منطلق الإيمان بوحدة المعرفة .

مقارنة الموضوعات المختلفة سواء أكانت علمية أو فكرية مؤلفة أو مترجمة ، من منظور التنمية الشاملة والموصولة أو المستدامة Comprehensive and Sustainable Development ، التى تتعامل مع الإنسان كجزء من منظومة الكوكب ، بل والكون كله .

كراسات هذه السلسلة تستهدف تقديم رؤيتنا لمستقبل العالم من منطلق الإدراك الواعى لأهمية التنوع الثقافى ، التى لا تقل عن أهمية التنوع البيولوجى الذى يحتفى به أدبيات التنمية الموصولة . إننا نقدم رؤيتنا كمصريين وعرب ومسلمين وجنوبيين للبشرية كلها دون ذوبان أو عزلة ، فكلاهما مدمر ومستحيل .

هذه الكراسة

هى الثالثة بين إسهامات الدكتور حسن وجيه ، الأستاذ بكلية الترجمة ، جامعة الأزهر ، وخبير لغويات التفاوض والحوار الدولى . وهو ينطلق فيها من مصريته الخالصة وإنتمائه العربى/ الإسلامى القوى ، ليوضح تحديات الدور المصرى فى ضوء مصطلحات ومناهج الدراسات المستقبلية ، واصفا رؤيته المتميزة فى إطار ومنظور لغويات التفاوض . وفى سبيل ذلك ، يقدم نماذجاً دالة فى تحليل خطابنا وخطاب غيرنا ، ويشير إلى عناصر التواصل عبر الثقافات فى مقابل نبوءات الصدام ، التى تنذر فى أسوأ أشكالها بنهاية العالم . وفى استعراض لواقع الدراسات المستقبلية المتواضع فى مصر والعالم العربى ، يستحثنا بقوة إلى دعم هذه الدراسات ، التى صارت من عناصر القوة المؤكدة لدى غيرنا من الأمم . إن مشروع الكراسات يسعده أن يقدم هذه الدراسة البديعة ، متمنيا لصاحبها المزيد من العطاء .

يناير ٢٠٠٣

د. احمد شوقي

obeikandl.com

المحتويات

الموضـــــوع	صفحة
تمهيد	١٥
أسئلة الدراسة	١٧
أولاً : ألوان الطيف فى تعريفات «مجال المستقبليات» فى الواقع الغربى	١٨
ثانياً : ماذا عن الخريطة الذهنية لأهم المفاهيم المحورية فى مجال المستقبليات ؟ وهل من مستويات أو دلالات معينة لهذه المفاهيم من حيث الممارسات الثقافية من بلد إلى آخر ؟! وماذا عن فهم الواقع الثقافى العربى الإسلامى لهذه المفاهيم	٢٠
* (١) ماذا عن مفهوم «المستقبل» ذاته ؟	٢٠
* صورة ألعاب الملاهى	٢٠
* صورة النهر الضخم	٢٠
* صورة المحيط العظيم	٢٠
* صورة لعبة الزهر	٢١
* (٢) ماذا عن مفهوم «المستقبل ودراسته» فى العقل العربى ؟	٢٢
* ابن خلدون والتشوف المستقبلى .	٢٣
* ماذا عن الفهم القيمى لمفاهيم المستقبليات فى واقعنا العربى ؟!	٢٤
* تنوعات أساليب الإخبار عن المستقبل فى القرآن الكريم وأمر الصيغة الفاعلة :	٢٤
(١) اسلوب المزج بين الإخبار عن المستقبل وأمر تبنى الصيغة الفاعلة من قبل الإنسان .	٢٤
(٢) اسلوب الإخبار المستقبلى عن آيات الله وقدرته سبحانه لتحدى الماديين والكفار الذين لا يؤمنون بعظمة الخالق وقدرته ولا يوقنون آياته ودلائل عظمة خلقه وتدبيره لكل صغيرة وكبيرة فى هذا الكون .	٢٥
(٣) أسلوب الإخبار المستقبلى عن استمرار كشف الله سبحانه وتعالى عن محدودية علم الإنسان حتى لا يغتر ويتواضع لله وللبشر .	٢٥
(٤) أسلوب الإخبار بالمستقبل لطمأنة المؤمنين الذين «يستعينوا بكيد الله الطيب لمواجهة كيد الكائدين» .	٢٥
(٥) المستقبل – إذن – يتطلب إعداد القوة والأخذ بالأسباب كلها .	٢٦

obeikandl.com

* ماذا عن أهم المفاهيم التقنية الأساسية فى مجال المستقبليات ودلالاتها المهمة لفهم طبيعة المجال برمته ؟! ٢٧
- الفرق بين التنبؤ المستقبلى المؤكد (Prediction) والاحتمالى (Forecast) . ٢٧
- السيناريو وأنواعه . ٢٨
- تحليل الخاصية (TREND Analysis) . ٢٨
- النبوءة (Prophecy) . ٢٨
* عناصر وضع وصياغة التنبؤ الاحتمالى : المنظور التقنى . ٢٩
* العالم بين ما يعرفون ومن لا يعرفون ... ٢٩
١- الإدارة بالسيناريو SCENARIO MANAGENT ٣٠
٢- الخريطة الذهنية لأهم خطوات عملية التنبؤ الاحتمالى لفهم تداعيات موقف تفاوضى ما (FORECAST) . ٣١
٣- تقنية مصفوفة التأثير والتأثر المتبادل ما بين المستقبليات والتفاوض CROSS - IMPACT ANALYSIS . ٣٢
٤- قائمة بتقنيات حيوية أخرى ما بين المستقبليات ولغويات التفاوض ٣٥
* التحليل الإرتجاعى للأصول REGRESSION ANALYSIS ٣٥
* ديناميكية النظم SYSTEM DYNAMICS ٣٥
* المقارنة التاريخية HTSTORICAL ANALOGIES ٣٦
* النمذجة الحاسوبية والمحاكاة COMPUTER MODELING and SIMULATIONS ٣٦
* تحليل الحجج كأساس لبناء السيناريو ARGUMENTATION ANALYSIS ٣٦
* تحليل الأسئلة وإدارة المقابلات QUESTION ANALYSIS ٣٦
* تحليل التواصل عبر الثقافات وإدارة الاختلافات الثقافية MANGING CULTURAL DIFFERENCES . ٣٧
* دلالات لتحديات الدور المصرى . ٣٧
* ثالثاً : من يقوم بممارسة المستقبليات ؟ وماذا عن واقعنا الثقافى فى هذا الصدد ؟! ٣٨
* صور الممارسة بين الواقعين الدولى والواقع العربى . ٣٩
(أ) ما بين التنبؤ والنبوءات . ٣٩
(ب) ما بين العرّاف والمنجم وعالم المستقبليات والمخطط الاستراتيجى !! ٤٠
(جـ) ما بين خبراء المستقبليات وبرامج الأبراج والبلورة السحرية . ٤٠

obeikandl.com

* رابعاً : ماذا عـن مساحات التفاوض المهجورة على الصعيد الثقافى الداخلى ؟! وماذا عما يتعلق بتطور مشروعات أو مجامع الفكر المستقبلى الدولية ؟ ٤٠
- ماذا عن الأبعاد المفتقدة التى لا تزال من أكبر عوائق تدشين مجامع فكرية مستقبلية كبرى فى واقعنا الثقافى العربى ليكون من شأنها استباق ومنع وإدارة الأزمات من ناحية والسعى لتحقيق أجندتنا الوطنية من خلال فكر وثقافة التفاوض الإيجابى والاداة بالسيناريو ؟! ٤٠
* مفاوضات الجات كمثال لمساحات التفاوض المهجورة ! ٤٤
* الرؤية البحثية التكاملية المقترحة فى إطار المشروع العربى الإسلامى الذى ينبغى وأن يكون . ٤٦
* الفكر الإسلامى المعاصر وتحديات التعاون والصراع .. ٤٨
* الاخلاقيات الكوكبية . ٤٩
١- نموذج حدود النمو ... ٤٩
٢- مشروع معهد ماستشوسيتس للتكنولوجيا والمعروف باسم «الإنسانية عند نقطة تحول» ... ٥٠
٣- مشروع الأرجنتين المعروف بنموذج بارليوتش . ٥١
٤- تقرير عام ٣٠٠٠ الكوكبى . ٥١
٥- دراسات ومشاريع الأمم المتحدة : رؤية مسحية ونقدية ٥١
* ماذا عن المشروع العربى الإسلامى الذى ينبغى وأن يكون ؟! ٥٣
* العوائق الثقافية بين «نازلة تخلف البحث العلمى» ونازلة تغيب القوة البحثية العربية عن التفعيل المطلوب . ٥٥
* معضلة التغلب على هرم الفجوات الثلاثة فى واقعنا الثقافى . ٥٦
* خامساً : تحديات الدور المصرى وآفاق المستقبليات بين الصعب والمستحيل ٥٧
(١) الأولوية للتفعيل الأقصى لإمكانات الدور المصرى من خلال «رفع الأداء الثقافى العلمى العام إعلامياً وتعليمياً ببرامج تشغيل جديدة NEW SCIENTIFIC CULTURAL SOFTWARE ٥٨
* ما بين صدمة المستقبل وصدمات «المناخ العلمى فى واقعنا الثقافى .. ٦٦
(٢) تحديات الدور المصرى والنظريات الحاكمة للتفاعلات الدولية وصراعات الألفية الثالثة . (رؤية مستقبلية لحالة السيولة فى النظام الدولى ونظرياته .. ٦٨
* نظرية «صدام الحضارات» . ٧٠
* نظرية التكتلات الاقتصادية والإقليمية. ٧١

* نظرية التبعية الإقتصادية ٧٢
* فكر البلقنة والشرق أوسطية ٧٤
* البلقنة والشرق أوسيطة والإرهاب ٧٥
* نحو نظرية حاكمة من واقعنا ٧٧
(٣) تحديات الدور المصرى بين مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى وسيناريوهات الإسلام والغرب : ما بين التنبؤ المستقبلى و«التنبؤات الدينية القادمة من الغرب» !! ٧٩
* الفرق الكبير فى أدبيات النبوءات بين التطرف الغربى والواقع العربى الإسلامى . ٨٠
(أ) المتطرفون ممن تم تسميتهم فى أدبيات الغرب «بالمسيحيين المتصهينيين» ومحاولتهم لتصعيد البعد الدينى ودفع العالم «لحروب دينية» .. «وكتاب النبوءة والسياسة لجريس هيلسيل . ٨١
(ب) ماذا عن النبوءات الغربية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ؟! وكيف رأينا من يتنبأ «بصدام» و«بن لادن» ! ٨٥
(جـ) أهم أدبيات النبوءات : قراءة نقدية أولية . ٨٥
– عن كتاب «معركة هرمجدون وتأسيس مملكة الرب فى التوراة والإنجيل والقرآن» (جيزن كارلوتا) . ٨٦
– عن كتاب نهاية العالم للشيخ متولى الشعراوى .
– عن كتاب «أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين ، للشيخ عبد العزيز السيروان . ٨٦
* خلاصة القول فى فكر النبوءات المقارن: دلالات لمنطلقات الدور المصرى . ٨٨
(٤) تحديات الدور المصرى وإدارة سيناريوهات العولمة والسعى لإيجاد صيغ جديدة للعمل الجماعى والعربى المشترك وللتفاعل على الساحة الدولية فى ظل سياقاتها الآخذة فى التركيب . ٨٩
– مفهوم التفاوض النضالى وأمثلة معبرة عن تحديات الدور المصرى فى سياق مثلث التفاعلات الدولية الأساسية (الأمم المتحدة – البنك الدولى – صندوق النقد الدولى) ٩١
– (أ) العولمة فى مرآة التفاوض . ٩٢
– (ب) مصر ومعركة التفاوض مع صندوق النقد الدولى : رؤية للمستقبل من عام ١٩٩٤ . ٩٩
– (جـ) الأجندة التعليمية ... رؤية مستقبلية ١٠٣
[حالة التفاوض النضالى فى سياق اجندات البنك الدولى وخارجها]

٥- تحديات الدور المصرى ومهمة تفكيك «نظام الحرب الجائرة» وتحديات عملية التواصل عبر الثقافات : نحو المشروع المصرى العربى لاستشراف وتفعيل المستقبل الدولى . ١٠٨
* إدعات هنتينجتون تؤدى إلى تفكيك أمريكا وفوضى فى العالم ! . ١٠٩
* نحو تحرك عربى إسلامى لتفكيك «نظام الحرب الجائرة» . ١١٣
٦- تحديات الدور المصرى والتفعيل الأقصى لفكر المستقبليات وتحديات التواصل عبر الثقافات من خلال القنوات الأكاديمية والإعلامية المتاحة والسعى لتدشين القنوات الأكثر تأثيراً وذات الوصول إلى الساحة الدولية . ١١٩
- العرب أكبر قوة إعلامية فى العالم ! ١٢٠
* خاتمة مصر والعرب وسيناريوهات أربع . ١٢٣
ملاحق الدراسة

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيـــد

إذا كان من الضرورى والملح اليوم أن نقوم بتفعيل أقصى طاقات للدور المصرى عربياً وإسلامياً ودولياً فإن هذا لا يمكن إلا وأن يكون على أساس علمى وهذه الدراسة التى نقوم بها من منظور لغويات التفاوض تسعى إلى طرح خمسة أسئلة أساسية وأولية نجيب عنها فى اجزاء الدراسة الخمسة وتتعلق بالبحث فى المستقبليات وآفاقها ... فتبدأ بطرح ما المقصود بالتعريفات التى أطلقت على مجال المستقبليات ، والتى فى واقعها تخبرنا وبوضوح عن ألوان الطيف المتعددة التى تعكس توجهات العاملين بهذا الحقل ، كما أنها توضح مستويات التنبؤ العلمى الاخلاقى الذى هو فكر بحاجة إلى الانتشار علمياً وتعليمياً وإعلامياً . ولكن علينا أن ندرك أن هذه مهمة صعبة فى حد ذاتها ولكن ما قد ينقلها من حالة الصعوبة إلى حالة الاستحالة يتمثل فى محاولة البعض اليوم تهميش التنبؤ الذى من شأنه أن يصلح عملية إتخاذ القرار الدولى المتشابك فى عالم القرية الواحد واستبداله بفكر الصدام و«النبوءات» (prophecies) والسعى لتفعيلها لتكون حرباً دينية» تعود بالبشرية إلى الوراء لقرون طويلة بدلاً من الأخذ بالأسباب لرفعة قدر انسان هذا العصر واشاعة النماء والإعمار المشترك بين ثقافات العالم والتى تمثل عملية التواصل فيما بينها صعوبات تقنية لابد من اشاعتها ونشرها لصالح ادارة الثقافات لاصدامها المقصود أو غير المقصود بحكم اختلاف الرؤى والقيم ... وهذا أمر معقد يحتاج إلى العلم والتدريب والاعلام ... كذلك تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بأهم المفردات المتعلقة بمفهوم «المستقبل» وكيف ينظر إليها بمستويات وزوايا تحليلية متعددة داخل الثقافات وعبرها ... وكان لازماً علينا أن نوضح حجم الاشارات المتناقضة والمتضاربة التى تصدر منا للأخرين بخصوص فكر المستقبليات من المنظور الإسلامى الصحيح .. وتعد هذه الدراسة استكمالاً لدراسة سابقة عن إدارة سيناريوهات الإسلام والعرب نشرتها المكتبة الأكاديمية فى إطار جهودها المتميزة لنشر ثقافة المستقبل التى يشرف عليها كل من أ.د. أحمد شوقي وأ. أحمد أمين – وتحاول الدراسة رصد نوعيات الممارسين لمجال المستقبليات وطرح رؤية نقدية لنوعية الممارسة فى واقعنا العربى الإسلامى وأن نرصد هنا تلك المساحات المهجورة من تواجدنا الفعال على صعيد الدراسات والممارسات المرتبطة والمؤسسة عليها ، وهنا نرصد مراحل تطور مشروعات استشراف المستقبل الدولية ، ونقدم رؤية نقدية فى هذا الإطار .

ثـــم نحاول فى الجزء الأخير من هذه الدراسة أن نحـدد عناصر ومتطلبات تفعيل أقصى طاقات للدور المصرى الذى عادة ما ينطلق لصالح البعد الإنسانى بحكم القيم المحـــركة لـــه عبر التاريخ الطويل ... وهنا نقدم رؤية نقدية واجبة لاوجه الخلل التـــى ينبغى تداركها – ونتعرض لملامحها العديدة فى ثنايا هذه الدراسة – وذلك مـــن خلال طرح وتدشين ما اسميه بالبرنامـــج الثقافـــى العلمى الجديد

The New Scientific-Cultural Software. ، واوضح ما المقصود بهذا «البرنامج» وملامحه وكيف أنه يرتبط بأمور حيوية متعددة لابد من احداث التوافق الجماعى من خلال عمليات التفاوض المجتمعى عليها كأحد المنطلقات الرئيسية لتفعيل الدور المصرى على عدة محاور مطلوبة بشكل بالغ الأهمية خاصة فى ظل هذه الظروف البالغة الصعوبة التى يعيشها العالم كله وخاصة أمتنا العربية الإسلامية ... وأهمية فكر وممارسات الإدارة بالسيناريو وبالعلم وتفعيل أقصى طاقات القوة البحثية المصرية التى ينبغى وأن تستنفر كل طاقاتها الخلاقة للتعامل مع أوضاع هى غاية فى الصعوبة والتركيب . وفى النهاية أدعو الله تعالى أن يجعل من هذا الجهد علماً ينتفع به وأن يعيننا ويعين مصرنا الغالية على القيام بدورها الرائد دائماً بعون وفضله لخدمة الوطن وهذه الأمة العربية الإسلامية وبشرية هذا العالم بما تملكه من طاقة وإمكانات ... والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

المؤلف

د. حسن محمد وجيه

القاهرة ديسمبر ٢٠٠٢

أسئلة الدراسة :

أولاً : ماذا عن مصطلحات المستقبليات ؟ أى ماذا عن توضيح مستويات الدلالة لهذا المصلح كضرورة لفهم التوجهات المتعددة التى قصدها المعنيون بهذا المجال الحيوى ؟

وهنا سنقدم مناقشة موجزة للمصطلحات التالية بالإنجليزية والتى استخدمت لوصف هذا المجال :

(*) "Future studies" ← (أى الدراسات المستقبلية)

(*) "Future Research" ← (أى الأبحاث المستقبلية)

(*) "Future Field" ← (مجال المستقبلية)

(*) "Probabalistics" ← (الاحتماليانية)

(*) "Future planning" ← (التخطيط المستقبلى)

(*) "Futurography" ← (صورة المستقبل)

(*) " Futury" ← (على وزن "History" أى المستقبل كإمتداد للتاريخ)

(*) "Decision Option Anlysis" ← (تحليل الاختيارات لاتخاذ القرار)

(*) "Projetive Research" ← (البحث الاسقاطى)

(*) "Alternative Analysis" ← (تحليل البديل/ البدائل)

(*) "prognostics" ← (أدوات وطرق التكهن)

(*) "Futurism" ← (فلسفة المستقبل)

(*) "Futureible" ← (المستقبلات البديلة)

(*) "Futur istics" ← (الدراسات والأبحاث والتحليلات المستقبلية)

ثانياً : ماذا عن الخريطة الذهنية لأهم المفاهيم المحورية فى مجال المستقبليات ؟ وماذا عن دلالات هذه المفاهيم فى سياق الثقافات المختلفة ؟ وماذا عن خصوصيتها فى الواقع الثقافى العربى ؟

ثالثاً : من يقوم بممارسة المستقبليات ؟ وماذا عن الممارسات الثقافية المختلفة بصفة عامة وفى واقعنا الثقافى بصفة خاصة فى هذا الصدد ؟

رابعاً : ماذا عـــن مساحات التفاوض المهجورة فيما يتعلق بعبور هرم الفجوات الثلاثة (فجـــوة رد الفعل المتأخر) وتدشين برنامج ثقافـى علمى جديد

New Scientific Cultural Software ؟ ... وماذا عن تطور مجامع الفكر المستقبلى الكبرى فى العالم وماذا عن الأبعاد المفتقدة التى لا تـزال حائلاً دون تدشين مجامع فكرية مستقبلية كبرى فى واقعنا الثقافى العربى يكون من شأنها إدارة واستباق ومنع الأزمات والنوازل من ناحية وتحقيق الأجندة الوطنية مـن خلال فكر ثقافة التفاوض الإيجابى والإدارة بالسيناريو من الناحية الأخرى ؟

خامساً : ماذا عن تحديات الدور المصرى وخصوصيته من حيث الإسهام الفعال المطلوب فى تفعيل المستقبل الدولى والمشاركة فى ذلك بلغة التفاوض الإيجابى عبر الثقافات وأساليب الإدارة بالسيناريوهات لتحقيق أجندتنا الوطنية ، على المحاور المختلفة وفى إطار محاور ينبغى وأن يكون لنا فيها الإسهام الدولى المتميز بحكم خصوصية هذا الدور المصرى ؟

أولاً : ألوان الطيف فى تعريفات «مجال المستقبليات» فى الواقع الغربى

نحاول فى هذه الجزئية أن نتناول السؤال الأول فى قائمة أسئلة الدراسة وهو :

* ماذا عن مفهوم / مصطلح المستقبليات كضرورة لفهـم التوجهات المتعددة أو المتشابهة من قبل المعنيون بهذا المجال ؟

لقد تم إجراء استقصاء "poll" فى السبعينيات[1] على ماذا ينبغى الاستقرار عليه فيما يتعلق بالمصطلحات التى رصدناها فى السؤال الأول فى قائمة أسئلة الدراسة ولقد كانت نتائج الاسقتصاء هى :

١ – أنه ليس هناك إجماع على التسمية الدقيقة للمجال .

٢ – أن المعنيين يريدون كلمات مميزة لهذا المجال إلا أن المشكلة دلالات كل لفظ المختلفة عن الأخرى وبالتالى التى ترى زاوية فى مصطلح وزاوية أخرى فى مصلح آخر من الـ ١٤ التى رصدناها .

٤ – أن العنوان الاصطلاحى الواحد يعد مقتضب ولذلك من الأفضل وجود عدة مفردات للاشارة إلى التقسيمات المختلفة لمجال المستقبليات .

... وبعد مداولات واستقصاءات أخرى أجمع المعنيون على أن أفضل المصطلحات تتمثل فى مصطلحى «الدراسات المستقبلية» أو «الأبحاث المستقبلية» Futurc Ressarch ... من ناحية ومصطلح Futur isttics من الناحية الأخرى هى الأدق (من ناحية الاجماع فى ذلك الاستقصاء) .

ثم استقر الأمر على المصطلح الأخير Futuristics للأسباب التالية :

(١) قامت جمعية مستقبليات العالم World Future Society بإجراء هذا الاستقصاء فى عام ١٩٧٥ .

١- أنها كلمة واحدة موجدة وحاوية وأسهل فى الاستخدام وتعبر عن مكنون متعدد يشمل «التحليل المستقبلى» والدراسات أو الأبحاث المستقبلية .

٢- أن تعبير "FUTURESTICS" لا يقصر المجال على الأنشطة العلمية البحثية الصارمة فقط ، لأن من فضائل كلمة «المستقبل» .. أن لكل انسان نصيب معلوم فيها .. وكل إنسان يمكنه لعب دور فى مستقبله ... وبالتالى فإن تعبير «علم المستقبل» Futuroloy يظل قاصراً ... وليس معبراً عن ألوان الطيف فى هذا المجال .

٣- أن كلمة Futuristics تجنبنا مشكلة "S" الملكية فى كلمتى Future Studies أم "Future's studies" أى اللبس الناتج من تعبير «الدراسات المستقبلية» أم دراسات «المستقبلات» .

٤- أن مقطع "ics" يعنى مجال بأكمله ... وأنشطة متعددة فى إطاره ...

٥- أما أفضلية تعبير Futuristics على تعبير Futurism أن الأخير يعبر عن مفهوم فلسفى .. أى فلسفة المجال أو اسلوب التناول فيه فقط ... لذلك كانت الأولى أحوى لأنها تتضمن وجود فلسفات لتناول المجال .

٦- كذلك فإن تعبير "Prognostics" يقصر الفهم على أدوات وطرق تحليل المستقبل فقط .. وكلمة Futurible أيضاً تقصر المعنى على أى تصورات وتطورات ممكنة للمستقبل .

الخلاصة أن كلمة "Futuristics" التى يصعب ترجمتها فى كلمة واحدة على وجه الدقة إلا أنها تعنى الكلمة التى أصبحت مستقرة للإشارة إلى كل مجال «المستقبليات» أى ذلك المجال الذى يتسع للمفاهيم التالية.:

(١) طرق تحليل التكهن بمسارات المستقبل .

(٢) تقديم سيناريوهات مستقبلية .

(٣) الإشارة إلى بنك للبدائل المستقبلية المتاحة .

(٤) الاستعانة بأصحاب الرؤوى Visionists وهم ليس من الشرط من الباحثين أو العلماء بل هم أناس لهم فطرية خاصة وكارزما خاصة تمكنهم من التكهن أو التنبؤ .

(١) راجع كتاب صادر عن جمعية مستقبليات العالم بعنوان «دراسة المستقبل : مقدمة فى فن وعلم فهم وتشكيل عالم الغد» .
The Study of the Future: An Introduction to undesstanding and shaping Tomorrow's world, published by world future society, Maryland, U. S. A 1977.

obeikandl.com

(٥) المجال يعين الدراسة الحاسوبية والحسابية للتطورات التكنولوجية أو المجتمعية أو الاقتصادية ... وتقييم نتائج مثل هذه الدراسات[١] .

لذلك يُعد تعبير الـ Futuristics حاوياً للعلم والفن والحدس . وللأخلاقيات التى ينبغى وأن تتوفر فى أى مجال انسانى – خاصة المستقبليات – وللتعامل مع أنماط وأنشطة التفكير وعلاقاتها بالواقع المعاشى .

ثانياً : ماذا عن الخريطة الذهنية لأهم المفاهيم المحورية فى مجال المستقبليات ؟ وهل من مستويات أو دلالات معينة لهذه المفاهيم من حيث الممارسات الثقافية من بلد إلي أخر ؟! وماذا عن فهم الواقع الثقافى العربى الإسلامى لهذه المفاهيم ؟

١- ماذا عن مفهوم «المستقبل» ذاته (Future) ؟

مفهوم «المستقبل» ذاته موضع رؤى مختلفة عبر الثقافات وفى داخل كل ثقافة ... ومن التمارين التى تقدم للطلاب فى كورسات تدريس المستقبليات هو وضع أربع صور لفهم المستقبل لكى تبدأ من خلال مدركات الطلاب الحلقة التدريبية والمناقشات ... ولعل من المفهم رصد هذه الصور الأربعة وهى :

(أ) صورة ألعاب الملاهى

أى إن المستقبل مثل «سكك حديد الملاهى» التى يركبها رواد الملاهى فتتحرك بهم القاطرة من فوقها لتدخل بهم من مكان مظلم إلى آخر وتتحرك بفجائية من اليمين إلى اليسار وتنزلق بحدة من مكان مرتفع إلى منخفض بشكل مفاجىء والعكس ...

(ب) صورة النهر الضخم

أى أن المستقبل هو بمثابة «نهر ضخم» تنساب فيه الحركة القوية للتاريخ التى تحملنا معها وتحركنا وأن أغلب محاولاتنا لتغيير مسار هذه الحركة بمثابة القاء بعض الحصى فى هذا النهر اقصى ما تفعله هو مجرد موجات ضعيفة فى المياه ... ويكاد ألا يكون لها أى تأثير ... وأن أى تغيير قد يحدث لمسار النهر لن يكون إلا بفعل كارثة طبيعية كزلزال كبير أو انزلاقات أرضية ... ولذلك فإن أقصى ما نفعله ألا نحاول تغيير مسار حركة النهر ولكن نجتهد فى السير بعيداً عن الدوامات وأماكن الخطر فى مسار النهر .

(جـ) صورة المحيط العظيم

أى أن المستقبل هو «محيط عظيم» حيث يوجد لدينا أكثر من مسار نسلكه لنذهب إلى الأماكن التى نريدها عبر هذا المحيط . وأن البحار الجيد هو الذى يستفيد من حركة الرياح وحركة تيارات المياه وأن يكيف نفسه ويحطاط بالنظر

(١) السابق ، ص ٢٥٨ .

الثاقب وملاحظة ما يحدث امامه أثناء عملية الابحار خاصة عند وجود الشبورة الكثيفة حتى يتمكن من الوصول إلى المكان الذى يقصده بسلام .

(د) صورة لعبة الزهر

أى إن المستقبل عشوائى تماماً ... كما لو كان مثل لعبة الزهر .. كل ثانية يحدث فيها مئات والألف بل وملايين الأحداث التى كان يمكن أن تحدث بأسلوب أو بطريقة أو أخرى .. وكان لها أن تنتج مستقبلاً غير ذلك الذى حدث .. فالرصاصة العشوائية قد تقتل رجل ولا تقتل غيره . والعالم قد لا يكتشف شيئاً وقد تقوده الصدفة البحتة لاستكشاف البنسلين مثلاً .. أى أن الصدفة محورية عندما نتحدث عن المستقبل ... وكذلك «الخط الجيد» أو «الخط التعيس»[1] .

وبعد رصد هذه التصورات الأربع عن الرؤى المتعددة لفهم مفهوم المستقبل يسأل المعنى بحلقة التدريب عن المستقبليات أربعة أسئلة مثل :

أ – أى صورة من الصور الأربعة التى تصف رؤيتك لمفهوم «المستقبل» ؟

ب – أى صورة تعتبر الأكثر صلاحية وواقعية من الصور الأربعة ؟

جـ – هل لديك ما تقوله لتثبت أى الأوصاف أصح من الأخرى ؟

د – ماذا عن تبعات تبنى كل صورة من الصور الأربعة على المجتمعات أو الثقافات التى تبتنى صورة بعينها وترفض الصور الأخرى ؟

هذه الأسئلة الأربعة تمثل حجر الأساس للمناقشة وعلى المدرب الواعى الا يسمح بأن تنزلق المناقشة لتصل إلى تبنى وجهة النظر الأولى أو الرابعة (أى لتكن هذه النقطة هى اجندته غير المعلنة من عملية التفاوض الجماعى داخل حلقة التدريب ولكن عليه أن يوضح صلاحية وجهات النظر الأربعة فوجهة النظر **الأولى** تقول :

«بأننا محكومون بظروف خارجة عن سيطرتنا وحرية تصرفاتنا » .

والثانية تقول : أن تغيير المسار أو الثقافة هو مهمة صعبة للغاية ونكاد لا نملك حيال ذلك شيئا ولا علينا إلا التكييف الذكى .

والثالثة تقول «بأنه وبتوفر بعد النظر الثاقب والمرونة والاصرار لدينا نستطيع أن نختار ما نريده ونستطيع أن نحققه .

والرابعة تقول : بأن عامل الصدفة قوى للغاية فى كل شىء يحدث والشخص

(١) راجع الكتاب الكلاسيكى التالى :

Kauffmam, Draper, Teaching the Future: Aguide to Future - Oriented Education, ETC Publication Colifrnia 1976.

العاقل أو المجتمع الراشد يحاول الا يترك للفرص أو الصدف السيئة أن تتحكم فى قراراته ويحاول استغلال الفرص أو الصدف الجيدة لصالحه ولصالح اختياراته

أن معظم خبراء المستقبليات يتبنون صورتى «النهر» و«المحيط» أى (ب) ، و (جـ) ويتفاعلون فى إطاريهما أكثر من تبنيهما لكل من (أ) و (د) .

حيث أن صورة النهر تتطلب التكييف أولاً لتأتى بعد ذلك صورة المحيط لاختيار المسار والسيطرة الأكثر على مقدرات التدخل الإيجابى .

٢- ماذا عن مفهوم «المستقبل ودراسته» في العقل العربي ؟

[أو عندما يسأل أحد خبراء المستقبليات : لماذا يعارض قطاع من المسلمين فكر المستقبليات ؟!]

... سألنى جيروم جلن Gerome Glenn ، أحد خبراء المستقبليات المعروفين عالمياً فى أول لقاء به فى مصر منذ عدة سنوات ، هل هناك ما يمنع المسلمين عقائدياً من الخوض فى فكر المستقبليات ؟!..

... لقد لاحظت أن السائل يصيغ السؤال أعلاه بنبرة استفسارية ما بين معرفة الإجابة والحاجة للتأكيد .. ولقد صحت توقعاتى ... فالرجل لديه معرفة جيدة عن موضوع سؤاله وعنده الإجابة فى كتابه الذى أهداه إلىّ وكان بعنوان «العقل المستقبلى»[١] حيث يشير إلى إسهام العلماء المسلمين فى فلسفة الفكر المستقبلى عندما يشير تحديداً للعالم والفيلسوف المسلم الكندى[٢] .

ولكن حاجة السائل للتأكيد جاءت من جراء سماعه لآراء «نخبوية» تتردد فى الإجابة الحاسمة من أن الفكر الإسلامى الصحيح يدخل فى صميم الصيغة الفاعلة والأخذ بالأسباب وأن هذا الأمر لا يتداخل عقائدياً مع الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى عنده علم الغيب ... وانه علام الغيوب ...

ولكن وكالعادة مع الأسف تصل إلى الغرب من واقع تفاعلاتنا إشارات متناقضة فى مثل هذه الأمور .

ومن الطريف أنه وبعد سنوات طويلة من لقائى هذا عن موضوع علم المستقبليات من المنظور الإسلامى أعود هذه الأيام وافتح ملفات قديمة لم أكن قد

(١) راجع :

Glenn, Gerome, Future Mind: Artificial Intelligence, Acropolis Books LTD. Washington D.C.

(٢) السابق ص ٢١ .

قرأتها بعناية كافية فى وقتها وعدت إليها وأنا أكتب هذه الدراسة اليوم ومنها مقال متميز للمفكر العربى د. أحمد صدقى الدجانى[1] حيث يذهب إلى اعتبار علم المستقبليات الامتداد الطبيعى لعلم التاريخ وأنه وطبقاً للبعض كابن خلدون يدخل فى إطار علم الاجتماع التاريخى .. كما اشار إلى استخدام ابن خلدون لمفهوم «**التشوف المستقبلى**» على أن الدجانى يقول :

★ ابن خلدون والتشوف المستقبلى

«أنه لا يطمئن إلى تسمية مجال المستقبليات بعلم المستقبليات «آخذاً فى الاعتبار أن حد العلم عند علمائنا هو «الاستيقان والتبين» . وأننا فى حضارة تحكمها رؤية مؤمنة تؤمن بالغيب وأن الله سبحانه هو «عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحداً إلا من أرتضى من رسول» .... وبعض المستقبل يقع فى دائرة الغيب ...»[1] .

ولاشك أن أى مسلم يتفق مع د. دجانى فى مسألة الغيب وأن علمه عند الله سبحانه وتعالى فقط ... إلا أن مساحة الفعل المتاحة للإنسان إسلامياً هى مساحة كبيرة وأمرنا الله بالسعى فيها وهى مساحة تحتمل أن ننشئ فيها «علم للمستقبل» ... وان كان هناك آراء عالمية تقول بهذا أو تفنده فهى مسألة من وجهة نظرى المتواضعة تظل فى حيز المساحة التى أمرنا الله بالسعى لملئها . وهنا نعود لنستكمل مناقشة صور التفكير فى المستقبل الأربعة التى رصدها دراسر كوفمان Drper Kauffman فى كتابه الكلاسيكى الهام بعنوان «تدريس المستقبل» والمشار إليه آنفاً ... حيث أن ما يرتبط بهذه الصور ومناقشاتها بشكل أكبر يتمش فى طرح مفاهيم الحتمية والحرية بالمعنى الغربى (Fatalism & behaviourism) أو بمعانى الجبر والاختيار أو هل الإنسان مُخير أم مُيسر ؟ طبقاً لمفردات الفكر الإسلامى .

وهنا يكون السؤال المحورى هو : هل الأحداث التى يمر بها البشر حتمية وقدرية ومكتوبة ولا فكاك منها ؟ وأن أى أسباب تؤدى إلى نفس النتائج ؟ أم العكس ... حيث يوجد مجال للتدخل والاختيار ؟! ولقد واجه العلماء فى مجالات متعددة نفس هذه الأسئلة ، عندما قادتهم الصدفة البحتة إلى اكتشاف أعظم الاكتشافات كما وجدت نظريات عديدة فى مجال الطبيعة تتحدث عن انتظام الكون وحتمية قوانينه حتى أن نظرية الفوضى Choeos theory تقول بأن ما يبدو وعلى كونه فوضوى من حيث الظواهر تحكمه قوانين حتمية ومنتظمة ومنفصلة لفهم الأمور

(١) راجع الدجانى ، أحمد صدقى «رؤية عربية لعلم دراسة المستقبل» ، الأهرام ١٩٩٤/٤/١٩ .

المنتظمة والتى تبدو فوضوية[1] [2] .

خلاصة هذا الأمر أن علم أو مجال المستقبليات ينابه من المناقشات نفس تلك الجدليات التى دارت على مستوى الحوار الدينى والفلسفى من أن الإنسان مُخير أم مُسير ؟ وهل هناك قدرية مطلقة أم هناك مساحة لاختيارات الإنسان ؟!

٣- فماذا عن الفهم القيمى لمفاهيم المستقبليات في واقعنا العربى ؟!

الخلاصة المنطقية التى انتهى إليها علماء الدين وأيضا العلماء والفلاسفة رغم اختلاف وجهات نظر بعضهم البعض ومواقفهم إلى أن كل الأمور قد قُدرت سلفاً من قبل الخالق العظيم الذى خلق هذا الكون وإن علمنا قليل مهما جاءنا من العلم ... وهذا ما فسره الشيخ الشعراوى لقوله تعالى : ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ أى أن كل شئ قد كُتب وما نحن إلا مطلعين على ما قد كتبه الله سبحانه وتعالى ونراه عبر سنوات عمرنا ما مضى منها وما هو قادم ... ولكن أمر الله تعالى الواضح للإنسان أن يسعى ويأخذ بالأسباب وأن «من يعمل مثقال ذرة خيراً» سيرها وتكتب فى أعماله ومن «يعمل مثقال ذرة من شر» سيرها وتكتب فى أعماله .

٤- تنوعات أساليب الأخبار عن المستقبل فى القرآن الكريم وأمر الصيغة الفاعلة :

يخبرنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن المستقبل بصيغ وأساليب عديدة نرصد أهمها فيمايلى :

[١] اسلوب المزج بين الإخبار عن المستقبل وأمر تبنى الصيغة الفاعلة من قبل الإنسان فالإخبار عن المستقبل من حيث كون الغيب الذى علمه عند الله وحده إلا ما أطلعنا عليه فى محكم أياته يرتبط بأمر الله لنا بأن نسعى ونعمل ونأخذ بالأسباب وهذا ما علينا أن نقوم به ... وكمثال من عشرات الأمثلة نرصد هنا هذا المزج الآلهى من خلال سورة الزلزلة – كمثال ضمن أمثلة عديدة – حيث يقول الحق جل فى علاه :

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾

(١) لتفسير نظرية الفوضى من ناحية ما تبحث فيه فى علوم الفيزياء والعلوم الاجتماعية راجع لكاتب السطور مقال بعنوان «العرب ونظرية للفوضى» جريدة البيان الإماراتية / / ١٩ .

(٢) راجع بخصوص جدلية الجبر والاختيار مقال د. حازم الببلاوى بعنوان «ماذا لو» ، الأهرام ٢٠٠٢/١٢/٨ .

وهنا نلاحظ بوضوح القدرية والحتمية فيما يتعلق بما كتبه وقدره الله والتى لا تتناقض مع ما أمرنا الله به من السعى للعمل وآخذ الصيغة الفاعلة فى أفعالنا وفى حرية الفعل بالخير أو بالشر .. ولكل تبعاته ومسؤوليته .

[٢] اسلوب الإخبار المستقبلى عن آيات الله وقدرته سبحانه لتحدى الماديين والكفار الذين لا يؤمنون بعظمة الخالق وقدرته ولا يوقنون آياته ودلائل عظمة خلقه وتدبيره لكل صغيرة وكبيرة فى هذا الكون :

أى خطاب للظالمين والجائرين الذين يظنون أنهم وبعلمهم دون إيمانهم قد أصبحوا أسياد الأرض فلا يقيمون العدل والحق وتأخذهم العزة بالأثم .. فيقول الخطاب المستقبلى هنا : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١)﴾ (الأيتان ٥٠ ، ٥١ الأنفال) .

ويقول الحق جل فى علاه عمن يظن بضرورة أنه بالعلم القليل الذى جاءه إنما تمكن من السيطرة على الأرض التى سخرها الله للإنسان بأمره ليرزقه فيها : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)﴾ (الآية ٢٤ – سورة يونس)

[٣] اسلوب الإخبار المستقبلي عن استمرار كشف الله سبحانه وتعالى عن محدودية علم الإنسان حتى لا يغتر ويتواضع لله وللبشر ...

يقول الحق جل فى علاه فى إخباره باقتراب نهاية العالم : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)﴾ (الآية ٨٢ سورة النمل) .

ويقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾ (الآية ٥٣ سورة فصلت) .

[٤] اسلوب الإخبار بالمستقبل لطمأنة المؤمنين الذين «يستعينوا بكيد الله الطيب لمواجهة كيد الكائدين ..

وهنا نجد سورة الروم التى دلت عن التنبؤ بحدث غيبى هام ... أخبر عنه القرآن

الكريم قبل حدوثه ، ألا وهو انتصار الروم على الفرس فى الحرب التى دلت عن التنبؤ بحدث غيبى هام ... أخبر عنه القرآن الكريم قبل حدوثه ، ألا وهو انتصار الروم على الفرس فى الحرب التى ستقع قريباً بينهما ، وقد حدث كما أخبر عنه القرآن ، وبذلك تحققت النبوءة ، وذلك من أظهر الدلائل على صدق محمد ﷺ فيما جاء به من الوحى ، ومن أعظم معجزات القرآن .... فلقد كان بين فارس والروم حرب ، فغلبت فارس الروم ، فبلغ رسول الله ﷺ وأصحابه فشق عليهم ، وخرج المشركون بذلك لأن أهل فارس كانوا مجوساً ولم يكن لهم كتاب ، والروم أصحاب كتاب فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ إنكم أهل كتاب ، والروم أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم ، فلنظهرن عليكم .... فقال أبو بكر الصديق ... لا يقر الله أعينكم فأنزل الله السورة[1] يقول الحق جل فى علاه :

﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)﴾ (الآيات ١ - ٤ سورة الروم)

[٥] المستقبل - إذن - يتطلب إعداد القوة والأخذ بالأسباب كلها :

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ .

والآية تبدأ بفعل أمر يفيد الحاضر والمستقبل ... وإعداد كل أنواع القوة الاقتصادية والدبلوماسية وكل أشكال القوة وتأتى القوة العسكرية بعد ذلك (ومن رباط الخيل) وفى ذلك ما يشير إلى أهمية اعتبار مفهوم القوة الشاملة بأبعاده المختلفة والسعى لاكتسابها كاملة .

... **خلاصة القول** فى هذا السياق أن هناك أساليب متعددة للنظر إلى مفهوم المستقبل واعتباره والاستعداد له بالصيغ الفاعلة المطلوبة .. مع النظر والاعتبار بقصص الأولين وما فيها من ربط بين المستقبل والماضى ... كما أن استحضار مسيرة الرسول ﷺ وأحاديثه الشريفة تتضمن شواهد كثيرة على ضرورة تبنى «النظر والرؤية المستقبلية والآخذ بالصيغة الفاعلة» بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى ... ولهذا تفاصيل كثيرة فى سياق آخر ، **ويشير إلى هذا الأمر فى سياق حديثنا عن «النبوءات» فى خامساً بهذه الدراسة** .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع على سبيل المثال الصابونى ، محمد على صفوة التفاسير - المجلد الثالث ، دار القرآن الكريم ، بيروت ط٤ ، ١٤٠٢ - ١٩٨١م .

• ماذا عن أهم المفاهيم التقنية الأساسية فى مجال المستقبليات ودلالاتها المهمة لفهم طبيعة المجال برمته ؟!

لابد لفهم ألوان طيف مجال المستقبليات ومستوياته المتعددة ، أن نرصد هنا أهم المفاهيم التقنية التالية المستخدمة وهى :

[١] الفرق بين «البيان أو التنبؤ المستقبلى المؤكد» (Prediction) والتنبؤ المستقبلى المحتمل (Forecast) :

مـن الأخطاء الشائعة لغيـر المتخصصين استخدام المصطلحين بشكل غير مختلف .. خاصة فى الصحافة ، فإذا ذكر أحد خبراء المستقبليات **مثلاً** : إذا استمرت معدلات النمو السكانى فى مصر مع ازدياد الاستهلاك والاستيراد فسوف تكون هناك كارثة محققة للاقتصاد الوطنى فى عام كذا فى المستقبل فإننا نجد تغطيات اعلامية تقول بوقوع الكارثة فى عام عام كذا لاسمح الله ... فى الوقت الذى يتحدث هذا الخبير على **احتمالات** فى ظل وجود عوامل قائمة ... ولكن إذا ما تمت السيطرة على هذه العوامل لن تحدث الكارثة بل على العكس قد يحدث الازدهار إذا تم عبور مرحلة السيطرة وتم تغيير شكل المعادلة الراهنة .

وللبيانات المستقبلية المحتملة Forecasts عدة سمات مهمة ليكون البيانات أقرب للتوقع الأدق وهذه السمات هى .

[أ] الوضوح "Clarity" البعيد عن الغموض أو بالحد الأدنى منه . ووجود إطار زمنى محدد Time Frame وبافتراضات واضحة .

[٢] القابلية للتصديق (plausibility) :

أى أن تتسم بالإتساق وأن توضح أى تناقض قائم بين المعلومات أو القناعات الراهنة .

[٣] القدرة المتخيلة على التشغيل (Imagintian) :

أى أن يتسم بيـــان المستقبل المحتمل بخيال جيد أى ذلك الخيال الذى قد يقبله أو يرفضه البعض ولكن لا يمكن إثبات زيفه ... والخيال الجيد فى بيان المستقبل بخصوص أزمة ما يسمح بفهم حجم الأزمة أو فى الفرص الجيدة التى قد تحملها[١] .

(١) السابق Kauffman (pp. 66 - 65) ..

[٤] التبرير (Justification) :

أن البيان المستقبلى المحتمل لابد وأن يتضمن فى عناصره ما يبرره من العناصر السابقة كلها . ولكن أهم عنصر فى التبرير هو أن يضمن حجة argument على مستوى مقنع ورفيع من الناحية العقلانية rational argument .. وفى ذلك لابد من الإشارة إلى مستويات الاختيار للتحرك المناسب .... ولابد هنا من الإشارة إلى أن التبرير لا يعنى دليل أو برهان مؤكد Proof ...[١] .

وهناك عدة أنواع للبيان المستقبلى المحتمل Forecast وهى : البيان الأولى المحتمل primary Forecast ... وهو بيان لخاصية حدثت فى الماضى واستمرت فى المستقبل وفى هذا المعنى يطلق تعبيرات استخلاص الخاصية tvend extrapolation ، والاسقاط المستقبلى (projection) أما البيان الثانى Seomdary Forecast وهو تنبؤ عن أى احتمال مستقبلى دون أن يرتبط بخاصية حدثت فى الماضى . أما البيان الثالث Tertiery Forecast فيشير كل فى طياته إلى تدخل العامل البشرى لصياغة الحدث المحتمل .

■ السيناريو وأنواعه : Scenario

تعرضنا فى كتاب سابق لمعنى السيناريو وأنواعه[٢] وأساليب صياغته واضفنا بعد النظر إلى صيغة السيناريو على أساس من أساليب بناء صياغة الحجج Argument building ونقاط القوة والخلل بها بشكل من التفصيل .

ويهمنا هنا أن نشير بإيجاز إلى أنه توجد أساليب عديدة لصياغة السيناريو وهو فى أغلب الأحيان أسلوب تصويرى لمسار محتملة للأحداث عادة ما يتم وصفها باستخدام أفعال الماضى كماضى كأنه قد حدث بالفعل على منوال فنية السرد القصصى على أن يعطى ذلك الوصف (الماضى) بتاريخ مستقبلى .

■ تحليل الخاصية (خاصية الاحداث) : Trend Analysis

المقصود بالخاصية هو رصد نمط الأحداث التى تحدث فى الماضى ورصد إمكانية استمرارها فى نفس الإتجاه أو اختلاف خصائصها عن الماضى فى المستقبل القريب أو البعيد[٣] .

■ النبوءة : Prophecy

أى بيان مستقبلى لا يتعلق بإجراءات امبريقية أو علمية معينة أو محددة .

---

(١) السابق Kauffman (pp. 66 - 65) ..

(٢) حسن ، محمد وجيه ، راجع كتاب سيناريوهات الحرب والسلام : دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية ، دار المعراج الدولية للنشر ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م . الرياض . (ص ٨٣ : ص ١٠٢) .

(٣) السابق ص ٤٣ (وهناك تطبيق لتحليل الخاصية فى المرجع السابق اعلاه فيما يتعلق بعملية السلام العربية الإسرائيلية .

عناصر وضع وصياغة التنبؤ الاحتمالى :
المنظور التقنى

تمهيد مطلوب :

★ «المستقبل ما نقوم به اليوم من عمل ..»

إذا كان هذا العصر قد سُمى بعدة مسميات مثل «عصر الفضاء» و«عصر المعلومات» و «وعصر التكنولوچيا» وإلى ما ذلك من مسميات ، فلاشك أنه كذلك «عصر المستقبليات» ، بمعنى النزوع إلى المستقبل والتخطيط العلمى له فى كافة نواحى الحياة .. ولذلك علت صحيات المعنيين بقولهم أن المستقبل هو ما نفعله اليوم ... وتردد مصطلح «صناعة المستقبل» أى دون الاكتفاء بانتظاره وتشوفه فقط ... ولذلك كان هناك اهتمام كبير على مستوى الدوائر العلمية الدولية على صعيد التخصصات المختلفة بتطوير اساليب وتقنيات التنبؤ الاحتمالى FORECAST ... ولعل من التصنيفات المؤسفة – ولكنها الواقعية – أنه قد تم تصنيف العالم إلى شمال متقدم وجنوب نامى أو بين اغنياء وفقراء – ولكن هناك تصنيف أكثر دقة من وجهة نظرنا وهى العالم بين من **يعرفون ومن لايعرفون** ... الخطر الكبير الذى يحدث لامتنا العربية الإسلامية والحقيقى هو أن تتسع الهوة فى المعرفة وتفعيلها والاستفادة منها لاحداث النهضة والتقدم . والمآساة الحقيقية أننا وبالفعل لسنا كأى أمة .. لأننا أمة كان لها فضل حقيقى فى تقدم العلوم والمعارف الإنسانية ... ولا سبيل أمامها إلا أن تسارع بحماس واستنهاض لكل الطاقات الخلاقة ... ففى خضم هذه الثورة العلمية المعرفية والسباق الحميم بين الأمم لاكتسابها وجعلها واقع فى أسلوب التفكير لدى الفرد والمؤسسة وإدارة الجهود الجماعية «وتحليل النظم» من خلال «علم قد استقل وسُمى بهذا المسمى ، لا يزال واقعنا العربى ماضوياً فى الأساس ولا يزال الإدراك العام المنعكس تماماً فى واقع الممارسة الحقيقية ينظر إلى هذا المجال الحيوى لكل مناحى الحياة – بل للأمن القومى المصرى العربى – بشكل مختزل ومبتسر ومتجسداً فى برامج كثيرة فى الاعلام العربى عن كشف الطالع .. وماذا فى النجوم عنك» ؟! وأبواب الأبراج» الثابتة فى الصحف والمجلات ، بينما لا يزال ينظر إليه من البعض المتجمد على كونه «تدخلاً فى الغيب والعياذ بالله » وهناك من ذكر لى وهو محسوب على النخبة ... «إن هذا المجال بمثابة رفاهية علمية لا ضرورة لها فى واقعنا ... ويكفى أن ندير شؤون الحاضر ليمر على خير وسلام !!» ... بينما يرى قطاع آخر «أنه وسائل الآخرين لاختراقنا !!» وكأنه لا يوجد إلا هذا المستوى المخيف !! وكأنه لا يوجد أسلوب بل أساليب لجعل مثل هذا المجال السياج القوى والقومى لعدم الاختراق بل عنصر من عناصر القوة الشاملة لمن يريد أن يدير هذه المباراة المطلوبة بالقطع .. وعموماً الموضوع قديم ... وقصته هى قصة ابن رشد

وسقراط وجاليليو وكل من كان إنجازه قائماً على رؤية للمستقبل حين تم تكذيبهم وتأطيرهم ووصفهم إما بالمارقين أو الجاحدين أو «الخارجين» وإلى ما ذلك من أوصاف من لا يعلمون لمن وفقهم الله للعلم ...

إن المعضلة اليوم لا تتشكل فقط فيما سبق من تحليل ولكنها تكمن كذلك فى حالات من استغلال العلم المستقبلى خاصة اسوأ استغلال كما نشاهد اليوم فى أبحاث منظرى صدام «الحضارات» و«حروب الهوية» وكما رأينا مؤخراً ، فهناك من غلف تحركاتـه فى هذا الإطار تحت شعار «دراسات المستقبل» وهى أبعد ما تكون عن العلم والاخلاق معاً .. نعود بعد هذا التمهيد المطلوب للقول بأننا بحاجة إلى مؤلفات عديدة تحتاجها المكتبة العربيـة كى نرصد من خلالها أحدث وأهم تقنيات استشراف المستقبل وأساليب التنبؤ الاحتمالى المستقبلى وهنا وبالإضافة إلى ما رصدناه فى كتابنا بعنوان «سيناريوهات الحرب والسلام»[1] نرصد هنا مايلى وبإيجاز أولى سيكون له تفاصيله فى سياق آخر ؛ حيث أن الهدف هو الإحاطة الأولية بخريطة أهم هذه التقنيات .

[1] الإدارة بالسيناريو SCENARIO MANAGEMENT في عمليات التفاوض

نعنى بالإدارة بالسيناريو أن يتم وبعد صياغة سيناريو ما فى سياق ما مراعاة الخطوات القائمة بالخريطة الذهنية التالية :

شكل رقم (١) الإدارة بالسيناريو

١ – إعداد السيناريو Scenario Preparation
حيث يتم صياغة السيناريو والحجج التى يستند إليها

↓

٢ – تحليل مجال السيناريو Scenario Field Analysis
بعد التعرف على السيناريو يتم التعرف على العوامل الرئيسية المحيطة بمجال السيناريو

↓

٣ – بعد التكهن أو التنبؤ Scenario Prognostic
حيث يتم رصد عناصر ترجيح حدوث سيناريو ما عن سيناريو آخر، بما فى ذلك التوقيت

↓

٤ – أشكال تطوير السيناريو المرغوب فى تفعيله Scenario Development

(١) مرجع سابق .

[٢] الخريطة الذهنية لأهم خطوات علمية التنبؤ الاحتمالى لفهم تداعيات موقف تفاوضى ما (Forecast)

شكل رقم (٢) خطوات إجرائية لعملية (التنبؤ)

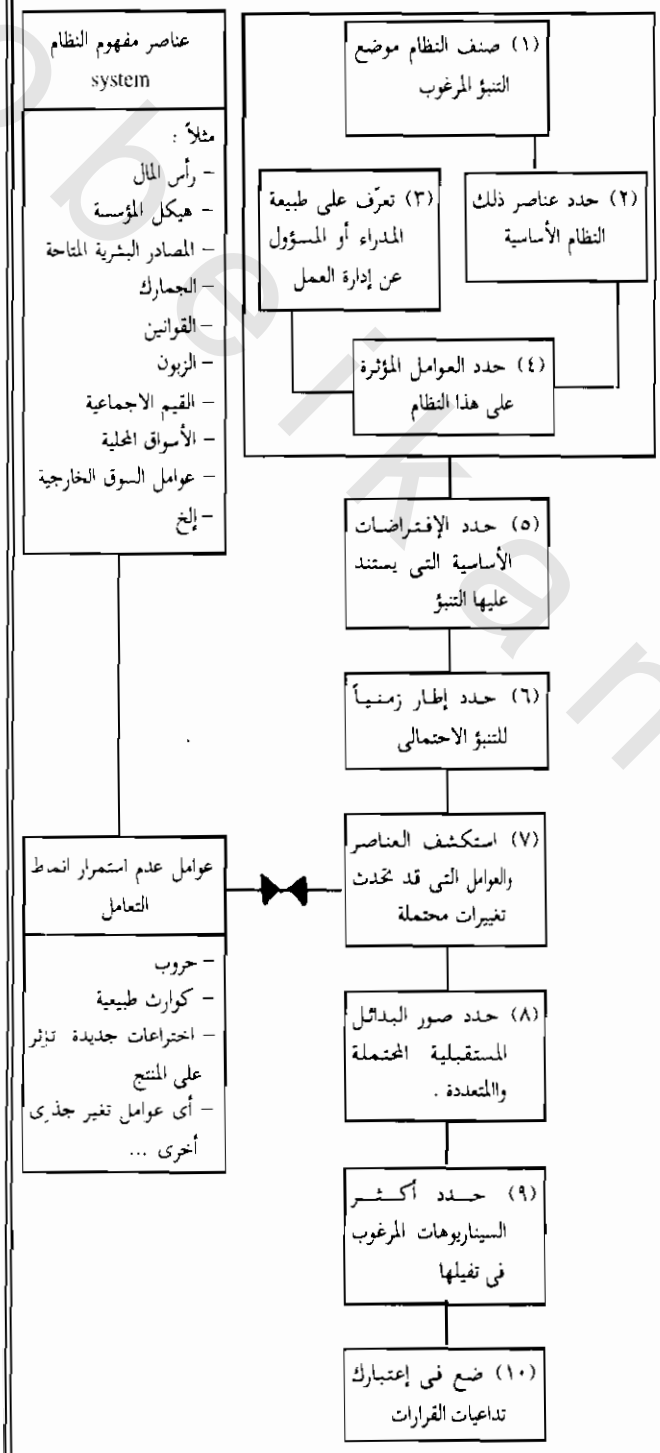

* ١- فكر فى مؤسستك أو منظمتك أو فى الأسواق كنظام System متكامل مركب بطبيعته وحدد مكوناته بدقة.

* ٢+٣ حدد أكثر المكونات أهمية بهذا النظام المتكامل ووضح علاقاتها وترابطها ببعضها البعض من منظور مستقبلى .

* ٤- حدد العوامل المؤثرة فى هذا «النظام» مثل زيادة السكان، التغير الاجتماعى التكنولوجيا الصاعدة وإلى ما ذلك من أمور قد يكون لها تأثيرها أو تداعياتها على «النظام» .

* ٥- كل تنبؤ يعتمد على أحكام عن صحة أو عدم صحة أسلوب إدارة «النظام» ولذلك يتعين تحديد الافتراضات الاساسية فى عملية التنبؤ بأكبر قدر من الدقة .

* ٦- حدد سنة أو المدى الزمنى بالسنوات للتنبؤ ، فهذا من أهم خطوات التنبؤ .

* ٧- حاول استكشاف عناصر الخطر أو المخاطر القائمة على «النظام» بما فى ذلك أى حروب أو كوارث أو إلى ما ذلك مما قد يؤثر على طبيعة العمل فى إطار «هذا النظام» أو ذاك .

* ٨+٩- ضع صوراً للبدائل المستقبلية وركز فى اختيارك على أفضل البدائل التى تريد تحقيقها وتفعيلها فى حدود المتاح من الإمكانيات .

* ١٠- والآن يمكنك الرؤية الشاملة للخريطة الكلية لعملية التنبؤ الاحتمالى وإمكانية التكيف وفهم ديناميكية «النظام» الذى تتعامل معه .. والتعرف على المصادر البشرية والعدد المراد والتفويضات المطلوبة لهم وإلى ما ذلك من إمكانيات وأفعال .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع American Demographics عدد مارس ١٩٩٥ ، وهذه الخريطة التى وردت بذلك الدورية مأخوذة عن مؤسسة Coates & Jarret المعروفة وجاءت بعنوان «لماذا تحقق التنبوءات ؟!» .

[٣] تقنية مصفوفة التأثير والتأثر المتبادل ما بين المستقبليات والتفاوض

CROSS-IMPACT ANALYSIS

تستند هذه التقنية على الافتراض القائل بأن داسة أى ظاهرة أو موضوع لابد وأن يراعى فيه عملية التأثير المتبادل والتأثيرات المتداخلة لموضوع أو ظاهرة على أخرى ، فإذا قمنا بتوسعة شارع ما عليه ضغط كبير دون رؤية مصبه ... كانت توسعته غير ذات فائدة وإذا انشئنا المدن بأسلوب رد الفعل ... أى عندما نعالج ظاهرة التكدس مثلاً ببناء كوبرى ثم نكتشف أن الأمر ليس مجرد إضافة كوبرى ... ولكن كان علينا أن نتبنى رؤية كلية متكاملة للحركة فى المدينة وفى تنظيم المرور وفى اتباع تنفيذ الإلتزام بقواعد المرور وبتعليم الناس سلوكياته فى الإعلام والتعليم ومراعاة أن يكون عمل إنشاء المدن عمل «مستقبلى بطبيعته» وعمل عبر التخصصات المتعدد» .. لو فعلنا لكانت مدننا أفضل بكثير من أسلوب علاج «رد الفعل» ثم «رد الفعل» على «رد الفعل» الذى رأينا ونراه وسنراه طالما أن مثل التقنية التى نتحدث عنها هنا على سبيل المثال لا الحصر لم تراع ولم تعرف ولم تطبق ؟! فكانت النتيجة اداء عشوائى فى كثير من الأحيان ووجود عشوائيات كثيرة ! وفيمايلى شكل تطبيقى لتوضيح نبذة سريعة على هذه التقنية من خلال الشكل التالى الذى نرصده ونعقب عليه بالتوضيح .

شكل رقم (٣) عينية تطبيقية لمصفوفة التأثير المتبادل فيما يتعلق بست قضايا كوكبية[١]

	Population : السكان	Food : الغذاء	Environment : البيئة	Resources : المصادر	Ecconomics : الاقتصاد	Global Management : الإدارة الدولية
Population : السكان a) Continued growth – استمرار الزيادة b) Birht control – تحديد تنظيم النسل c) Gender selection – اختيار الجنس d) Increased death rate – ازدياد معدل الوفيات		1. الغذاء a) – – b) ++ c) + d) 0	2. البيئة a) – – b) + c) + d) ++	3. المصادر a) 0 h) – c) – d) +	4. الاقتصاد a) – – b) + c) ++ d) –	5. الإدارة الدولية a) – – b) + c) 0 d) – –
Food : الغذاء a) Green revolution – الثورة الخضراء b) Expanded food sources – مصادر الغذاء الموسعة c) More equal distribution – توزيع أكثر عدالة d) Hunger – الجوع	6. a) – – b) – c) – d) ++		7. a) – – b) – c) 0 d) +	8. a) – – b) – c) 0 d) +	9. a) 0 b) + c) 0 d) —	10. a) – b) – c) – d) – –
Environment : البيئة a) Go to non-fossil fules – اللجوء لوقود غير عضوى b) Abandon "poison" tech. – تجنب التكنولوچيا السامة c) Limit industrializtion – الحد من التصنيع d) Defensive adaptation – التكيف الدفاعى	11. a) 0 b) 0 c) 0 d) +	12. a) + b) – c) 0 d) – –		13. a) ++ b) 0 c) + d) –	14. a) – b) – c) ++ d) – –	15. a) 0 b) + c) – d) – –
Natural Resources : المصادر الطبيعية a) Increased exploitation – الاستغلال المتزايد b) Modernize – التحديث c) Restrict demand – الحد من الطلب d) De-modernize – التوقف عن التحديث	16. a) 0 b) 0 c) + d) +	17. a) ++ b) – c) – d) – –	18. a) b) ++ c) + d) – –		19. a) + b) ++ c) – d) – –	200. a) – – b) + c) – d) –
Ecconomics : الاقتصاد a) Continued growth – النمو المستمر b) No-growth economy – اقتصاد لا ينمو c) Limit on goods only – الحد من بضائع d) Limit goods only in West – الحد من بضائع فى الغرب	21. a) – b) + c) ++ d) 0	22. a) ++ b) – c) + d) +	23. a) – – b) + c) + d) +	24. a) – – b) + c) + d) +		25. a) + + b) – – c) – d) +
Global Management : الإدارة الدولية a) Continued nation-state – استمرار الدولة القومية b) Gradualist – اسلوب التدرج c) Unionist – أسلوب التوحد d) Federalist – الأسلوب الفيدرالى	26. a) – – b) – c) 0 d) +	27. a) – b) 0 c) + d) ++	28. a) – – b) – c) ++ d) –	29. a) – b) 0 c) – d) +	30. a) – b) 0 c) + d) ++	

(١) Keuffoman Draper ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

obeikandl.com

من خلال الشكل رقم (٣) يتضح كيف يمكننا تطبيق «مصفوفة التأثير المتبادل» **على أى ظاهرة أو موضوع نخطط له أو نتفاوض بخصوصه فهذه التقنية وغيرها مما يساعدنا على فهم الموقف التفاوضى أى كان وخصوصاً اعتبار دراسة تبعاته المستقبلية ، فما نتخذه من قرار فى أى موقف تفاوضى أى كان دون النظر إلى تبعاته المستقبلية والنظر إلى تركيبته المعقدة وما يتداخل وما يؤثر فيه ، لكان التفاوض لحظى وأقرب إلى الفشل خاصة فيما يتعلق بالقضايا المهمة والمعقدة .**

فعلى سبيل المثال لا الحصر اخترنا مثالاً تطبيقياً لهذه التقنية فيما يتعلق بستة مشاكل دولية وهى «السكان» ، «الغذاء» ، «البيئة» ، «المصادر» ، «الاقتصاد» ، و«الإدارة الدولية لهذه الموضوعات حيث أنها تتطلب جهوداً دولية مشتركة بطبيعتها ، نرى فى قراءة المصفوفة أن لهذه المشاكل الستة ٢٤ من المخرجات المتوقعة التى ينبغى رؤيتها بشكل متكامل كما فى الشكل رقم (٣) السابق . ومهمة تدريس هذه المصفوفة **مثلاً فى كورسات فى العملية التعليمية (وهو الأمر الذى لم يحدث بعد فى معاهدنا وكلياتنا وأصبح فى مناهج الدول المتقدمة) ليس لمجرد حل فقط للمشاكل المذكورة ولكن الأهم هو إيجاد وتربية وخلق العقلية العلمية المنظمة التى تتعامل مع الموضوعات والمشاكل بأسلوب علمى ومنهجى .. أما إدراك النتائج (فهو دائماً يعتمد على عوامل عديدة أهمها توفيق المولى عز وجل بعد الأخذ بالأسباب ... بكل الأسباب .. فهذا هو التكليف الذى على الإنسان الإلتزام به إلى آخر لحظة فى حياته ..)** .

وكما توضح هذه التقنية – وكما فى الشكل رقم ٣ كمجرد مثال – يكون هدف تعليم هذه التقنية أن ينظر المشاركون أو الطلاب بشكل منتظم لطبيعة التداخل بين المشاكل الستة وإلى النتاج المتوقع لتفاعلها مع ٢٤ بند آخر ، وعليهم أن يقوموا بوضع علامة (+) أو (ـ) أو (صفر) .. أى بالتقدير الإيحابى أو السلبى أمام كل عنصر كما هو فى الشكل (٣) ... ويقومون بذلك بشكل مرتب ... ثم ينظرون إلى عينات بعضهم البعض بحيث يدركون فى النهاية كيف تؤثر مشكلة السكان مثلاً على «الغذاء» و«البيئة» و«المصادر» و«الاقتصاد» ، و«الإدارة» ... فمثلاً إذا خرج الطلاب أو المشاركون فى السمنار أو الدورة التدريبية بنتيجة مفادها «أن نمو السكان المستمر سيجل أمر حل مشكلاتنا الزراعية صعباً فسيضعون فى مصفوفة السكان فى أول الشكل (– –) عند «استمرار السكان مع الغذاء كما هو موضح . ويوضع (–) فقط عندما تكون الصعوبة ليست شديدة و (+) أمام الناحية الإيجابية لحل المشاكل و (++) عندما يكون الأمر أكثر إيجابية نحو الحل ... أمام (الصفر (٥)) فهو يدل على عدم وجود أى تأثير .

الخلاصة أن المصفوفة عندما يتم وضعها والتعامل والتفكير فى إطارها من شأنها

إحداث الإدراك الأكبر للتأثيرات الأساسية المطلوبة تداركها فى عمليات الاستباق والنظرة المسبقة للقرار أو لفهم موقف ما بشكل متكامل لفهم الإيجابيات والسلبيات بمنهجية علمية ... وتظل هناك العديد من التفاصيل بخصوص ترجمة وتفسير نتائج المصفوفة ... ولكن الهدف هنا الإشارة العامة لفكرة هذه التقنية .

٤- قائمة بتقنيات حيوية اخري ما بين المستقبليات ولغويات التفاوض .

لا يتسع المجال هنا فى هذه الدراسة إلى سرد وشرح وتطبيق أدوات تقنية أخرى عديدة لا تخدمنا فقط فى مجال المستقبليات بل تعد فى غاية الأهمية خاصة بعد أن نتمكن من تطويرها وتطعيمها والإضافة لها أو الطرح منها حسب حاجة التحليل فى عمليات التفاوض المتعددة الجماعى منها أو الفردى فى السياقات المتعددة ... والتى يتعين إدراجها فى كورسات للغويات التفاوض فى جامعاتنا ومؤسساتنا ... وفيما يلى رصداً فقط لمسميات هذه التقنيات التى ستكون موضع تفاصيل عديدة فى سياق آخر لكتاب السطور وهى :

* **دولاب المستقبليات FUTURE'S WHEEL**

وتعنى بدراسة الجوانب غير المباشرة أساساً للظاهرة أو الموضوع موضع الدراسة وتداعياته من الجوانب المختلفة .

* **استخراج الخاصية TREND EXTRAPOLATION**

وهى طريقة لاستخراج خاصية ما بتحليل بيانات ذات حجم كبير وذات طابع تاريخى .. أى على فترات زمنية وتتخذ أشكال الرسوم البيانية أو برامج SOFTWARE خاصة بذلك .

* **التحليل الارتجاعى REGRESSION ANALYSIS**

ونقطة التركيز تتعلق بالعلاقات السببية أى دراسة السبب وأثره والتعرف على أصل الموضوع أو الأشياء .

* **ديناميكية النظم SYSTEM DYNAMICS**

ويُستهدف من خلالها دراسة كل نظام فى موضوع ما وعلاقته بنظم أخرى ، وعادة ما تستخدم هذه التقنية لتحديد أى عوامل تتفاعل مع عملية التطور والتطوير سواء فى تطور وتطوير التكنولوچيا على وجه الخصوص أو فى مجالات أخرى تعتبر هذه التقنية وما نتوصل إليه من خلال توظيفها بمثابة مدخلات ، INPUT مهمة لبناء السيناريو على أساس تحليل قوى .

* **المقارنة التاريخية Historical ANALOGIES**

تستخدم لدراسة ما قد يتشابه تاريخياً .. لتحديد حجم الأخطاء وأوجه القصور حتى لا يكون الثمن فادحاً ومتكرراً فى نهج حل المشاكل المتشابهة التى حدث ولها مثيلاً ومن أجل استيضاح مجالات الاختلافات بين الموضوعات أو الحوادث المتشابهة أو التى تبدو متشابهة وكذلك تحليل أساليب الآخرين الذين واجهتهم المشكلة (موضـــوع التشابه) للاستفادة من ذلك ، وهذه الطريقة لا يعتد بها إلا بتـــوافر المادة DATA ذات العلاقة .

* **النمذجة الحاسوبية والمحاكاة**

Computer Modeling & Simulations

وهذا موضوع متسع للغاية ويحتاج إلى تفاصيل عديدة ويدخل فى إطاره ما سُمى بالحقيقة الافتراضية أو المتصورة أو «توهم الحقيقة» (virtual Reality) وأساليب المحاكاة على شاشات الحاسوب[١] .

* **تحليل الحجج كأساس لبناء السيناريو**

Argumentaion Analysis

والإسهام الأساس يأتى من علم اللغويات أساساً إلى مجال المستقبليات ولقد كان لكاتب السطور أكثر من بحث فى هذا السياق[٢] ويكون التركيز هنا على سلامة الحجج وعناصر صياغتها وتجنب أوجه الخلل التقنية المتعلقة بهذا الموضوع .

* **تحليل الأسئلة - وإدارة المقابلات**

Question Analysis INTERVIEWJNG MANAGEMENT

وهو الأمر المستمد أساساً من دراسات علم اللغويات كذلك[٣] .

(١) بخصوص تفاصيل تقنيات المستقبليات راجع على سبيل المثال لا الحصر المرجع التالى :

Millett, stephen & Hanton, Edward, Amanager's Guide to Technology Forecasting and strategy Analsis Methods, Battlle Press. Columbus, 1991 .

(٢) على سبيل المثال لا الحصر راجع كتاب «سيناريوهات الحرب والسلام لكاتب السطور (مرجع سابق (انظر ص ٢٠) بهذه الدراسة) .

(٣) راجع لكاتب السطور كتاب «التفاوض وإدارة المقابلات» العبيدكان ط١ ١٩٧٧ وط٢ ٢٠٠١ الرياض .

* تحليل التواصل عبر الثقافات وإدارة الاختلافات الثقافية

MANGING CULTURAL DIFFERENCES

وهذا أيضاً من إسهامات اللغويات العرقية ودراسات التواصل عبر الثقافات ... وهناك المئات من هذه الدراسات وهذا الموضوع الحيوى للغاية ولقد تناوله كاتب السطور فى إطار منظورة للغويات التفاوض فى أبحاث متعددة[1] ولعل فى إطار هذا السياق نواجه تحدياً كبيراً يسهدفنا من خلال دراسات «صدام الحضارات» التى حازت على أكبر قدر من التفعيلى الخاطئ والمنهجية الضعيفة وكذلك نواجه تحدياً آخر فى دراسات تدخل فى باب «النبوءات» (PROPHECIES) .

والخطورة وكما سنوضح فى نهاية هذه الدراسة أكثر أننا لدينا فى عالمنا لعربى دراسات قليلة جداً ونادرة عن موضوع النبوءات ولكن الخطر الذى يواجهنا اليوم والتطرف الحقيقى هو القادم من الغرب لأنه وكما فى حالة «صدام الحضارات» هناك تفعيل خطير جداً لفكر النبوءات الدينية فى الغرب خاصة تلك النبوءات التى يزعم اصحابها أن هذم المسجد الأقصى وإقامة المعبد اليهودى على انقاضه شىء ينبغى احداثه والقيام به ... وهنا وفى دراسة منفصلة لنا عن النبوءات وحطرها لاحظنا أن النبوءات فى أدبيات الواقع العربى الإسلامى لم تتعدى سوى أسلوب السرد بما يعتقد فيه من أشراط وحوادث الساعة وعلامات يوم القيامة وطبيعة الفتن التى ستحدث **بينما تتخذ «النبوءات الواردة من الغرب «شكلاً خطيراً من التفعيل والسعى لتحويلها حقيقة على أرض الواقع** !! .

دلالات لتحديات الدور المصرى!

مما سبق نقول بأن ما نستخلصه فى نهاية هذه الجزئية يتعلق بأهمية نشر هذه التقنيات وتطويرها واستخدامها من منظور لغويات التفاوض لتعميم الفائدة منها أكثر من عمليات التفاوض الجماعى اللازم لكل الأعمال التنموية وتنمية مصادرنا البشرية حيث أنها تمثل الأدوات الرئيسية لاشاعة الابتكار وعقلية حل المشاكل والمبادرات الخلاقة بعيداً عن النمطية والاحتقان السلبى والتلقينية والتقليدية التى أصبحت فى مستودعات التخلف والتسحلف ويعتنى بها ويتبناها المهمشون من أصحاب نظريات تعميق التخلف والجمود والركود وإيقاف الحراك الطبيعى والمتقدم لدى كل من يسعى للبناء والنمو والعمل الجماعى الخلاق .. فإذا كنا نتحدث هنا

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر لكاتب السطور ، كتاب مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى ، عالم المعرفة ، الكتاب ١٩٠ لسنة ١٩٩٤ - الكويت .

راجع بالإنجليزية المرجع التالى : HARISS, PHILIP & MORAN, MANAGING CULTURAL DIFFERENCES, GULH PROFESSIONAL PUBLISHING HAUSTON TEXAS U. S. A. 1999.

فى هذه الدراسة عما اطالب به ويطالب به كل من يبغون تقدم هذه الأمة ويسعون لذلك وهو زرع وتدشين برنامج ثقافى علمى جديد (NEW SCIENTIFIC CULTURAL SOFTWARE) كأساس لانطلاق وتفعيل الدور المصرى فى كافة المجالات التنموية عربيا وإسلامياً ودولياً .

حيث أن هذه التقنيات مطلوبة كمهارا للتعامل مع تركيب وتعقيد الكثير من الموضوعات والقضايا وللتغلب فى الوقت فى تفاعلاتنا ... إن عناصر هذه التقنيات كمهارات مطلوب أقصى حد لتعميمها فى كافة المجالات لتمثل عملية ابدال واحلال مطلوبة ... ابدال بنية التقدم ببنية التخلف وإحلال نظام النمو العلمى الثقافى السليم بخزعبلات ثقافة التلقين والآندهاش والاحتقان «والمفعولية بها» ... ولقد أشرنا كذلك إلى تقنيات وتحديات عمليات التواصل عبر الثقافات ... حيث يناط بالدور المصرى التصدى لكل دراسات وأفكار «صدام الحضارات» وتفعيل نبوءات الحروب الدينية المدمرة القادمة خاصة من الغرب واستبدالها بقيم وممارسات حوار الحضارات والتفاعل البناء بين أصحاب الديانات المختلفة .

ثالثاً : من يقوم بممارسة المستقبليات ؟ وماذا عن واقعنا الثقافى فى هذا الصدد ؟

إنه ومن باب استكمال الرؤية الشاملة لخريطة مجال المستقبليات يتعين علينا أن نطرح السؤال التالى : من يمارس المستقبليات ؟! وهنا نرصد المستويات التالية :

(١) كل إنسان ينظر إلى مستقبله بطريقته وأسلوبه الخاص ما بين التفاؤل والتشاؤم والاعداد والتخطيط من عدم ذلك ...

(٢) العرافون والمنجمون و«أصحاب البلورة السحرية» ، ومقدمى برامج الابراج فى وسائل الإعلام .. الذين يستخدمون بعض المعلومات مع الحالة النفسية لطبيعة المتلقى المهتم بهذه البرامج عادة .

(٣) أصحاب الرؤى بعيدة النظر Far-sighted vissions أو من لديهم القدرة الفطرية على تخيل صور المستقبل (Visionists) فى المجالات المختلفة ..... وهؤلاء من أصحاب الخبرة المتراكمة عادة .

(٤) أصحاب القدرات التخطيطية المنهجية الخاصة فى التعامل مع المستقبل وعوامله .

(٥) خبراء / علماء المستقبليات ممن يستخدمون طرق وتقنيات استشراق المستقبل ... وهؤلاء ينقسمون إلى خبراء مستقبليات على المستوى النظرى Theoretical Futurists أو بمعنى أصح خبراء المستقبليات الأكاديميين Academic Futurists وهم كالأكاديميين فى أى مجال ، ممن لديهم رؤية شاملة ومقارنة فيما يتعلق بتاريخ تطورات مجال تخصصهم ، وإدراك واسع المستوى من الاطلاع على الأحداث والمتغيرات من حولهم . كما أن المنوط بهم عادة تدريس ما يتعلق بالمستقبليات ، خاصة فى مجال تخصصهم

والقدرة المتميزة على اختبار وانتاج طرق التحليل وتدريب المصادر البشرية لاستخدام طرق التفكير المتعددة عن المستقبل ... أما خبراء المستقبليات التطبيقيين Applied Futurists : ... فهم نوع مختلف من المستقبليين الأكاديميين ، فهم يمارسون تطبيق طرق المستقبليات ويعملون فى الشركات والمؤسسات الحكومية أو الخاصة التى تستعين بهم ... وهذه وظائف تشغلها أعداد كبيرة (فى الغرب المتقدم ولا نجد لها مثيل فى الدول النامية) (ولمزيد من التفاصيل بخصوص المستقبليين الأكاديميين والتطبيقيين وملامح مؤهلاتهم وأنشطتهم وأعدادهم وتأهيلهم ، أحيل القارئ المعنى إلى بحث مهم فى هذا الصدد كتبه واحد من أهم علماء المستقبليات وهو جوزيف كوتس Joseph F. Coates والذى يرأس مؤسسة من أهم مؤسسات استشراف المستقبل فى مجال التنبؤ التكنولوجى (Technological Forecasting) وهى مؤسسة كوتس وچاران[1] .

(٦) أصحاب القراءات الخاصة للتاريخ لفهم المستقبل وهم عادة قطاع من المتخصصين فى التاريخ ورجال الدين المعنيين بالنبوءة الدينية (Prophecy) .

صور الممارسة بين الواقعين الدولي والواقع العربى

(أ) ما بين التنبؤ والنبوءات :

... فى إطار المستويات الست المقدمة التى توصف واقع من يمارس التفكير والتعامل مع المستقبل ، لا توجد لدينا مثلاً احصائية دقيقة عن كل مستوى من هذه المستويات ولكن هناك مؤشرات واضحة كأن نقول إن من أخطر ما يجتاح هذا المجال اليوم هو شيوع نظريات **الصدام الحضارى** التى هى أقرب إلى التفعيل السياسى عنها رصد لتطورات موضوعية تقول بصدام الحضارات والصورة الأكثر صراحة منها فى هذا الصدد هى شيوع «**النبوءة الدينية**» من حيث السعى لتفعيلها فى الغرب أساساً خاصة فيما عُرف بالنبوءات المتصهينة بهدم الأقصى وبناء المعبد وإلى ما ذلك من تخريب لا يقره أى من العقول المنصفة فى عالمنا وهو الأمر الذى رصدناه فى سياقات عديدة سابقة[2] .

وخطورة أمر النبوءات الدينية أن تتحول الساحة الدولية إلى تفعيل متبادل بين أصحاب النبوءات المتعددة من الأديان المختلفة .

(١) راجع : Coates, Joseph, Technological Forecasting & Social Change 66, 313 - 321 (2001)

(٢) سيناريوهات الحرب والسلام لكاتب السطور ، مرجع سابق .

(ب) ما بين العرّاف والمنجم وعالم المستقبليات والمخطط الإستراتيجى !!

من طرائف القول أن الرئيس الأسبق ريجان كان دائماً ما يسمح لعرافة مشهورة بالتردد دائماً على البيت الأبيض ليستمع إلى ما تقوله ... وهناك من لا يزال يردد مقولات العراف المعروف فسترو دا موسى ... ولكن على النقيض من ذلك نجد من الكلمات الشهيرة للرئيس الأسبق چون كيندى قوله : «إن هذه الأمة قادرة على وضع إنسان على ظهر القمر بعد عشرة سنوات من الأن واعادته سالماً إلى الأرض ...» ... فكان هذا مثالاً على القدرة على التخيل والتخطيط والتنفيذ الدقيق لسيناريو معيارى محدد . (Normative Scenario) ...

(جـ) ما بين خبراء المستقبليات وبرامج الأبراج والبلورة السحرية :

إذدهرت فى واقعنا العربى ومع الأسف فى معظم الفضائيات العربية برامج الأبراج والبلورة السحرية بدلاً من التعامل مع فكر المستقبليات العلمى والسعى إلى نشره وترسيخه فى الواقع الثقافى .... وليس هذا فقط ... فلقد تطرقت برامج إعلامية ومناقشات أخرى عديدة للحوار حول المستقبليات بعقلية وهاجس المؤامرة فلم ترى الفرص والأهمية القصوى لهذا المجال ليس فى التنبؤ بقدر ما هو ترسيخ للعقلية العلمية النقدية والابداعية فى الاعلام والتعليم كما هو حادث فى الدول المتقدمة بل كل ما تطرقت إليه عقلية التأمر إلى أن كل شئ مؤامرة واستهداف ومن ثم فلا ترسخ سوى عقلية التخندق والتسحلف والتقوقع واللافعل لينطبق علينا القول «**إذا لم يفكر أبناء منطقتنا فى مستقبلها وتفعيل السيناريو الأفضل لها ... فكر لها الآخرون ليفعلوا أسوأ سيناريو لها** !! » ... وهنا نحن نرى ملامح وبودار ونتيجة سيطرة عقلية التآمر السلبى وصيغة اللافعل والاندهاش والتقوقع فى حالة «المفعول به» وكراهية الحركة الإيجابية التى أمرنا الله سبحانه وتعالى بها لما فيه صالح هذه الأمة .

رابعاً : ماذا عن مساحات التفاوض المهجورة على الصعيد الثقافى الداخلى؟ وماذا عما يتعلق بتطور مشروعات أو مجامع الفكر المستقبلى الدولية ؟ وماذا عن الأبعاد المفتقدة التى لا تزال من اكبر عوائق

بالرغم من أهتماماتنا بتدشين أكبر المتاحف الأثرية فى العالم – وهو أمر محمود فنحن ولا شك من أكبر مستودعات العالم المملؤة بأعظم الآثار ... وفى هذا تنشيط جيد للسياحة ... كما أن لدينا اهتمامات كبرى بافتتاح العديد من القنوات الفضائية بما يكفى ويزيد كثيراً جداً عن حاجاتنا ... كما أن لدينا اهتماماً كبيراً كذلك بكرة القدم ولاعبيها ومدربيها ... إلا ما نحتاج إليه على سبيل أحداث التوازن المطلوب .. أن نسعى لانشاء مجامع الفكر المستقبلى الكبرى التى تكون قادرة على منع الأزمات واستباقها بدلاً من أن تداهمنا الأزمات فنبدأ فى الإدارة المتأخرة جداً لها فلا يكون العائد كما ينبغى وأن يكون ... بل أن مهمة مثل هذه المجامع لابد وألا تكون لمنع واستباق الأزمات فقط بل الإدارة بالسيناريو لعبور فجوات الإدارة التى نعانى منها على

تدشين مجامع فكرية مستقبلية كبرى فى واقعنا الثقافى العربى يكون من شأنها استباق ومنع وإدارة الأزمات من ناحية والسعى لتحقيق أجندتنا الوطنية من خلال فكر وثقافة التفاوض الإيجابى والإدارة بالسيناريو ؟!

كافة الأصعدة ... ولا شك اننا بحاجة إلى الإدارة بالسيناريو فى أمور فى غاية الأهمية والحيوية ، وهو الأمر الذى تناولناه تفصيلاً فى أكثر من دراسة سابقة من منظور لغويات التفاوض[1] وهنا نعود لتكرار عناوين هذه السيناريوهات التى تحتاج إلى إدارتنا وتدخلنا الإيجابى وتتمثل فيما يلى :

(١) أن هناك سيناريوهات صراعية فى إطار الإسلام والغرب ولابد من السعى لاحتواء آثارها السلبية .

(٢) أن هناك من هذه السيناريوهات ما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى وما يمثل محاولة دوائر بعينها لتفعيل صراع الحضارات فى إطار الصراع العربى الإسرائيلى فى اتجاه إحداث المزيد من الاستعداء للعرب والمسلمين وهو الأمر الذى ينبغى احتوائه وفك الاشتباكات الخاطئة على الساحة الدولية .

(٣) أن هناك سيناريوهات لهيمنة العولمة المتوحشة المبنية على إزالة الشرعية الدولية والقيم الإنسانية وتفعيل سياسات الهيمنة ذات القطب الأوحد ومحاولة إلغاء أشكال التعددية وحقوقها تصل إلى حد شن حروب هوية .. معلنة فى أحيان وغير معلنة فى أحيان أخرى أكثر .

(٤) أن هناك سيناريوهات أخرى تعاونية فى الغرب تنفى الصور السلبية عن العرب والمسلمين وتؤكد على حوار الحضارات وتأسيس مساحات مشتركة للتعاون ولمباراة غير صفرية على الأصعدة المختلفة ولابد من تعميق هذا التوجه من قبل العالم العربى الإسلامى .

(٥) أن هناك سيناريوهات تعاونية فى إطار التحديات التى يبحث فيها العالم بطبيعة احتياجات كل الدول ولابد من تفعيل أقصى قدر من الفائدة من خلالها

إن مثل هذه التحديدات تحتاج ضمن ما تحتاج إليه فى إطار التعاون الدولى الإيجابى توضيح الرؤية الإسلامية والعلمية المعبرة عن أجندة الدول العربية الإسلامية والحفاظ على قيم الخصوصية الثقافية الإسلامية فى إطار تفاعلات هذه الدول مع دول العالم الأخرى ، وهذه السيناريوهات لا تدخل فقط فى العنوان المباشر للإسلام والغرب أو عنوان «حوار الحضارات» الذى أصبح يراه كثيرون فى واقعنا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ، بل أنها تتخلل مناقشة نماذج علمية تنموية تطرح من أجل تفعيل التعاون الدولى على الأصعدة المختلفة وترك بعد الخصوصية الثقافية والأجندة التفاوضية الخاصة بنا كما يحدث فى أحيانا كثيرة يضعنا فى خانة تؤدى إلى مزيد من التهميش .

(١) راجع على سبيل المثال ، حسن ، محمد وجيه ، حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب : نحو المشروع العربى لإدارة النوازل الدولية واستباقها ، المكتبة الأكاديمية ، ٢٠٠٢م .

العلم بين العالمية والخصوصية الثقافية

فعلى الرغم من التسليم بوجود أمور ونماذج كثيرة تندرج تحت مفهوم العلم المحض دوليا بغض النظر عن ثقافة ما ، إلا أن هناك الكثير مما يقال عن منظور ثقافى للعلم[1] .

وسنوضح ذلك الأمر بجلاء من خلال تطور مشروعات استشراف المستقبل من هذا البعد على وجه الخصوص ولكن لابد أن نوضح هنا كذلك أن واقع التفاعلات **الدولية قد أثبت هذا التداخل فى أكثر من سيناريو** ، فعلى سبيل المثال لا الحصر **راجع تلك التفاعلات التى دارت فى سيناريوهات مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية بالقاهرة عام ١٩٩٤م (UN ICPD) وما تلى ذلك من مؤتمرات على نفس هذا المحور على كونها تتضمن أجندة غربية أساسا مخالفة تماما للثقافة والتقاليد العربية الإسلامية فى تعريف مفهوم «الأسرة» والعديد من المفاهيم الأخرى على سبيل المثال ، فكان للأزهر أن يتدخل وكان للوفود العربية الإسلامية المشاركة أن تتدخل وتطالب بتعديل وثيقة المؤتمر**[*] .

وعندما شاركت فى فعاليات المؤتمر المشترك لجمعية مستقبل العالم والمشروع الألفى لاستشراف المستقبل لجامعة الأمم المتحدة ، قابلت فضيلة الإمام الأكبر **د. سيد طنطاوى** شيخ الجامع الأزهر وسألت فضيلته أى محور من المحاور الخمسة عشر التى يناقشها هذا التجمع الدولى الكبير تود أن تتحدث عنها ، فاختار فضيلته «محور البيئة» موضحا أن هناك منظور إسلامى لابد من تناوله وتوضيحه فى التعامل مع مشاكل البيئة الراهنة ، وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى طرحها المؤتمر للتفاعل بشأنها فكان طرحه من المنظور الإسلامى موضع التقدير الكبير وكذلك كان طرح فضيلة الدكتور/ حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى مجال الإجابة عن سبيل حل الصراعات العرقية من المنظور الإسلامى كذلك موضع التقدير حيث أجاب أيضا عن أسئلة هذا المحور التى وضعها خبراء المشروع الألفى ولقد وردت آرائهما هذه فى تقرير المشروع لعام ١٩٩٦م ... إن المنظور الثقافى للوسائل العملية هو منظور ملح ولعل الأمثلة أكثر من أن تحصى ولعلها كثيرة وتتداخل ، بل وتتفجر أحيانا فى مناقشات

---

(١) راجع على سبيل المثال كتاب مهم لكاتبه Green, Themas بعنوان «الحدود الثقافية للعلم» "Cultural Baundarues of Science" ، ولقد قدم لهذا الكتاب د. زياد قطب فى قراءة تحليلية نشرت بمجلة عالم الفكر ، الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت – المجلس التاسع والعشرون – العدد الثانى أكتوبر / ديسمبر ٢٠٠٠م .

(*) قام كاتب السطور بإدارة دورة تدريبية عن آليات التفاوض فى المؤتمرات الدولية ، نظمها المركز العربى للطفولة للجمعيات الأهلية المشاركة فى المؤتمر من أجل إعداد أجندة تحالف تهدف إلى التدخل الإيجابى فيما يمكن تعديله فى الوثيقة الربحية (سبتمبر ١٩٩٤م) .
لمزيد من التفاصيل راجع لكاتب السطور مقال تفصيلى عن واقع المؤتمر وتداعياته جاء بعنوان «البعد الثقافى ومساحة التفاوض مع تداعيات مؤتمر السكان والتنمية» صحيفة البيان ١٩٩٤/١٢/١٨م .

نزع أسلحة الدمار الشامل والنظرة إلى مشاكل السكان والجريمة والبيئة والفجوة بين الأغنياء والفقراء وأساليب العمل والعمالة وعولمة الإعلام ، ولعل من أكثر الأمثلة الأخيرة صراحة والتى توضح اختلاط ما هو علمى بما هو ثقافى فى إطار خطورة عولمة الإعلام وصبغه برؤية أحادية تسهم فى سيناريو صدام الحضارات . ما سمى «النماذج العملية» التى استخدمت فى الإعلام الأمريكى بالرسوم البيانية وتقنيه الحقيقة الوهمية .V. R لتفسير كارثة سقوط طائرة مصر للطيران ، والتى ثبت بالتحليل العلمى المخالف فبركتها ولكن الفبركة العلمية لعبت دورها مع الزج بنظرية أخرى وهى «نظرية الانتحار» بأدلة وهمية وعبثية استندت إلى الإساءة لكلمات ومفاهيم إسلامية مثل «توكلت على الله» لتعنى فقط انتحار طيار وقتله للركاب الأبرياء من باب أنها تستخدم فى ساعات اليأس والإقبال على الإنتحار والإرهاب !! وإلى ذلك من افتراءات على مفاهيم وقيم الدين الإسلامى كعادة دوائر بعينها فى الإعلام الغربى . ولقد تناولت هذا الموضوع فى حينه فى مقال بالأهرام بعنوان «جرائم اللغة وإدارة كارثة الطائرة المصرية»[1] .

وفى خلاصة هذا التمهيد نقول أنه إذا كانت هناك مساحات أصفها بأنها مساحات شاغرة أو مهجورة لم نستغلها أو نخوض فيها بشكل مقبول لصالح أجندتنا العربية الإسلامية ، فإن أهم مساحات التفاوض الاستباقى المهجورة تتمثل فى عدم تدشين مشروع عربى للاستشراف بالمعنى الديناميكى المتكامل والتفاعلى والمستمر دون التقيد بفترة زمنية محددة من أجل تحديث النتائج بشكل مستمر تتيح التعامل مع إيقاع التغيير المتلاحق وغير المسبوق والذى أعطى لمعنى التغيير معنى جديد وكذلك من أجل التفعيل الإيجابى للسياسات التنفيذية على صعيدى دبلوماسية المسار الأول الرسمى ودبلوماسية المسار الثانى والتى تتخذ أشكالاً متعددة وتدور فى إطارها أغلب عمليات التفاوض فى هذا العصر .. ولقد تناولت هذا البعد بقدر كبير من التفصيل فى كتابى بعنوان سيناريوهات الحرب والسلام : دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية[2] .. ولتوضيح ما نقصده بالمشروع العربى لاستشراف المستقبل ، نقول أنه مثلا لا يمكن لأى محلل موضوعى لقضايا عصر العولمة أن يخفق فى التعرف على حجم التعقيدات الكبيرة التى تواجه وستواجه المفاوض الممثل **للواقع العربى الإسلامى فى التعامل معها .. والتى تتطلب معالجة عقلانية وعلمية بعيدا عن حالات الانفعال والاندهاش والإحباط التى نراها شائعة فى تناول الكثيرين فى واقع تفاعلاتنا ... وهذا لا يؤكد على أننا بحاجة**

(١) راجع حسن ، محمد وجيه : «جرائم اللغة وإدارة كارثة الطائرة المصرية» ، الأهرام ، ١٩٩٩/١١/٢٤م .

(٢) راجع حسن ، محمد وجيه ، مرجع سابق .

ماسة بجانب العقلانية والعلمية إلى نوع من التفاوض النضالى الذى يقاوم كل إحباط وصعوبات ، وأن يكون مدعوماً بقاعدة بحثية متميزة تتخصص فى قضايا المستقبليات من حيث التقنيات والبعد المعرفى ؛ فبالإضافة إلى ما أوضحنا فى الجزء الأول من هذه الدراسات من سيناريوهات تتطلب التفاوض معها على أساس علمى فى المقام الأول ، فإننا نود أن نضرب مثالا آخر لا يقل أهمية للتدليل عما نقصده بذلك وليكن من واقع **المفاوضات التجارية الخاصة بالجات والتى تحولت إلى إطار منظمة التجارة العالمية (WTO) والتى دخل المفاوض مرحلة من مراحلها فى نوفمبر ١٩٩٩م فى جولة أخرى بمدينة سياتل بولاية واشنطن ، وتبعها جولات أخرى فى أماكن متعددة عبر العالم وكان آخرها فى مدينة جنوة التى شهدت اضطرابا عنيفا وسقط فيها أول قتيل** يناهض العولمة ، ويناهض النموذج الرأسمالى الغربى المتوحش الذى ينبنى على مباراة صفرية . وبغض النظر عما حدث من اضطرابات واعتراضات لمقاومة «العولمة المتوحشة» وهو الأمر الذى جاء فى صالح العرب ودول العالم الثالث عموماً إلا أن ما حدث لا يعنى أن يرفع المفاوض الممثل لواقعنا شعار «وكفى الله المؤمنين شر القتال بل ينبغى أن يستثمر ما حدث من وقفة صارمة ضد طغيان العولمة وعملية التحرك فى عدة إتجاهات ولعلنا فى هذا الصدد نلفت النظر مثلاً إلى أن المفاوض عليه أن يلم **مثلاً بجزئيات على مدى (٥٠٠ صفحة) غير المذكرات التفسيرية غير المتوفرة بسهولة لمفردات وعبارات فى غاية الخصوصية والدلالة والمرجعية ... كذلك عليه أن يلم بمواقف مالا يقل عن ١٢٠ موقف للدول الأطراف المشاركة ، كما أن عليه ألا يدخل لعملية التفاوض قبل أن يكون قد حضر جيدا لعمليات الضغط الجماعى LOBBYING مثلاً مع دول الجنوب ودول العالم العربى والإسلامى فى حالنا** ... وبدون هذا الجهد الكبير الذى لا قبل لمفاوض ما على المستوى الفردى مهما بلغت مهاراته أن يقوم به وكذلك لا قبل لدولة بعينها التفاوض فردياً دون التحضير على المستوى المذكور ، من هنا نقول أنه لا يمكن بدون مثل فكرة المشروع العربى المقترح الذى ينبغى وأن يحشد خبرة الطاقات البحثية التفاوضية ممن لهم باع على المستوى الدولى أن يحقق النتائج المطلوبة لصالح إحقاق حقوقنا وحماية أجندتنا من التعرض للإجحاف أو الإذعان والقبول لطرح الآخرين .

★ مفاوضات الجات كمثال لمساحات التفاوض المهجورة!

وإذا كان المثال السابق مهما لتوضيح مجرد جزئية لما نعنيه بخصوص الضرورة الملحة لمثل ذلك المشروع المقترح من أجل استباق الأزمات والتحضير المتميز لعشرات المواقف التفاوضية على العديد من الجبهات والمجالات فى ظل سيولة غير مسبوقة وإيقاع متسارع وغير مسبوق يمر بها العالم .

وفـــى هذا الإطار العام لا غنى عن أن نعالج تحدى الصراع والتعاون عبر الثقافات فهذا مـــن شأنه أن يشكل جوهر إضافاتنا لمحاور المشروعات المستقبلية فى عـــالم اليوم التـــى لا تزال مخفقة فى التعامل العلمى الثقافى الفعال مـــع هذا التحدى .

مـــن هنا فإن إدارة هذه السيناريوهات تحتاج منا إلى إيجاد قاعدة بيانات وقاعدة بحثية تحليلية على محاور هذه السيناريوهات بشكل ديناميكى ومستمر على أن يتم تحديثها وربطها بالسياسات التفعيلية داخليا ودوليا بناءا على دراسة تداخل السيناريوهات وبناء المؤشرات التى توضح إتجاه حركة هذه السيناريوهات والتحرك على هذا الأساس لصالح مباريات التعاون والسلام المبنى على الحق والعدل وإحباط تفعيل الاستعداء الحضارى للعرب والمسلمين من خلال التحرك الإيجابى الجماعى الفعال ولا شك فى أننى أجد من الأهمية أن نجيب من خلال هذا الجزء عن الأسئلة التالية :

١- كيف يمكن إدارة سيناريوهات المستقبل لصالح أجندتنا التفاوضية على الأصعدة المختلفة من خلال إدارة مباراة غير صفرية لصالحنا ولصالح الآخرين فى هذا العالم ؟

٢- ماذا عن أهمية إجراء الدراسات المستقبلية بالأسلوب التراكمى والأكثر اتصالا بحاجات ملحة فى العلمية التنموية من خلال المشروع العربى المقترح والتفاعل مع العالم من خلاله وكيف نعالج الخلل الراهن فى الدراسات المستقبلية فى عالمنا العربى على قلتها وندرتها وعدم الاهتمام الكافى بها من ناحية وأن نقدم رؤيتنا للدراسات المستقبلية من خلال نماذجنا العلمية ، خاصة وأن النماذج العلمية الغربية لاشك وأن بها ما يشوبها من انحيازات ثقافية وما السمات المنتظرة لهذا المشروع والتى تجعل منه ضرورة وملء لفراغ ومساحات تفاوض مهجورة فى واقعنا وعلى الساحة الدولية ؟

٣- كيـــف يمكن أن يقـــدم من خلال مثـل هذا المشروع الرؤية الإسلامية العلمية المعاصـرة عـلى أصعدة التحديات المختلفة التى تواجهها الإنسانية فى هـــذا القـــرن ولماذا يحتاج إلى المظلة العربية الإسلامية ذات المنصات التفاعلية الدولية ؟

٤- ماذا عن العوائق الثقافية التى ينبغى التعامل معها لتفعيل مثل هذا المشروع والحصول على النتيجة المرجوة منه دون الاستكانة والتخندق والانعزال وترك هذه العوائق لتقتل مستقبل الأمة وتحركها الإيجابى ؟

الرؤيـــة البحثيـــة التكامليـــة المقترحة فـــى إطـــار المشروع العربي الإسلامى الذى ينبغى وأن يكون

إذا أردنا توضيح أهم سمات المشروع العربى الإسلامى لاستشراف المستقبل ، لذكرت ومن واقع خبرتى العلمية كعضو شارك فى بعض فاعليات وندوات المشروع الألفى لاستشراف المستقبل بجامعة الأمم المتحدة (على مدى عشرة سنوات) بعض من هذه السمات الأولية من خلال الجدول التالى المقارن الذى يوضح حالة وأسلوب القيام بالدراسات المستقبلية الاستشرافية مقارنة بما هو متبع ومنفذ فى المشروع الألفى كواحد من أهم وأكبر مشروعات استشراف المستقبل فى عالم اليوم ، وفائدة مثل هذه المقارنة الهامة هو أن تكون منطلقات العمل فى مثل هذا المشروع متمشية مع معطيات إدارة مثل تلك المشروعات الكبرى من ناحية وتخطى الواقع السلبى الذى يتسم به الدراسات المستقبلية السابقة والراهنة الموجودة فى واقعنا العربى الإسلامى على قلتها وندرتها من الناحية الأخرى . وفيما يلى هذا الجدول (رقم ١)[١] .

(١) راجع حسن ، محمد وجيه بحث بعنوان «إدارة وضع الأزمات» ما بين المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة والمشروع العربى الذى ينبغى أن يكون ، مقدم فى المؤتمر الدولى الأول لإدارة الأزمات والكوارث ، جامعة عينشمس وحدة بحوث الأزمات – أكتوبر ١٩٩٦ .

Obeikandl.com

الفروق بين المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة – كأحد النماذج الهامة لاستشراف المستقبل – وسمات المشروع العربى الراهن ووضعيته

المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة – كأحد النماذج الهامة لاستشراف المستقبل ومنع الأزمات	المشروع العربى الراهن
أولاً : المشروع لا يعتمد على فترة زمنية محددة (عشر سنوات مثلاً ..) بل إنه ممتد ويسمح بديناميكية كبيرة للتكيف مع المتغيرات السريعة .	المشروع العربى اعتمد ويعتمد إلى الآن على فترات زمنية محددة – والدراسات كلها التى ظهرت هى فى إطار زمنى محدد تنتهى بانتهاء المدة التى حددتها الهيئة التى تتبناها . الأمر الذى نجد معه أن النتائج تصبح قديمة بعد فترة وجيزة .
ثانياً : المشروع يتبنى وسائل متعددة ويركز ويحصل على آراء تتسم بالفكر التمازجى بين العلوم المختلفة ويستعين بالخبراء من ذوى التوجهات المختلفة للنظر لنفس الظاهرة .. أى أنه هناك عبور لما قد نسميه «بالجزر المنعزلة» على صعيدى العلم والواقع .	لا يزال الفكر أحادى أساساً ويفتقد للرؤى التمازجية الحديثة إلى حد كبير ... ولا تزال الجزر المنعزلة سمة رئيسية فى تفاعلاتنا العلمية على وجه الخصوص بل أن مناهجنا وممارساتنا ومراكز أبحاثنا وتجمعاتنا العلمية لا تزال ترسخ من هذا الأمر إلى حد بعيد وإلى الآن !!
ثالثاً : المشروع معنى أساسا وبشكل مكثف بتنمية أدوات التحليل والتنبؤ التقنية وتكثيف حلقات التدريب والتدرب على استخدامها بشكل رئيسى وفعال .	المشروع العربى بمراحله المتفرقة التى يمكننا رصدها لا يزال بعيدا عن استخدام وتنمـــية الأدوات العلمية بالشكل اللائق .. وكثيرا من عناصر هذا المشروع كما توضحها كتب تنشر هنا وهناك ومؤتمرات كثيرة تتخاطب مع ما أسميناه بتحديات القرن القادم . لا تخرج فى واقعنا عما اسميه بعقلية «ان واخواتها» أى بتسجيل وضع ما أو موقف ما فى محاضر جلسة أو مؤتمر أو كتاب ما بعيدا عن «كيف وأخواتها» المعنية بالتقنيات وتنميتها بشكل مستمر مع غياب وجود هيئة عليا بعينها تتابع عملية الاستمرار والتنقيح والتطوير وتنمية الأدوات العلمية بالشكل الواجب وتكون على اتصال بالهيئات الأخرى المعنية بنفس الشأن وبشكل مستمر ومتواصل وبتناسق يحدث النفع المرجو منه .
رابعاً : المشروع يتضمن حلقات كثيرة تتصل بالهيئات الحكومية وغير الحكومية والمؤسسات المختلفة والأفراد والباحثين وأخيراً صانع القرار فى دول العالم .	المشروع لا يزال مفتقدا للوصول للدوائر المختلفة من هيئات وحكومات ومؤسسات وأفراد وباحثين ولا يرتبط بعملية صنع القرار بشكل حقيقى وفعال .
خامساً : تتسم إدارة المشروع بديناميكية متطورة عالية لا وجود فيها لفجوة الإدارة بسماتها المختلفة .	المراكز القليلة والمشروعات فى هذا الصدد تتسم بإدارة تقليدية وعوائق كثيرة لانسياب العمل ناهيك عن عقلية الوصاية الفكرية والإدارية المتبعة الموجودة فى واقعنا الثقافى .

ولعل من المهم هنا أن نرصد أهم محاور القضايا التى تندرج فى إطارها أكثر من ١٨٠ موضوع حيوى تتناوله مراكز ومشروعات الدراسات المستقبلية الدولية ، والهدف هو أهمية النظر إلى هذه المحاور وتقديم رؤية تتوافق وأجندتنا ومصالحنا من خلال الرؤية التكاملية المقترحة فى هذه الدراسة[١] .

الفكر الإسلامى المعاصر وتحدى التعاون والصراع

وقد نضيف إلى تلك المحاور الدولية الخمسة عشر المحافل مسائل هامة وخاصة حيث لابد لنا أن ننظر بجد فى طرح رؤية علمية إسلامية معاصرة تبنى على الرؤية التكاملية المقترحة فى هذه الدراسة من منطلق ما يلى :

أ - **إن الفكر الإسلامى العلمى** هو فكر تكاملى بين العلم والدين وهو توجه يثبت منطقيته بعد إفلاس نظريات علمية رياضية أو علمية طبيعية فقط فى تفسير ظواهر وسنن الكون ومشاكل الواقع المعاش فى عالمنا المعاصر .

ب- **إن توصيف معايير أخلاقية للممارسات الدولية أصبح من الأمور الضرورية** لبقاء البشرية ، من هنا بدأت محاولات عديدة على المستوى الدولى تمثلت فى جهود الكثير من مشروعات استشراف المستقبل وتمثلت فى طرح ما عرف «بالطريق الثالث» "THIRD WAY" وغير ذلك من مفاهيم مشابهة .. والسؤال المطروح ويستحق البحث فعلا هو سؤال الكيفية وليس «الينبغيات» أو عقلية التوصيات بل أن تفاصيل هذه الأمور تثير السؤال الخاص «بكيف» ... أى كيف يمكن وضع معايير أخلاقية صارمة وسياسات تنفيذية ممكنة فى أطر ومفاهيم حالة التفاعلات الدولية وحالة التفاعل عبر الثقافات ، ولابد أن تكون هناك رؤية إسلامية - علمية تثرى واقع التفاعلات فى هذا الميدان وغيره مما يستلزم حضور الفكر الإسلامى المعاصر وهو أمر يحتاج إل دراسة تفصيلية أخرى .

جـ- **إن كـل المحاور وكما ورد تحتمل النظرة التفعيلية لها من منظور الأخلاقيات ومن منظور الخصوصية الثقافية العربية الإسلامية ولعل من محاور الاهتمام الرئيسى فى إطار مثل هذا المشروع ، نرى إعطاء أهمية خاصة لمستقبل إدارة** الاقتصاد الإسلامى ومواجهة التحديات والمشاكل التى يواجهها حاليا وفى المستقبل خاصة فيما يتعلق «بنوازل المال» وبخصوص ما يمكن أن يقدمه الاقتصاد الإسلامى ليس فقط للمسلمين ولدعم اقتصاديات وتضامن العالم العربى الإسلامى بطرق مبتكرة وتكاملية ، بل كذلك ما يمكن أن يقدمه لمستقبل البشرية لعلاج آفات الاقتصاد الرأسمالى الذى كشر عن أنيابه للعالم أجمع وتجسدت معارضات الدول عبر العالم فى التظاهرات التى حدثت فى

(١) لمزيد من التفاصيل راجع حسن ، محمد وجيه ، حروب الهوية - مرجع سابق (ص ٩٢ ، ص ٩٤) .

مؤتمر سياتل (نوفمبر ١٩٩٩م) وديفوس (فبراير ٢٠٠٠م)(*) وجنوة فى ٢٠٠١م حيث سقط أول شهيد يناهض العولمة .

★ «الأخلاقيات الكوكبية» :

ولقد آثار تقرير المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة والذى يصدره المجلس الأمريكى بالجامعة الصادر عن هذا العام ٢٠٠١م تفاصيل ورؤى عديدة تتعلق بالمحور الخامس عشر بعنوان «الأخلاقيات الكوكبية) كأحد محاور التحديات الخمسة عشر الأساسية وذكر : «**أن المحاور الأربعة عشر الأخرى كلها تتطلب النظر إليها من البعد الأخلاقى[1] كما ورد فى التقرير من خلال ممثلى أوروبا فى المشروع» أنه إذا أخفقنا فى انتهاج نظام صارم يراعى الأخلاقيات الكوكبية فإننا وبحق نسير فى مسار صدام الحضارات .**

أهمية وضرورة الرؤية التحليلية لتطور مشاريع استشراف المستقبل الدولية من أجل تحديد مواقع للتفاعل والتحرك على الساحة الدولية .

إن رؤية المنظور التاريخى لتطور هذه المشروعات ليمثل بعداً هاماً وضرورياً لاستجلاء السمات التى ينبغى أن تتجسد فى ذلك المشروع العربى الإسلامى المقترح لاستشراف المستقبل .. وذلك من أجل التفاعل الذى يستبق الأزمات والتحرك بديناميكية مبادآت تدعم أجندتنا التفاوضية فى الطرح الدولى القائم والمحتمل على المدى القصير والبعيد معاً بفاعلية مرتفعة الأداء وكذلك دعم تفاعل الجنوب – الجنوب والشمال والجنوب فى عالمنا . وهو بعد فى غاية الأهمية لتشكيل نظام دولى أكثر عدلاً .. وفيما يلى عرض تحليلى موجز لأهم مشاريع ونماذج استشراف المستقبل الدولى/الكوكبى :

١- نموذج حدود النمو :

كان من أول النماذج العلمية التى قامت ولا تزال تقوم عليها مشاريع ودراسات عديدة لاستشراف المستقبل بل سياسات تنفيذية لكثير من صانعى القرار فى دول

(*) وجهت لكاتب السطور دعوة من إدارة الخدمات المصرفية الإسلامية بالبنك الأهلى التجارى لحضور ذلك الحوار الذى أجراه البنك بين رئيس وأعضاء هيئة الفتوى والرقابة الشرعية مع رجال البنوك والخبراء وأساتذة الجامعات المعنيين ، وذلك فى ١٤٢٠/١١/٩هـ الموافق ٢٠٠١/٢/١٥م ، ولقد أكد ذلك الحوار على أهمية دعم الاقتصاد الإسلامى من خلال إدارة الخدمات المصرفية الإسلامية فى عصر التجارة الإلكترونية والعولمة مع المقارنة بما يحدث على صعيد البنوك التقليدية ، وأكد الحوار على ذلك الدور المتنامى للاقتصاد الإسلامى والعمل على تذليل العقبات التى يواجهها وتعميق الدراسات العلمية الخاصة بهذا التوجه من عدة زوايا مهمة لكى يقوم بالدور المنوط به فى دعم اقتصاديات العالم الإسلامى وتقديم ما يمكن أن يقدمه الفكر الإسلامى المعاصر فى هذا الصدد للعالم أجمع ، ولقد تأكدت لدى كاتب السطور قناعاته بطرح فكرة تكاملية بين «فقه النوازل» وعلم التفاوض وإدارة الأزمات للتعامل مع أزمات راهنة واحتواء أخرى مستقبلية بخصوص محور الاقتصاد الإسلامى وما يواجهه من تحديات ، ولعل الأمر يحتاج إلى دراسة تفصيلية ، بل دراسات فى هذا الصدد ، وفى إطار المشروع العربى الإسلامى المقترح لاستشراف المستقبل لإدارة الأزمات ومنعها إن تمكنا من تدشينه وتفعيله .

(١) راجع تقرير المجلس الأمريكى لجامعة الأمم المتحدة على سبيل المثال لعامى ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١م (ص ٣٧) محور : تحدى «الأخلاقيات الكوكبية» AC, UUU - The Millennium project Stare of the Future. 2000 - 2001 .

العالم المختلفة ما عرف بنموذج «حدود النمود» "LIMITS OF GROWTH" .. ومفاد هذا النموذج الذى تبناه نادى روما فى عام ١٩٧٢ أنه وإذا ظلت معدلات النمو السكانى وعمليات التصنيع وما ينتج عنها من معدلات متزايدة للتلوث فإن العالم بنظامه البيئى وما به من مصادر زراعية ومائية سيصل إلى أقصى طاقة استيعابية فى غضون مائة عام على الأكثر ثم يحدث الانهيار والفوضى ... ولذلك وجب التدخل للحد من النمو السكانى ... ولقد تمت مناقشة وتحليل هذا النموذج بشكل مكثف واختلفت الآراء حوله – خاصة فى مؤتمر السكان للأمم المتحدة الذى انعقد بالقاهرة ١٩٩٤م من حيث اختلاف المنظور الثقافى له وكذلك اختلاف تطبيقه من دولة إلى دولة وأن هناك تغيرات سياسية وتكنولوچية واجتماعية مركبة لابد وأن تؤخذ بعين الاعتبار .. ولكن لا يزال لهذا النموذج تأثيره وأحدث الدراسات التى ظهرت مؤخرا جاءت بعنوان «لقد وصل النمو حدوده بالفعل .. » حيث يشير روبرت جودلان إلى «أن آثار النمو الراهن قد أثر بعمق على النظام البيئى ، خاصة فى مناطق بعينها فى العالم مثل البرازيل وغيرها حيث تم استهلاك النظام البيئى من حيث فقدان الغابات وتآكل وإنهاك التربة الزراعية بشكل سيكون له تأثيراته وتداعياته الغريبة والسلبية وكذلك فإن العالم كله بقاراته المختلفة يشهد انخفاضات كبيرة فى معدلات المياه الجوفية بالإضافة إلى تآكل الأوزون واضمحلال للنظم المدعمة للحياة (... BIODIVERSITY) وانقراض تام لكائنات من شأنها إحداث توازن بيئى فى العالم .. وهناك دراسات أخرى على درجة كبيرة من الأهمية تربط هذا النموذج برؤى عديدة فى ظل العولمة (ولهذا تفاصيل فى سياق آخر)[١] .

٢- مشروع معهد ما ستشوسيتس للتكنولوچيا والمعروف باسم «الإنسانية عند نقطة تحول .. (١٩٧٤):

اختلف هذا المشروع عن «حدود النمو» السابق فى استخدامه لبيانات ونظريات لاستشراف المستقبل من العلوم المختلفة ، ولكنه اتفق مع «مشروع حدود النمو» بالنظر إلى العالم على أنه نظام تتفاعل أجزاءه ومناطقه ، وركز على المناطق المختلفة للعالم وعلى أهمية اتخاذ قرارات جمعية لتجنب كوارث محتملة .. وقدم المشروع نماذج رياضية اقتصادية وبيئية لرصد العلاقات المتداخلة بين النمو والبيئة والطاقة والغذاء والتنبؤ بالأزمات المحتملة على هذه الأصعدة ... أما الانتقادات التى وجهت لهذا المشروع فكان من أهمها :

(أ) أن المشروع مثله فى ذلك مثل مشروع «حدود النمو» يركز التحليل على المناطق من حيث المصادر الموجودة بها ، دون دراسة التغيرات المتعلقة بالمستوى السياسى والتكنولوجى .

(١) راجع : Brown, Lester & Gary Graduer, Beyand Malthus Warld Watch paprer (43, Washington D. C. sep. 1998 .

(ب) إن المشروع يعكس نموذج التفكير الغربى .. وكل الباحثين فيه من الخبراء الغربيين ، وهو مما يؤثر على عاملى التحيز العلمى والثقافى معا .

٣- مشروع الأرجنتين المعروف بنموذج بارليوتش (٧٥ - ١٩٧٦) :

وهذا المشروع ينتقد كل من المشروعين السابقين من حيث أن تعريفهما لمفهوم «الأزمة الكوكبية ينطلق من مشاكل وقلق الدول المتقدمة أساسا دون النظر إلى تغيير القيم الذى ينبغى وأن تتوفر لتغيير العالم لمواجهة المشاكل الكوكبية بشكل متكافئ وهناك تفاصيل منهجية أخرى بالأساليب العلمية التى تبناها المشروع ولا يتسع السياق لرصدها هنا .

٤- تقرير عام ٢٠٠٠ الكوكبى (١٩٨١)

ترجع أهمية هذا التقرير الذى قدم للرئيس الأسبق جيمى كارتر ، ليس فقط من منطلق أنه يوضح حالة المستقبل فيما يتعلق بالنمو الديموجرافى وحالة المصادر والبيئة فى عام ٢٠٠٠ والنتائج التى توصل إليها فى هذا الصدد ، إنما ترجع أهميته الحقيقية فى أنه قد تم النظر إليه على أنه نموذجاً علمياً يحتذى به ، ولقد تم تقديم دراسة حديثة نسبياً (عام ١٩٩٣) من قبل المعهد الألفى بولاية فرجينيا حيث قدمت لبرلمان الأديان الذى عقد فى شيكاغو ، وبيع منه مليون ونصف المليون نسخة ، وترجم إلى ثمانى لغات أجنبية ونتيجة الدراسة تقول إنه إذا استمرت سياسات العالم وقناعاته الحالية كما هى عليه ، فإن العالم فى القرن الـ ٢١ سيكون أكثر ازدحاماً وأكثر تلوثاً وأقل أستقراراً سياسياً وأقتصادياً وأكثر تدهورا للبيئة وتعرضاً للعنف .. كما يشير التقرير إلى توتر علاقات دينية بين جماعات دينية وعرقية متعددة تحتاج إلى التدخل الإيجابى .

٥- دراسات ومشاريع الأمم المتحدة : رؤية مسحية ونقدية

بما أن للأمم المتحدة سلطة معنوية خاصة مفترضة وينبغى وأن نرصد كل تفاعلاتها على الأصعدة المختلفة ، فإن رصد مشاريع استشراف المستقبل له أهميته الخاصة سواء على الصعيد العلمى أو على صعيد ارتباط هذه الدراسات بشكل خاص بصناعة وتنفيذ قرارات هذه المنظمة وتأثر دول العالم قاطبة بما تصدره المنظمة كممثل رئيس للشرعية الدولية مع الاعتراف بأوجه القصور القائمة .. ولو أن الدراسات المستقبلية العلمية فى إطار منظمة كمنظمة الأمم المتحدة من الممكن وأن ينظر إليها على أنها سبيل من السبل الهامة لتحسين أداء هذه المنظمة .

من هنا فسنحاول رصد هذه النماذج والمشاريع التى صدرت تحت مظلة الأمم المتحدة بشىء من التفصيل ، وهنا يمكننا تصنيف تلك الدراسات إلى صنفين وهما :

(أ) دراسات ومشاريع محدودة بفترة زمنية محددة (من قبل الأمم المتحدة) :

وفى هذا الإطار يمكننا رصد الدراسات الهامة التالية : رؤية كوكبية لعام

٢٠٠٠ (١٩٩٠) ، «الديون والبيئة (١٩٩١)» ، «المشاركة من أجل البيئة والتنمية : (١٩٩٢) ، التعبر : تهديد أم فرصة للتقدم الإنسانى ، (١٩٩٢)» ، أجندة للتنمية - د. بطرس غالى - (١٩٩٤)» .. وكل هذه الدراسات وغيرها على درجة من الأهمية وتتعلق بتوصيات لقرارات دولية جمعية فى محاور السكان والغذاء والفقر ، والإسكان ، البطالة ، نوعية الحياة ، الصراعات ، الأزمات المالية ، التبعات الاجتماعية للتكنولوجيا ، تجارة المخدرات ، التدخين ، إلى آخره .

(ب) دراسات ومشاريع غير محدودة بفترة زمنية محددة (المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة) :

أى هذه الدراسات التى تمتد فى دراسة محاور ذات طبيعة كوكبية دون التقيد بمدة زمنية للانتهاء منها بل تكون مستمرة مع تقديم تقرير سنوى يتعلق بالبعد المعرفى وبيانات المحاور مع التنمية المستمرة لتقنيات التنبؤ المستقبلى التى تحتاج إلى هذا الامتداد لتطويرها والوصول بها إلى حالة من الصرامة العلمية المبنية على التحديث .. وهنا نجد ما سمى بالمشروع الألفى بجامعة الأمم المتحدة الذى تبنته الجامعة من عام ١٩٩٠ كواحد من أكبر المشروعات المستقبلية الكونية يعنى بالتعامل مع ١٥ محور مثل السكان والمصادر والصراعات ومحاور الدراسات الأخرى المذكور أعلاه ، فى المجموعة (أ) ولقد كلفت جامعة الأمم المتحدة - والتى أنشئت عام ١٩٧٣ بقرار من الجمعية العامة للمنظمة ومركزها الرئيسى فى اليابان - كل من البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة والمجلس الأمريكى لجامعة الأمم المتحدة واليونسكو بالاشتراك فى إدارة هذا المشروع ، وفى عام ١٩٩٦م أصبح المجلس الأمريكى للجامعة هو الفاعل الرئيسى لإدارة المشروع الألفى للجامعة وكذلك الممول الرئيسى له .. ونرصد فيما يلى المميزات وأوجه النقص التى يتسم بها هذا المشروع فيمايلى :

المميزات :

وتتمثل فى أنه وعكس المشروعات والدراسات السابقة فهو لا يتقيد بمدة زمنية بل أنه ممتد على أساس تحديث النتائج والتقنيات بصفة مستمرة لأن الدراسات الأخرى قد تنتهى صلاحية نتائجها بانتهائها فى حالات عديدة .

كذلك يعتمد المشروع على باحثين متميزين فى تخصصات عديدة .. فهو يتبنى فكرة العلوم التمازجية INTERDISCIPLINARITY من حيث كونها علوم مستقبلية حيوية تقلص من أوجه أحادية المجالات التى تعانى منها مؤسسات البحث والجامعات على مستوى العالم بنسب متفاوتة .. كما تسمح آليات المشروع وقنواته بالتفاعل بين الباحثين وصانعى القرار ويصدر تقريرا سنوياً هاماً عن حالة

محاور الدراسات الـ ١٥ وعن سيناريوهات المستقبل لأهم الدراسات عبر العالم فى المجالات المختلفة .

أوجه النقص :

وأهمها يتمثل فى أنه وبالرغم من محاولة المشروع التغلب على مركزية الفكر الغربى الأمريكى على الدراسات المستقبلية – وهو أمر أخذه الباحثون المقيمون للمشاريع المستقبلية التى ذكرناها على أنه أكبر وجه من أوجه الخلل القائمة بها ، ولذلك فلقد حاول القائمون على هذا المشروع تجنب هذا الخلل الكبير من خلال اختيارهم لباحثين من دول العالم المختلفة ، إلا أن واقع الممارسة قد أوضح لى بصفتى ممن تم اختيارهم أن هذه المركزية لا تزال غالبة على أداء المشروع كما أن إيقاع المشروع يكاد يكون أحادياً فى نهاية المطاف . فبالرغم من وجود مشاركين بالمشروع فى عواصم عديدة من العالم ولهم حريتهم المطلقة بالفعل فى التعامل مع محاور المشروع وفى طرح كل ما يرونه لتحسين أداء المشروع وجعله ممثلاً للجميع عبر العالم ، إلا أن نتائج وإيقاع المشروع يتسم بمركزية إدارية والمشكلة هنا أن أى مشارك من دول الجنوب خاصة قد يرى أهمية القيام بنفس الدراسات وعن نفس المحاور ولكن من منظور قيمى وثقافى ومنهجى مختلف تماما فى سياقات بعينها وكذلك ستكون نتائج مثل هذه الدراسات .. وبالرغم من إمكانية القيام بهذا فى إطار المشروع إلا أن فكرة الترابط الداخلى بين إدارة المشروع والمشاركين به فى ظل مركزيته الواضحة وطبقاً لتفاعلات بعينها تكون موضع تساؤل كبير هنا[1] .... وهذا يقودنا إلى السؤال التالى :

ماذا عن المشروع العربي الإسلامي الذي ينبغي وان يكون ؟!

بعد العرض السابق لتطور أهم مشاريع ونماذج استشراف المستقبل بمميزاتها وقصورها تكون الصورة قد اكتملت واتضحت من حيث إمساكنا بأهم الخيوط من أجل تدشين مشروع عربى – إسلامى متكامل ومتميز على الصعيدين الوطنى – العربى – الإقليمى والدولى ... وكنت قد قدمت وكما أشرت آنفاً بحثا فى المؤتمر السنوى لإدارة الأزمات بجامعة عين شمس فى ١٩٩٦/٦/١٤م بعنوان «إدارة ومنع الأزمات : ما بين المشروع الألفى بجامعة الأمم المتحدة والمشروع العربى الذى ينبغى : وكان يدير جلسة مناقشته أ. د. على لطفى رئيس وزراء مصر السابق . وبالإضافة إلى ما تضمنه ذلك البحث من نقاطاً منهجية عديدة ، أتحدث هنا عن نقاط أخرى مما لم أتناوله حينذاك وتتمثل فيمايلى :

---

(١) راجع لمزيد من التفاصيل :

(a) World Futures and The United Nations, an aunotated guide to 2500 recent books & Reports by world Future society, U. S. A 1995.

(b) Masini, Eleanore, why Future studies, Grey Sal, London, 1993.

أولاً : يجب أن نتيقن هنا بأن العبرة ليست بإنشاء مراكز للدراسات المستقبلية على قلتها أو كثرتها فى مصر وفى الوطن العربى ، بل النقطة الجوهرية هنا هى التغلب على فجوة الإدارة القائمة فى واقعنا .. وهذا مربط الفرس – فمثل هذا المشروع يحتاج أساساً إلى إطار هيكلى مرن وفعال ، يستطيع التعامل المتميز مع معطيات ومتطلبات مثل هذا المشروع ووجود قيادة إدارية وطنية حديثة تتعامل معه وتوظف الباحثين المتميزين الذين ينبغى وأن يتاح لهم كل مناخ للإبداع الفكرى الوطنى ، بعيدا عن عقلية الوصايا غير المؤهلة والأسلوب السلبى المستعصى فى الإدارة والذى يتيح ترسيخ سلبيات كثيرة من السهل أن تقتل مشروعاً كالذى نتحدث عنه ...

ثانياً : اختيار محاور وتحديات كونية يمكن للوطن العربى والعالم الإسلامى الاضطلاع بها والتميز فى أدائها للإسهام محلياً ودولياً فى إيجاد حلول بخصوصها ، ولابد أن نتأكد هنا من أنه وكما من المهم أن ترتبط الدراسات المستقبلية بصانع القرار الوطنى ؛ فلابد أن تجد مخرجات ونتائج مثل هذه الدراسات الكوادر المدربة من الباحثين وغيرهم لكى تصاغ فى تفاعلات الساحة الدولية لترسيخ قناعاتنا ومصالحنا وأجندتنا مع التأكيد على أنه لا ينفعنا هنا أسلوب «الخطب العصماء» الموجهة التى يكرهها العالم ولا ينفعنا كذلك أساليب مراكز الأبحاث والدراسات المستقبلية التى تتسم بالتقوقع وترك ساحة التفاعلات الدولية من باب الخوف والتخوف والتخويف من التعامل بثقة ووطنية عالية مع معطيات الساحة الدولية وما تموج به .

ثالثاً : تأسيس هيكل مرن يستوعب كل الدراسات المستقبلية والجيدة التى قمنا بها على ندرتها بحيث تكون نواة يتم تحديثها المستمر وإضفاء صفة الديناميكية الإيجابية على معطياتها والعمل على ترابطها بما يكملها حتى نتغلب على واقع الجزر المنعزلة على صعيدى البحث والممارسة .. ويكون ذلك ضمن خطوات أخرى كنواة لمشروع له صفة مؤسسية مستمرة وبه قاعدة بيانات للدراسات المتعلقة بنا ويمكن كأحد الخيارات الممكنة أن ننشىء ما يمكن تسميته بالمجلس المصرى أو العربى بجامعة الأمم المتحدة ليكون موقعاً جديدا لنا فى المنظمة الدولية ويكون إضافة لدور جامعة الأمم المتحدة ، ونحن نملك أوراق التفاوض الخاصة بإنشائه .

رابعاً : يتيح تدشين مثل هذا المشروع بالحيثيات والمعطيات التى نقترحها إيجاد مساحات جيدة لما أسميه «بالتفاوض الجمعى» على الصعيدين الداخلى

والدولى .. فتفاعلاتنا العربية وحوار الجنوب مع الجنوب . بحاجة لمخرجات مثل هذا المشروع المقترح على صعيدى البحث والممارسة .. أما تواجدنا على الساحة الدولية من خلاله فهو أمر بالغ الأهمية لأن الساحة الدولية فى هذا المضمار خاصة فى إطار حوار علمى وعادل بين الشمال والجنوب من الأمور المطلوبة للغاية ولا تزال الساحة خالية من تواجدنا الفعال فى هذا المضمار الحيوى خاصة فى عصر قد تلعب فيه مثل هذه المشاريع دور حيوى فى نظام دولى أكثر عدلاً خاصة إذا استطعنا توظيف آليات التفاوض الإيجابى والفعال لصالح أجندتنا الوطنية ولصالح صياغة ذهنية الاخرين فى اتجاه تفعيل مثل ذلك النظام المرجو بين الشمال والجنوب - ولكن إلى اليوم تكاد مثل هذه المساحات تكون مهجورة من قبلنا لعوامل عديدة إن لم تكن هى كذلك بالفعل .. هذا والله أعلم وهو وحده ولى التوفيق وهو المستعان[1] ...

العوائق الثقافية بين «نازلة تخلف البحث العلمى» ونازلة «تغيب القوة البحثية العربية عن التفعيل المطلوب :

إن الحديث عن معطيات ثقافة المستقبليات وأهميتها وطرح مشروع جديد بشكل ديناميكى مختلف ليكون أساساً لمنصات فكرية على الساحة الدولية نستخدمها لإعلاء أجندتنا العربية الإسلامية وشغل مساحات شاغرة للتفاوض خارجيًا ، لا يمكن أن يكون سليماً إلا إذا تناولنا أولاً مساحات التفاوض الشاغرة التى ينبغى التعامل معها لرؤية تضاريس واقعنا الذى نرغب أن نشيد فى إطاره مثل هذا المشروع ...

وإلا فإن الكلام يكون كقفزة فى الهواء دون الانطلاق من قاعدة راسخة وقوية، وهنا لابد أن نتحدث عن هذا الواقع من خلال الكشف عن أسباب نازلتين من النوازل التى نعانى منها بشكل يكاد يكون مزمناً ويتبين هذا فيما أسميه «بنازلة تخلف البحث العلمى» «ونازلة تغيب القوة البحثية العربية» عن الاضطلاع بدور أكبر وأكثر فاعلية وهذا ما سنحاول رصده فى هذا الفصل من هذه الدراسة وما أود طرحه هنا أن المطلوب هو العمل على رفع مستوى البحث العلمى والقاعدة العلمية وإجراء إصلاحات ضرورية لابد من مناقشتها خاصة وأننا قد بدأنا فعلاً فى فتح الملف الخاص بها بعد فوز د. زويل بجائزة نوبل ، ولكن لابد من تدشين نماذج جديدة فى أسلوبها تساعد فى عملية رفع مستوى المناخ العلمى والذى لن يحدث إلا من خلال تدشين مثل هذا المشروع المقترح وغيره من مشاريع مماثلة لتكون النواة أو الحلقات الأولى نحو الدخول فى تجربة جديدة وزرع أنماط جديدة من التفاعلات فى واقعنا الثقافى ، وأرى أهمية إثارة هذا الأمر حتى وإن لم ينفذ فإن مجرد إثارته والإصرار عليه بأسلوب الحوار العلمى مع كل من يهمهم أمر أوطاننا وأمتنا العربية والإسلامية

(١) حسن ، محمد وجيه «رؤية مصرية لاستشراف وتفعيل المستقبل الدولى» الأهرام ، ١٩٩٩/٦/١٢م .

لهو المدخل المطلوب والصحيح للوصول إلى كلمة سواء من أجل الأمة كلها ومن أجل أجيال أفضل .. وأمل أكبر فى مستقبل مشرق .

من هنا نرصد عددا من النقاط المحورية والموضوعية التى يوضح بعضها ما المقصود بطبيعة مثل ذلك المشروع وهو الأمر الذى من شأنه كذلك إبراز سلبيات تتعلق بالممارسات فى واقعنا الثقافى من أجل تصوير الخريطة الذهنية بتضاريسها الصعبة التى ينبغى التعامل معها . وإذا كانت الأمثلة التى سنقدمها تتركز هنا أساسا على تفاعلات مستمدة من واقع التفاعلات الثقافية المصرية بحكم اهتمام الكاتب، إلا أنه لا يمكن أن يتصور أحد أن نتحدث ونقصر الحديث على مصر فقط بل أن ما يثار من نقاط لها علاقة وثيقة بنسبة أو بأخرى بجميع أقطار الوطن العربى والإسلامى بطبيعة الحال ، ولا ينكر أحد أن ما يحدث فى مصر دائماً له صداه فى باقى الأقطار العربية الشقيقة ... وتجدر الإشارة هنا إلى أن كاتب السطور قد تعرض لتحليل تركيبة واقعنا الثقافى على مدى ملفات تفاعلية عديدة وهنا فإننى استكمل هذا الجهد ولكن فى إطار فتح ملف البحث العلمى .. ولقد تم حشد آراء أهم الخبراء والعلماء الذين ينتمون للتفكير العلمى وقد عبروا كذلك عن تيارات عديدة فى واقعنا ولعلى أرصدة السمات التالية للمشروع المقترح :

١- المشروع لا يعنى مجرد مركز للدراسات المستقبلية فى إحدى جامعاتنا :

برغم الندرة الشديدة لمراكز الدراسات المستقبلية فى جامعاتنا العربية من المحيط إلى الخليج إلا أن ما نقصده ليس ما نراه من مراكز تعد على أصابع اليد الواحدة ولا تزال السمة الغالبة فى معظمها تتصف بالفكر المناقض لفكر المستقبليات تماما ويعانى أسلوب الإدارة لمثل هذه المراكز النوعية من وطأة مركزية متعسفة ووصايا غير مؤهلة تتمكن من محو الفكرة الحقيقية وإجراء جراحة ناجحة لها تؤدى إلى تفريغ الموضوع من مضمونه بجدارة وامتياز ليبقى منه الاسم فقط ...

المقصود إذن بالمشروع أن يكون نموذج أوليا نحو اصطلاحات كثيرة لها مخرجات على مستوى الأداء الاجتماعى الثقافى والأداء على الساحة الدولية حيث ينبغى لمثل هذا المشروع أن يرتبط بمنصات فكرية وإعلامية الهدف منها تشكيل ذهنية الآخرين نحو مصالحنا الاستراتيجة .

٢- معضلة التغلب علي هرم الفجوات الثلاثة في واقعنا الثقافي :

يعانى مجتمعنا العربى مثله فى ذلك مثل العالم النامى من ثلاثة فجوات ينبغى عبورها أو بداية العمل الفعال لعبورها وهى فجوة المعلومات INFORMATION GAP وفجوة الإدارة MANAGEMENT GAP و «الفجوة الزمنية» TIME GAP .. وللتغلب على هذا المثلث الهرمى الشكل الذى لا يصلح إلا لدفن وموت الأشياء ينبغى صياغة معادلة دقيقة بإضفاء هيكل مرن للتفاعلات فى إطار مثل هذا المشروع المقترح بحيث تكون البداية بفجوة الإدارة حيث ينبغى توظيف منهج الدائرة

التفاوضية كما فى النموذج اليابانى للإدارة حيث يشارك الجميع فى إتخاذ القرارات من خلال أساليب يطول الدخول فيها تفصيلاً بحيث تمكن هذه التفاعلات من التوظيف الأمثل للمعلومات وانتهاج أسلوب إدارة الأزمات وهو أسلوب الاشتباك الانتقائى SELECTIVE ENGAGEMENT بحيث يكون تعاملنا مع كم المعلومات الرهيب المتوفر ذو عائد توظيفى لصالح أجندة أمتنا العربية الإسلامية ووجود شفافية معلوماتية تدعم التواصل الإيجابى بين أفراد المجتمع وربط وتوظيف دبلوماسية المسار الأول والثانى بالأسلوب الذى يساهم فى التغلب على «الفجوة الزمنية» المتمثلة فى رد الفعل المتأخر DELAYED TIME REACTION بعد فوات الأوان كما فى كثير من الفرص التى ضاعت وستضيع بسبب أسلوب رد الفعل المتأخر هذا والذى رصدت بخصوصه أمثلة عديدة فى كتابى بعنوان «مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى» المشار إليه بالفصل الخامس من هذه الدراسة ، فنمط رد الفعل المتأخر هذا له تاريخ طويل من الممارسات فى واقعنا الثقافى ويعود لأسباب عديدة ولكن قد يمكننا التغلب عليه إذا أردنا ذلك من خلال نموذج كالنسوذج المقترح لمثل هذا المشروع وبوسائل عبور واقع الجزر المنعزلة فى واقعنا .

★خامساً: تحديات الدور المصرى وآفاق المستقبليات بين الصعب والمستحيل

نبدأ هنا بالإشارة إلى المقال المتميز الذى كتبه د. أسامة الغزالى حرب بعنوان «المسئولية الإسلامية لمصر!» بالأهرام فى ٢٠٠٢/١٢/٩ حيث ذكر «أن العالم الإسلامى يواجه اليوم واحداً من أكبر التحديات فى تاريخه الطويل ، إذ أنه تحد يقف جنباً إلى جنب – بل هو بالقطع يفوق – الغزوة الصليبية فى القرن الحادى عشر ، والاجتياح المغولى فى القرن الثالث عشر ، وسقوط الأندلس فى القرن الخامس عشر ، وانحسار الدولة العثمانية فى القرن السابع عشر ، ثم وقوع معظم بلدان فى قبضة الاستعمار الأوربى فى القرن التاسع عشر ... !» .

فى إطار هذا السياق وحده – خاصة اليوم – لابد أن ننظر إلى أنماط الأحداث وتداعياتها وطبيعة الأطراف واجندتهم لتحديد تحركنا المطلوب تجاه الأحداث المتلاحقة والتحركات المركبة الحادثة اليوم . وبكلمات أخرى علينا أن ندير اليوم أزمة ممتدة ذات طبيعة خاصة ، لا يمكن أن تدار اعلامياً وثقافياً أو على الصعيد الدبلوماسى بخطابات الطمئنة تارة وخطابات الاحتقان والانفعالات السلبية تارة أخرى أو اللا فعل ، بل بخطاب واجندة احـــتواه وتحركات حريصة وجادة وعملية ومسؤولة آنية وطويلة الأجل .

فإذا كان لنا أن نتناول موضوع استنهاض الدور المصرى وتفعيل أقصى طاقاته اليوم ، فلعلى أحاول ذلك بالتأكيد على النظر لما ورد فى الأسئلة التى تناولناها بقدر من التفصيل فى الأجزاء الأربعة السابقة من هذه الدراسة ... ونستكمل فى هذا

الجزء الأربعة السابقة من هذه الدراسة ... ونستكمل فى هذا الجزء أهم المقومات والمحاور المتعلقة بالتفعيل الإيجابى لإمكانات الكبيرة للدور المصرى المتميز على مر التاريخ الطويل لهذا الوطن الغالى وبما يحقق له المصداقية الأكثر والتأثير الأكبر ... بحيث لا تأتى علينا متغيرات شديدة التأثير فتصل بنا إلى ما يسميه خبراء التواصل عبر الثقافات «بصدمة الدور» Role Shock والمقصود بها «ان يحدث لفرد ما أو دولة ما أو مجموعة ما صدمة فيما يتعلق بما ألفه من دور يقوم به فلا يعمل على الحفاظ على قوة الدفع اللازمة للقيام بهذا الدور أو ذاك وتدعيم إمكاناته ...»[1] .

ولعلنا نستكمل ما رصدنا فى الأجزاء الأربعة السابقة بمايلى :

(١) الأولوية للتفعيل الأقصى لإمكانات الدور المصرى من خلال «رفع الأداء الثقافى العلمى العام إعلامياً وتعليمياً ببرامج تشغيل جديدة

"New Scientific Cultural Software"

وعناصر هذا البرنامج الثقافى – العلمى الجديد تتمثل فى الآتى :

(أ) زرع مفاهيم ثقافة التفاوض الإيجابى المرتبطة عضوياً بفكر المستقبليات العلمى فى العملية الإعلامية والتعيلمية بهدف رفع القدرات التحليلية والنقدية والإبداعية للتعامل مع المستجدات وإدارة الاختلافات وتعظيم طاقات العمل الإيجابى الجماعى والتحول إلى فكر الكيان الأكبر المبنى على منظومات تفاعلية محددة وميسرة لكافة الأعمال التنموية داخلياً وإدارة الصراعات المركبة والمعقدة خارجياً وهو الأمر الذى تعرضنا إليه بشئ من التفصيل فى ثانياً بهذه الدراسة .

★ نحن واليابان والضرورة القصوى لدور مجتمع مدنى حد ومسئول

(ب) تيسير كل ما يؤدى إلى الخروج من حالة الجمود وواقع الجزر المنعزلة على الأصعدة المختلفة مع التفعليل الأقصى لقدرات المجتمع المدنى المصرى بكل طاقاته لتعظيم الاستفادة من دوره الذى يمثل أهم شرايين الدور المصرى داخلياً وخارجياً ... ولقد اطلعت مؤخراً على نص بيان اللجنة الخاصة بمجلس الوزراء اليابانى التى أكدت على الحيوية القصوى للمجتمع المدنى وهئياته ومؤسساته فى اليابان للتعامل مع تعقيدات عصر العولمة ومعصياته وركزت على أهمية استغلالية هذا الدور وصقلة منائه بالمهارات المتعددة لتعظيم قدرات عطائه وركزت على القوانين المدينة الضامنة لهذا القطاع ليمارس دوره الحيوى اللازم لكل

(١) بخصوص مفهوم «صدمة الدور» راجع :

Harris philip & Moran, Robert, Managing Cultural Differences, Gpp Hovston texas 1999, (p.

العمليات التنموية ، كما ركزت اللجنة على مفهوم إعادة تأهيل من يحتاج إلى ذلك دون الاقصاء أو البطش وممارسة التدمير الذاتى للطاقات التى يمكن تحقيق أكبـــر النفع من عطاءها فى كافة الأحوال ... وهـذا التقرير قـــد ذكرنى بهذا البحث المستقبلى الشهير الذى جاء بعنوان «لماذا اليابان وليس مصر؟!» "Why Japan Not Egypt?!" والذى تضمن مقارنة موضوعية لظروف كل من البلدية فى سياقات بعينها ... ومقدار التنمية التى تم إحرازها فيهما !

تفعيل القوة البحثية ضرورة حتمية إذا اردنا التقدم الحقيقى

جـ- التفعيل الفعال والمطلوب للقوة البحثية المصرية وثقلها وإعداد أجيال جديدة من الباحثين كعامل حيوى وأساسى لتغيير معادلات عديدة للصالح الوطنى وهذ نعود لتكرار ما كنا قد تناولناه بقدر من التفصيل فى سياقات سابقة فالتكرار يهم فى سياقنا هذا لأنه لا يمكن أن تنهض الأمم إلا بالتوظيف الأمثل لما أسميه بالقوة البحثية «فهى من وجهة نظرى أهم من القوة الجوية» أو «القوة البحرية» أو «البرية» أو سمّها ما شئت ، لأنها قوة استراتيجية تفاوضية لابد أن تكون أكثر فاعلية من كل هذه القوات إذا ما أحسن إعدادها وتوظيفها التوظيف لأمثل فهـــى القوة الأساسية لأى انطلاقه تنموية فـــى أى مجـال حينـما ترتبط بالواقع المعاش بشكل متميز يحقق التطور الحقيقى .. وهنا لابد أن نقول أنه لا يمكن عزل الخطاب العلمى عن الواقع الثقافى والظروف الاجتماعية فى بلد ما **فالعلم والقوة البحثية يعنى مشروع ضخم لا يمكن القيام به إلا من خلال مـؤسسة أو مؤسسات كبرى يضمن لها الحرية التى تولد الإبداع ولا تقتله . إذن فالمقصود هنا تدشين نموذج جديد يسهم فى تأسيس هذه القوة على الأسس التالية :**

أ – رعاية المتميزين من الباحثين فريضة وإعداد الجيل القادم أمانة !

إن مثل هذا المشروع المقترح ينبغى وأن يكون إحدى الحلقات الأولية نحو تجميع وتفعيل قدرات الباحثين المتميزين فى الوطن العربى ليس من باب التشجيع المعنوى والأبوى بل من باب انتشال هذه الطاقات الكبيرة والمهدرة تقريباً فى إطار المناخ الثقافى الراهن وتوظيفها التوظيف الفعال من أجل التصدى لتحديات هائلة لا يمكن أن يتصدى لها الأدباء والشعراء فقط أو المسئولين فقط أو القائمين على أجهزة الإعلام فقط بل يتصدى لها الجميع وعلى رأسهم القوة البحثية التى يتم تفعيلها كما ينبغى وأن تكون عليه الأمور ... وأن يتم الإعداد لأجيال حديثة وجديدة فى كافة العلوم الحديثة والحيوية لتقدم الأمم وتدارك أوجه خلل قائمة تتسبب فى إعاقة عمليات التنمية المتواصلة التى لابد وأن نعتبرها من أهم أبعاد الأمن القومى العربى ...

ب- رد الاعتبار لمفهوم «الخبرة» لمن الأمور المطلوبة :

فى إطار هذه النقطة وفى إطار مراعاة توازن هام من توازنات التنمية الأساسية نقول أن تقدير دور الخبرة والممارسة بلا شك والاعتراف والعرفان بدور الأجيال الرائدة الذين يمثلون دور الأباء والأجداد لمن الأمور التى يأمرنا ديننا الحنيف بها من حيث احترام الكبار وإجلالهم ، ولكن لا يمنع هذا أبداً من مصارحة واجبة ومستحقة بخصوص دور الشباب فى الأمة العربية ، فشباب الأمم بحجم المشاركة الفعلية لشبابها على أعلى المستويات ، أما الوضع القائم بخصوص الدور الحقيقى للشباب فى المشاركة وتوظيف طاقته على النحو الأمثل وغياب وجود الصف الثانى فى كافة المجالات تقريبا وبالشكل اللائق تحت بند «قلة الخبرة» فهذا غير مقنع نهائياً من عدة أوجه ففى عام ٩٣ كتبت مقالاً بعنوان «**من أجل مصالحة ضرورية بين الأجيال**»[١] ، أى منذ أكثر من تسع سنوات الآن ولعلى أجد ذلك المقال مناسباً للنشر مرة أخرى فى الوقت الراهن لوجود نفس ذات المشكلة وضرورة الحاجة الملحة إلى مصالحة صريحة بين الأجيال ، لا تزال ضرورية .

النقطة المحورية والتى نضعها بكل أمانة وموضوعية ولا يمكن تجاهلها هنا أن هناك نوع من الاقصاء ، لدور حقيقى وفعال للشباب وإعداده كما ينبغى وأن يكون الأمر وربما أسباب ذلك كثيرة إلا أن النقطة ذات العلاقة هنا هى أن المشروع العربى المقترح لابد وأن يتضمن وعاء واضحاً وكبيراً لدور الشباب الباحثين الذين ينبغى وأن تمثل أبحاثهم واقعاً أكاديمياً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتنمية الخبرات .. فالعلوم الحديثة التى نتحدث عنها هى علوم أمبريقية أساساً أى لا ينفصل فيها التنظير عن واقع الممارسة بل أن التنظير يأتى مع الاشتباك مع كافة ممارسات الواقع المعاش من أجل حل مشاكله بالأسلوب العلمى ... أى أن الخبرة هنا حقيقية وليس خبرة السن / العمر » فقط .

جـ- ضبط معادلة التوجه العلمى السليم لإعلاء أجندة الأمة العربية الإسلامية (مابين معادلتى «فن الممكن» و«الذى ينبغى أن يكون») :

لابد ومن منطلق ورصد أول ما تحتاجه الدراسات المستقبلية من توجهات أن نقول ينبغى ضبط معادلة بحثية هامة وهى النظر للأمور كما ينبغى وأن تكون على ألا تكون استغراقاً فى المثاليات دون النظر إلى تضاريس الواقع حيث لا يمكن فصل العلم عن منطلقات الدين وقواعده المقصدية وكذلك لا يمكن فصل العلم عن السياسة بالمعنى العلمى للمفهوم ، من هنا يكون تعريف

(١) حسن ، محمد وجيه «من أجل مصالحة ضرورية بين الأجيال» ، الأهرام ، ١٩٩٣/٨/٣م .

★ الخلل فى فهم مدرسة القوة المطلقة وكذلك فى مقولة «فن الممكن»!

السياسة ليس مجرد التعريف الشائع وهو «فن الممكن فقط» كما هو شائع لدى خبراء العلوم السياسية والعلاقات الدولية فى واقعنا ... مهما كان هذا الممكن سيئاً ولا يمكن قبوله .. من هنا ينبغى تصحيح ذلك التوجيه أو التوجه لعلمى «الذى ينبنى على مدرسة القوة المطلقة فى السياسة والعلاقات الدولية وهى مدرسة ، مورجنثاو والمعروفة بمدرسة القوة POWER POLITICS أو "REAL POLITICS" والتى لا تأخذ البعد الأخلاقى بعين الاعتبار وتعرف السياسة فى إطارها على أنها فقط «فن الممكن» حتى وإن كان هذا لممكن هو الأسوأ ، وخطورة هذه المدرسة ليس فيما تطرحه بل تكمن فى ن هذه المدرسة الغربية التى يتبناها الكثرة من الباحثين العرب والأكاديميين فى أطروحاتهم وفى مناهج التدريس فى أقسام العلاقات الدولية والعلوم السياسية تتنافى وتتناقض مع مدارس أخرى جديدة وعلى رأسها الدراسات المستقبلية من حيث المنطلقات والتوجهات ، والغريب أن الغرب قد روج لهذه المدرسة ويسعده تبنى الآخرين لها فيمدهم بالباحثين المدربين فى هذا الاتجاه ، هذا فى الوقت الذى يتبنى الغرب مدرسة «السياسة» كما تنبغى وأن تكون ... فإسرائيل وإن مارست «فن الممكن» فى وضع قدم لها فى منطقتنا إلا أنها «فن الممكن» كخطوة نحو ما ينبغى وأن تكون عليه الأمور من وجهة نظرها ، كذلك فلقد تبنى القائمون على إعادة رسم ملامح النظام العالمى الجديد من خلال المؤسسات الدولية الكبرى كالأمم المتحدة وصندوق النقد والبنك الدولى وأخيراً منظمة التجارة العالمية وقوات الناتو لاعادة رسم الأمور لكى تكون تجسيداً لمفهوم «الأمور كما ينبغى وأن تكون » من وجهة نظرهم بالطبع ، وهذا المبدأ لا تقوم عليه فقط السياسة فى المفهوم الحديث للغرب الآن بل هو صلب المبدأ الذى تقوم على أساسه الدراسات المستقبلية التى ما هى إلا الأخذ بالأسباب المختلفة لتحقيق سيناريو مرغوب فى تفعيله وإحباط سيناريو غير مرغوب فيه فالخطورة أن يقتنع الغرب بذلك ويجسده بينما تركن القوة البحثية العربية الراهنة فى المراكز الاستراتيجية القليلة فى العالم العربى إلى تبنى «فن الممكن» فى حد ذاته حتى وإن كان هذا الممكن فى إطار ما ينبغى وأن يتحقق لإعلاء أجندتنا العربية الإسلامية ... بالإضافة إلى موضوع «فن الممكن» فإننا إذا انتقلنا من العلوم السياسية والعلاقات الدولية إلى مجال التحليل فى علوم إنسانية أخرى ، لوجدنا مجموعة معروفة من الباحثين يتمسكون ويتبنون فى طروحاتهم المدرسة التفكيكية (DECONSTRUCTIONISM) والتى تم تفنيدها وتخطيها فى

الغرب ذاته وأصبحت مثل الأسلحة البالية غير المفيدة ومع ذلك ظهر من يتبناها من أسماء ومعه ظهرت إساءات إلى تحليل النصوص فى واقعنا العربى وأخفقت فى التعامل الواعى مع واقعنا الثقافى ؛ فبدلاً من استنهاضه فى الاتجاه الصحيح لتعبئته على أرضية مشتركة تعتمد على مبدأ «قل هاتوا برهانكم» وتقبل بالتعددية الطبيعية والفعلية ، فإذا بهذه الأسماء تسهم بسلبية منقطعة النظير فى تقسيم واقعنا إلى معسكرات متناحرة وتستخدم كل أدوات وتكنولوجيا التناحر» مع إدعاء كاذب ووهمى فى أن هذه الأسماء كانت تتحدث عن نفسها «**تقوم بإدارة معركة التنوير ..» والحفاظ على الاستقرار فى مواجهة تيار الظلاميين والمتسلطين والواقع أن كلاً من التيارين من ذوى الأصوات المرتفعة يسهم فى إحداث مأساة فى الواقع الثقافى العربى**[1] ، والنقطة المحورية هى أن تأسيس وتدشين مثل هذا المشروع العربى بسماته المقترحة لابد أن يكون إحدى الحلقات الأولية التى ينبغى أن ترسخ خطابات جديدة تستمد قدرتها التنويرية الحقة من العلم والإيمان ... أى من العلوم الحديثة التى لا تتعارض مع القواعد المتصدية للعقيدة الإسلامية السمحة ومقاصدها السامية .. فهذه الخطابات هى المعون والمدد لاستبدال الواقع الثقافى التناحرى بواقع ثقافى أكثر قدرة على الإنجاز بعيدا عن الإهدار وهو المنطلق فى إصلاح الذات الذى يمكننا من الخروج والعمل على صعيد ساحات التحديات الدولية الصعبة والشاغرة من وجودنا الفعال . إن ما يمكن أن ينجز من خلال مثل ذلك المشروع المقترح وغيره قد يزيح من على صدر الأمة تلك الخطابات المتهافتة ويعمل على ترسيخ خطابات أكثر رشدا وعلمية وفائدة للجميع فى عملية التواصل داخل الثقافة العربية وفى التفاعل مع الآخرين فى عالمنا المعاصر .

★ **فى وهم الثنائيات المتعسفة وازمات التنويرين و«الظلاميين» !!**

د – المناخ العلمى فى الوطن العربى : مسا بين **أحمد زويل وفاروق الباز وأحمد مستجير** وقوة الطرد المركزية ....

كان لفوز العالم المصرى – الأمريكى أحمد زويل بجائزة نوبل للكيمياء والذى وضعه العالم فى مصاف أرقى علماء الإنسانية لما قدمه من فتح علمى كبير .. كان لهذا الفوز الذى يجئ فى أوقات كئيبة يمر بها الوطن العربى على عدة أصعدة فرصة لإثارة الكثير من المناقشات عن المناخ العلمى فى الوطن العربى وكذلك الدعوة لإصلاح علمى على غرار «الإصلاح الاقتصادى» وفتح هذا الفوز ملفاً من أهم

(١) راجع فى هذا الصدد وعلى سبيل المثال لا الحصر مقال لكاتب السطور بعنوان «السؤال فى مستقبل الأدب ودروس لمنع الأزمات » الأهرام المسائى ، ٢٠٠٠/٧/٢٣ .

ملفات الواقع العربى وهو الملف الذى ينبغى التعامل معه بكل جدية وإصلاح لأنه مربط الفرس ... ولقد تناول هذا الملف الكثير من المعنيين بتحليل الواقع الثقافى واستنهاضه لمجابهة التحديات الصعبة التى تواجهها الأمة[1] .

ولعل من المهم أن نرصد أهم أنماط التفاعل التى صاحبت فوز عالمنا الكبير د. زويل بجائزة نوبل منفردا فى الكيمياء حيث كتب أ. رجب البنا فى الأهرام (١٩٩٩/١٠/١٧م)[2] معلقاً على رأى الباحثين ورأى وزير البحث العلمى قائلاً :

«لقد لفت نظرى سؤالاً طرحته إحدى الصحف : وهو هل يمكن أن يظهر فى مصر أحمد زويل فى وجود المناخ العلمى القائم والمؤسسات والمعامل ونظم العمل والتشريعات الحالية ؟ وكانت إجابة الباحثين والمسئولين عن المراكز العلمية بأن هذا مستحيل فى ظل الأوضاع الحالية ، وأنه لو لم يكن أحمد زويل فى أمريكا لما استطاع أن يحقق شيئاً مما أنجزه ، لأن المسألة ليست فقط الموهبة ، أو العبقرية لفردية أو النبوغ المبكر أو المتأخر ، ولكن لابد معها من ظروف محيطة بالعبقرية تساعدها على النمو والإبداع ...

ويضيف أ. رجب البنا فى مقاله الصريح قائلاً :

« ... وإن يكون الحديث عن أمجاد الأجداد حديثاً للترضية وجبر الخواطر أو لتحريك دوافع التقدم والحماس للعمل ؛ إلا أن حقائق الحاضر هى الأولى بالوقوف عندها ، ولتكن هذه هى لحظة المصارحة والحقيقة دون مجاملة أو تزييف أو خداع للنفس ...

وإن كان لوزير البحث العلمى رأى آخر أبداه فى ذلك التحقيق الصحفى وقال فيه «إن الجامعات ومراكز البحث المصرية زاخرة بالعلماء والأجهزة والمعامل وقادرة على إنجاب أمثال أحمد زويل .. ولم لا ؟! .. فيعلق رجب البنا قائلاً : « .. إلا أن هذه النظرة غير الواقعية قد تجاوزت حدود التفاؤل والتشجيع إلى حدود خطيرة على منهج التقييم وعلى المقدرة على رؤية الواقع بحجمه الحقيقى ، بعد أن غرقنا فى بحار التفاؤل والأوهام .. ويكفى أن نتأمل كلمات قليلة قالها د. أحمد زويل نفسه عقب فوزه بالجائزة حين سئل نفس السؤال فقال أن التقدم العلمى مرتبط بوجود مجتمع علمى .. أى أن المجتمع الذى يفرز العلماء ويشجع على الإبداع هو المجتمع العلمى فى كل أوجه حياته ... إلخ

(١) حسن ، محمد وجيه «الواقع العربى من منظور قوة الطرد المركزية» الوفد ١٩٩٦/٨/٢٨ .

(٢) البنا ، رجب «كم أحمد زويل عندنا ؟! الأهرام ، ١٩٩٩/١٠/١٧م .

ومما جدير بالذكر أن أحمد زويل قد قال وهو محق أنه لا توجد البنية العلمية المطلوبة إلى الآن ... **ومع الأسف أخفق أحمد زويل فى تأسيس أحد مراكز التميز التى من شأنها رفع مستوى الأداء الثقافى العلمى بعد اصطدامه بالكثير من العوائق البيروقراطية المستعصية .**

وماذا قال فاروق الباز ؟!

★ **«برجاء تركهم وشأنهم ينهلون من الخبرة !!»**

فى برنامج «صباح الخير يا مصر» فى شهر سبتمبر ١٩٩٩ ، دار حوار بين العالم المعروف د. فاروق الباز والمذيعة وكان يثنى على إنشاء مركز لأبحاث الفضاء فى مصر رغم تأخر ذلك .. وأفاد أن ناسا (وكالة الفضاء الأمريكية) NASA قد أنشئت بهدف أساسى قبل هدف اختراق الفضاء الخارجى والوصول إلى القمر وغيره .. وهو رفع حالة المناخ الثقافى العلمى على اتساع أمريكا وعرضها .. فوجود خلايا للبحث تابعة لها فى الجامعات والمراكز يعنى وجود جماعات تمول أبحاثها وهذا مطلوب لرفع مستوى المناخ العلمى على مستوى الدولة أساساً .. وحينما بادرت المذيعة بسؤال استفزازى قائلة لماذا لا تعود ويعود كل علماء مصر فى الخارج بأعدادهم الكبيرة لخدمة الوطن الأم(*) فقال لها .. « أرجوك سيبيهم هناك .. يأخذوا خبرة .. لأن الخبرة هناك لى ولهم كل يوم كل يوم نحصل على خبرة جديدة ونحن نعود للوطن فى أجازات وفى مؤتمرات ومحاضرات لإفادة أهل الوطن بالخبرة التى اكتسبناها ولكننا . لا نزال نكتسب خبرة كل يوم .. » !!

وماذا قال عالمنا الفاضل . أ . د. أحمد مستجير ؟!

يذكر الصحفى عزازى على عزازى فى تحقيقه له(١) .

« .. تبارى الوزراء القدامى جداً والجدد أيضا فى استخدام الخطاب العلمى المستقبلى سواء فى الوزارات المعنية بالتطور التقنى أو المستفيدة منه .. حتى كاد الأمر يتحول إلى فوضى استهلاكية لشعار العلم والتكنولوجيا .. المسئولون متفائلون كعادتهم ، أما أهل الخبرة والاختصاص من العلماء فهم متشائمون لأنهم يعرفون الفرق بين الشعار والتطبيق .. وذكر عزازى أن أ.د. أحمد مستجير هذا العالم الفاضل الذى يعرفه علماء ومثقفى مصر وهو من علماء الهندسة الوراثية المرموقين .. ذكر أن ميزانية البحث العلمى بحاجة إلى إعادة النظر .

ويذكر عزازى أن شلال العالم الكبير انهمر وأنه لم يقاطعه عندما سأل عن

(*) ورد فى دراسة نشرت فى صحيفة الأهرام أن هناك ٨٤٤ ألف مصرياً من ذوى التخصصات والمهارات المتميزة يخدمون التنمية فى ١٢٠ دولة فى أمريكا وأوروبا من بينهم ٧٥٤٢ عالماً من العلماء الذين يشكلون قاعدة متقدمة للغاية فى تلك الدول .

(١) تحقيق بجريدة الأسبوع بعنوان «حينما تصبح رؤوس العلماء أهم من أقدام اللاعبين ندخل القرن القادم (حوار مع أ. د. أحمد مستجير) ، ١٩٩٩/١٠/١٨ .

«روشته علاج» لهذا الوضع ... فذكر أهمية تأسيس قاعدة علمية حقيقية وعندما سأله عزازى عن برنامجه المطلبى كأحد علماء مصر الكبار ؟ .. أجاب قائلاً :

* .. إعادة تنظيم الأكاديمية والبحث العلمى على أسس متكاملة ..
* .. تهيئة مناخ الثقافة العلمية والبحث وبشكل سريع ..
* .. الاستثمار فى العلم لأن عائده مئات الأضعاف عن الاستثمار فى أى شئ آخر ..
* .. دعم الأستاذ الجامعى ..

التحول من «الأقدام» إلى «الرؤوس» !

أضاف د. **أحمد مستجير** هذه المقولة إلى قائمة طلباته كعالم يريد أن ينهض بالواقع الثقافى حين قال «هل أدفع للعلماء الكبار كى نحصل منهم على الخبرة كما تفعل الشركات عابرة القوميات لكى يساهموا فى النهضة العلمية ؟ أم أدفع مئات الملايين من الدولارات على مدربى كرة القدم كما هو الحادث مع كل الأسف .. ؟!

ويضيف قائلاً :

« .. كرهت الكرة ولاعيبها .. وأيقنت أن دخول عصر العلم والتكنولوچيا يلزمه الخروج من عصرة الكرة أو بالأحرى انتقال الاهتمام من الأقدام إلى الرؤوس ... » .

وفى مقال متميز عنوانه «رسالة مفتوحة» إلى مفتى الدار المصرية[1] .. والمنشور بجريدة الوفد فى ٢٨ أكتوبر ١٩٩٩م يسأل أ/**عبد الغفار عودة** فضيلة مفتى الديار المصرية عدة أسئلة ليتعرف على رأى الشرع فى أوجه الإهدار المادى والثقافى والقيمى فى واقعنا الثقافى واختلال الأولويات .

هـ- وماذا يقول كل من د. جمال عبد الجواد ود. محمد السعيد إدريس ؟

فى صفحة مركز الدراسات الإستراتيجية بجريدة الأهرام قدم كل من د. جمال عبد الجواد ود. محمد السعيد إدريس (٩٩/١٠/٢٥) مقالاً متميزاً[2] حيث أشار كل منهما إلى سمات سلبية واضحة يعانى منها واقعنا الثقافى وهى وطبقا لمسمياتهم ومفردات مقاليهما :

(١) يتحدث عبد الغفار عودة فى مقالة بعنوان «رسالة مفتوحة إلى مفتى الديار المصرية» بالوفد فى ١٩٩٨/١٠/٢٨م عندما يمكن وأن نسميه «بنازلة الإهدار فى واقعنا الثقافى» .

(٢) راجع مقالين متميزين بصفحة القضايا الاستراتيجية بالأهرام لكل من د. جمال عبد الجواد بعنوان «الوزراء ثم البيروقراطية والسياسية » . ود. محمد السعيد إدريس بعنوان «الشباب وتجديد التحية» فى ١٩٩٩/١٠/٢٥.

١- تعدد العوامل السلبية لظاهرة الجذب الثقافى القائمة .

٢- ظاهرة تسلط الشخص الواحد «الفالح» فى مجابهة الآخرين ووصفهم بعدم الخبرة وما يتنافى فى ذلك مع روح العمل الجماعى .

٣- افتقاد الواقع الثقافى لوجود « ماكينات» لتصنيع وبلورة الأفكار والرؤى حول القضايا الوطنية المطلوب فيها قرارات تتسم بالتفاوض الجماعى وعملية صنع القرار وليس مجرد اتخاذه .

٤- تحرك البيروقراطية ووسائل الإعلام لملء هذا الفراغ الموجود وكل من الطائفتين غير مؤهل بالمعنى المطلوب حقيقة لملئها ، الأمر الذى نتج عنه هيمنة للخطابات المسطحة والتى تعنى بالشكل دون المضمون ناهيك عن شيوع الخطابات المتهافتة[1] .

ما بين صدمة المستقبل وصدمات «المناخ العلمي فى واقعنا الثقافى» :

مما ذكر نستطيع القول بأن المشروع العربى لاستشراف المستقبل المقترح وبالشكل المحدد آنفاً قد يمثل حلقة من حلقات ضرورية لملء أوجه من الفراغ القائم ومحاولة التغلب على السلبيات المشار إليها .. من خلال تفعيل طاقات القوة البحثية وأهل الخبرة بالمعنى العميق والحقيقى للكلمة وليس بالمعنى المضلل لها ... أى المطلوب من خلالها هذا المشروع دمج الطاقات البحثية مع المجتمع وإعطائها القدر الأكبر من الأهتمام والدعم لصالح الجميع .

يتحدث علماء العالم المتقدم عن الأشكال العديدة لما يسمونه بصدمة المستقبل وهذا التعبير هو فى الواقع من أشهر كتب ثنائى المستقبليات الشهير **ألفين وهايدى توفلر** "FUTURE SHOCK" فمثل هؤلاء العلماء يندمجون فى البحث والاستغراق فى تصورات وسيناريوهات مستقبلية تخص أوطانهم وتمتد إلى كل بقاع العالم .. وبدلاً من أن نستغرق نحن فى نفس الأمر مع الصعوبات المعروفة القائمة فإننا نعمل تحت عبء كبير وهو عبء أوضاع البحث العلمى وعبء افتقاد القاعدة العلمية الحقيقية وغياب فكر وعبور الجزر المنعزلة من ناحية وموازين القوة الدولية التى يتعين علينا أخذها بعين الاعتبار من ناحية أخرى ...

وهذا يجعل اختبار الله سبحانه وتعالى لنا كبيرا ، فإذا أردنا أن نتمسك إلى الرمق الأخير فى ظل هذه الأعباء الصعبة بصيغة الفاعل أو على الأقل الخروج من حيز «المفعول به» - فإن ما علينا القيام به لا يتمثل فى التعامل مع «صدمة أو صدمات المستقبل» كألفين وهايدى توفلر وغيرهم من العلماء بل أن علينا التعامل كذلك مع أشق صدمات المناخ الثقافى التى يحتاج التعامل معها إلى كل الصبر والجهد

(١) السابق .

والحوار ، والعمل على تأسيس قاعدة عريضة من الأطراف المعنية ومنها صانع القرار والتيارات الفاعلة بشأن العمل على تدشين ما يؤسس ويؤدى إلى الحد الأدنى على الأقل من المناخ العلمى الصحيح والفاعل الذى يمكن علماء الأمة وباحثيها من المشاركة الفعالة مجابهة التحديات ، والتمكين من الحد الأدنى للقيام بواجبهم نحو أمتهم مع التقليل من عوامل الإعاقة الكثيرة القائمة والإهدار غير المبرر والقائم فى واقعنا الثقافى تحت مسميات مختلفة ومعروفة ولقد أفدنا أن من أهمها فجوة الإدارة وحالة الجزر المنعزلة وعدم الاهتمام الكافى بإنشاء قاعدة علمية حقيقية تنبثق من الاهتمام بفرق العلماء من كافة التخصصات لمواجهة أزمات ونوازل راهنة ومستقبلية تحتاج إلى قوة بحثية قابلة للتفعيل والتوظيف لشغر مساحات مهجورة وكبيرة لا نتفاوض بعد لشغرها وملئها بتواجدنا الفعال إلى اليوم ؛ اللهم إلا على مستوى الأداء الفردى فقط والذى يواجه حقيقة الجيوش العلمية وخطوط الآخرين المنتظمة والذين يتحركون بشكل متكامل على الدوام ، ... فما أبشع تلك الغربة حينما يكون موقعنا فى المربع رقم واحد أو سرعان ما نعود إليه كلما خرجنا منه .. فلا يبقى للباحث العربى إلا مشروعه البحثى الفردى الخاص به .. ومهما كان متميزا فيه فهو حتما لا يفى بغرض تحرك أمة عريقة تملك الكثيرة من الباحثين وكثير من الطاقات المبدعة التى إن توحدت وتم تفعيلها بشكل جيد لتم احتواء عشرات الأزمات والنوازل التى يسهل التنبؤ بها وتجنب الكثير من الأوضاع الراهنة التى لا نحسد عليها . وهل سيناريوهات الصدام الحضارى التى انتشرت على مستويات عديدة على الساحة الدولية قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وعدم التعامل الإيجابى معها واحتوائها أولاً بأول وعلى نفس المستويات التى تتفاعل فيها سيناريوهات الصدام ووجود إمكانيات متاحة على المستوى العربى الإسلامى للتعامل والحركة الإيجابية بدلاً من حالة التقوقع والجمود واللا فعل والكف عن «الحوار المنولوجى الداخلى فيما بيننا» .

★ «من ليس له مكان فى الفضاء فهو خارج السباق ... الفضاء بعناه الواسع يكون على الأرض وخارجها!»

... وهل كان لهذه السيناريوهات التصادمية التى انطلقت لتوجه رد الفعل الأمريكى أن تكون بنفس القوة والفاعلية لو كنا قد قمنا بواجبنا منذ مدة ؟ بالطبع لا ... لا شك أن عدم التحرك المطلوب قد زاد من حالات الاستعداء وزيادته عن غير حـــق وظلم ... واللا فعل ليس كالفعل فى كل الأحوال والله المستعان وهو نعم المعين .

ولعلنا نختم هـــذا الجزء بمقولة أو شعار رفعتـــــه هيئة الفضاء الأمـريكية ناسا NASA يقول :

"Those Who are out of the Space are out of the Race"

أى «هـؤلاء الذين أصبحوا خارج المنافسة فـى الفضاء فهـم خـارج السباق الآن ...» ... وليس الفضاء هو ذلك الفضاء الخارجى فقط بل فضاء المساحات المهجورة التى لا نملك اليوم إلا أن نشغلها بالتواجد وبالعلم وبالجهود الكبيرة التى لا يمكن أن تحقق فيها الجهود الخلاقة إلا بأبناء هذا الوطن المعطاء بعون الله وفضله ففيه خير أجناد الأرض المرابطون إلى يوم الدين ...

(٢) تحديات الدور المصرى والنظريات الحاكمة للتفاعلات الدولية وصراعات الألفية الثالثة

(رؤية مستقبلية لحالة السيولة فى النظام الدولى ونظرياته)

فى يناير من ١٩٩٥ وجهت له دعوة من الهيئة العامة لقصور الثقافة بوزارة الثقافة المصرية بالإشتراك مع جامعة المنيا للمساهمة فى فاعليات المؤتمر العاشر لادباء مصر فى الأقاليم كى أكتب بحثًا عن «الهوية والشرق أوسطية» ... واطرح ما أراه مهماً لمناقشته وسط حشد هائل من المثقفين المصريين ممن شاركوا فى ذلك المؤتمر ... وكان موضوع «الشرق أوسطية» من الموضوعات عالية التردد والذكر فى ذلك الوقت ، فكتبت بحثًا أوليًا مستقبلياً بعنوان «الهوية» و«الشرق أوسطية» وصراعات القرن القادم : دراسة من منظور النظريات الحاكمة للحوار الدولى ...»[١] وأجد من المهم إعادة نشره بنص دون إعادة صياغة لأنه وبالرغم من كتابته من قبل الاستشراق المستقبلى منذ ٧ سنوات اليوم إلا أننى أجده لا يزال مناسبًا لما يتضمنه من تحليل للنظريات الرئيسة الحاكمة للتفاعلات الدولية منذ التسعينات إلى اليوم بغض النظر عن حجم وقياس مؤشرات التفاعلات فى إطار كل من هذه النظريات ... فبالرغم من أهمية ما كنا نقوله ولا نزال ننادى به من تدشين مجامع الفكر المستقبلى الكبرى القادرة على وضع وقياس مثل هذه المؤشرات وتحليلها من منظورنا ومن خلال منظومات تفاعلية جماعية ، إلا أن التحليل النوعى المبدئى الذى قدمناه ويقدمه آخرون فى واقعنا الثقافى العربى بشكل فردى لا يزال هو **ما نملكه** ونؤدى وننجز من خلاله قدر الطاقة ... ولا يزال هو المعبر عما حاولنا استشرافه ونجده لا يزال صالحًا إلى اليوم .. ولا يزال معبراً عما نراه **للدور المصرى** فى هذه الجزئية[٢] ، من هنا نعيد نشر هذا البحث فيمايلى :

---

(١) راجع كتاب ندوة أدباء مصر فى الأقاليم ، قصور الثقافة – وزارة الثقافة المصرية لعام ١٩٩٥م .

(٢) جاز هذا البحث بما أثاره من مناقشات فى ذلك الوقت على تغطية اعلامية اكدت على أهمية النظرة المستقبلية المتكاملة والتحرك على هداها بعيداً عن الاندهاش والتناحر والاحتقانات التى يعبر عنها المؤتمرات فى كثير من مؤتمرات واقعنا العربى ، على سبيل المثال راجع ما كتبه محمد بغدادى فى مجلة صباح الخير فى ذلك الوقت بعنوان «كارثة» النظر إلى المستقبل بعين واحد» (١٩٩٥/١٢/٢٨) .

نص البحث بعنوان «الهوية» و«الشرق أوسطية» وصراعات القرن القادم: دراسة من منظور النظريات الحاكمة للحوار الدولى

د. حسن وجيه*

إن المفاهيم الثلاثة المشار إليها أعلاه فى عنوان هذه الدراسة من المفاهيم التى يتم تناولها وتحليلها بين الحين والآخر فى سياقات حوارات عديدة فى واقعنا الثقافى وفى عالمنا المعاصر .. وأحيانا تثار بمعزل عن أحداث بعينها وكثيراً ما تثار فى إطار أحداث جارية .

فموضوع «الهوية» قد ناله الكثير من التحليلات سواء فى المجال الأكاديمية[١] أو فى المجال الاعلامى[٢] وكثيرا ما أثير فى حد ذاته أثناء قيام البعض باثارة سؤال يعبر عن تقوقع وانسحاب وتغييب هو : من نحن ؟ وماذا نريد ؟ ..!!

أما مفهوم الشرق أوسطية فهو مفهوم له هو الآخر تاريخ طويل وملفات حوار عديدة يمكن رصدها منذ الأربعينيات إلى يومنا هذا . ولقد أثير المفهوم مؤخراً بشكل مكثف من خلال التفاعلات التى صاحبت انعقاد مؤتمر الدار البيضاء (١٩٩٤) ثم فى إطار مؤتمر عمان أكتوبر ١٩٩٥وهو موضوع مثار هذه الأيام فى برشلونه وفى إطار مفاوضات المشاركة (الشراكة) العربية الأوروبية (نوفمبر ١٩٩٥) .

أما المفهوم الثالث فهو «صراعات القرن القادم» فهو موضوع فى غاية الأهمية ويشغل فكر واهتمام أكبر مؤسسات ومراكز إدارة الأزمات ومنعها فى عالم اليوم ولقد بدأ اهتمام خاص بهذا المفهوم فى أعقاب حرب الخليج الثانية (١٩٩٠) والتى صاحبها انتشار وذيوع مفهوم «النظام العالمى الجديد» ومفهوم «السيولة» التى وصف بها الكثيرون طبيعة ذلك النظام العالمى الجديد الذى يتشكل اليوم من واقع الأحداث المتلاحقة ومحاولات تحريكها فى إطار عالم يصفه البعض بأنه «أحادى القطبية» والبعض الآخر يصفه «بأحادى القطبية المؤقتة» والبعض الآخر يراه على أنه «متعدد القطبية» ويتسم بتنافس تكتلات اقتصادية وسياسية عديدة فى عالمنا المعاصر .

(*) د. حسن وجيه خبير التفاوض والحوار الدولى – جامعة الأزهر ومستشار معهد الأهرام الإقليمى للصحافة .

(١) فى الواقع الأكاديمى نجد عشرات الأبحاث عن الهوية وعلى سبيل المثال لا الحصر انظر إلى المراجع التالية :

* كتاب المراجع الثقافية فى الزمان : أبحاث المؤتمر الخامس للمجموعة الأوروبية العربية للبحوث الاجتماعية – تحرير مراد وهبة ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٩٢ .

* قضية الهوية فى مصر فى السبعينيات : دراسة فى تحليل بعض نصوص الخطاب السياسى – رسالة ماجستير – أميمة مصطفى ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة .

(٢) "Clash of civilization", Foreign Affairs 72:3 (summer 1993) (مجلة الشئون الخارجية) .

وفى إطار مناقشة هذه المفاهيم يمكننا تقديم اجابات أكثر دقة لسؤال محورى ومركب تعنى هذه الدراسة بمحاولة الإجابة عليه وهو : إذا كان السياق هو الذى يمكّننا من فهم الظواهر وإنماط الحوار وتقديم تفسير دقيق لها فإن سياق كل من مفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» فى إطار هذه الدراسة هو فى الواقع تلك النظريات الحاكمة الحوار والتفاوض الدولى فى النظام العالمى الحالى ومن ثم فإن تحليل مفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» يختلف بصورة أو بأخرى عندما نطبق نظرية بعينها لنرى المفهومين من خلالها ... وهذا يجعلنا نطرح الشق الأول من السؤال المركب وهو : ما هو التحليل المستمد من كل نظرية من هذه النظريات لمفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» ؟ أما الشق الثانى فهو : ما هى النظرية التى ستهيمن أكثر فى الحاضر والمستقبل وستكون لها دلائلها الأقوى فى واقع الأحداث وتوجيه مساراتها وكذلك ما هى محددات نظرية تنبع من واقعنا لإدارة الصراع من منطلقاتها ؟

ولعل من الضرورى أن نرصد هذه النظريات الحاكمة (والتى يعنى كاتب السطور برصدها تفصيلاً فى دراسة أخرى) ونعرض للتفسير الذى من الممكن أن نقدمه على ضوئها للمفهومين (الهوية والشرق أوسطية) وهذه النظريات كمايلى :

١- نظرية «صدام الحضارات» :

وهنا لا أقصد فقط نظرية «صموائيل هانينجتون» مدير معهد أولين للدراسات الاستراتيجية فى جامعة هارفارد المعروفة بل ما أقصده هنا كل هذه النظريات التى ظهرت وتظهر من وقت لآخر وتنبنى على مواجهة الآخر وفكر المؤامرة وإلى ما ذلك . وبإختصار فإن نظرية هانتينجتون تقول بأن النظام العالمى السابق كاد يقوم على صراع بين ثلاث قوى رئيسية وهى الولايات المتحدة – الاتحاد السوفيتى – والعالم الثالث ، أما النظام العالمى الجديد فيقوم على صراع بين ثمانى حضارات هى : الحضارة الغربية ، اليابانية ، الكنفوشيوسية ، والهندوكية ، والأميريكية اللاتينية والارثوذكسية السلافية والحضارة الإسلامية وهو كذلك يعتقد أيضا أنه يمكن أن تضاف إلى هذه الحضارات الحضارة الأفريقية ، وهو يرى أن الحضارات الثمانى الكبرى تختزن قوى الصراع المستقبلى .. وعلى هذا الأساس فهو يرى أن حروب المستقبل سوف تجد جهات لها فى نقاط التماس بين الحضارات خاصة بين الإسلام من ناحية وكل حضارة من هذه الحضارات على حدة . ويرصد هانتيجتون الأمثلة للتدليل على ما وصل إليه من استنتاجات .

والنقطة الرئيسية أن هانتيجتون بنظريته هذه قد رشح الإسلام كعدو ليتفق فى

ذلك مع منظرين فى الغرب وصفوا الإسلام بأنه «الخطر الأخضر» Green peril كبديل «للخطر الأحمر» الذى تلاشى بانهيار الاتحاد السوفيتى السابق .

وطبقاً لنظرية هانتيجتون هذه أو أى نظريات أخرى مماثلة فإن تقديم رؤية لمفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» تقول بالآتى :

(١) أن «الشرق أوسطية» هو مفهوم ثقافى وحضارى من أساسه وأنه يستهدف طمس الهوية العربية الإسلامية واستبدالها بهوية أخرى شرق أوسطية تتسع أساساً لدمج إسرائيل فى المنطقة إلى الحد الذى وصل به لأن ينادى زعماء إسرائيل بالغاء الجامعة العربية وتغيير اسمها بانضمام إسرائيل لها .

(٢) أن لغة غزو المنطقة العربية ومركز العالم الإسلامى تختفى وراء لغة السوق وإذا كان الادعاء هو الرخاء الاقتصادى فإن الهدف من الشرق أوسطية هو تحويل العالم العربى والإسلامى إلى نوع آخر من البشر الذى ينفصل عن انتماءاته ويتبنى ثقافة الاستهلاك والخضوع لقيم الاستهلاك والقيم الغربية الحضارية الأخرى .

(٣) أن «الشرق الأوسط» مصطلح صاغه الاستعمار والقوى المعادية للمنطقة العربية والعالم الإسلامى قديماً ومنذ الأربعينيات ويطرحونه اليوم مرة أخرى فى وجود إسرائيل .

٢- نظرية التكتلات الاقتصادية / الاقليمية :

وهذه نظرية مخالفة لنظرية صدام الحضارات إلى حد بعيد فهى تنبنى على أساس أن التكتلات الاقتصادية هى ما يحتاجه عالم اليوم والنمو السكانى وتحديات المستقبل ومشاكل البيئة . وهى نظرية يحاول من يتبناها أن يقفز فوق الاختلافات الثقافية وصراعات الماضى ، والنظر للجانب الانتخابى لفكر العولمة المبنية على الشرعية الدولية لأساس ويشهد العالم بزوغ هذه النظرية فى عالم اليوم من خلال «الاتحاد الأوروبى» ودول «النمور الأسيوية» و«النفاتا» ومفهوما «الهوية» و«الشرق أوسطية» يمكن رؤيتهما هنا على أساس مايلى :

(١) أن الشرق أوسطية هى السبيل أمام دول المنطقة كلها لتحقيق الرخاء الاقتصادى والتنافس فى عالم التكتلات الراهن .

(٢) أن البعض فى إطار فهمه لفكر التكتلات الاقتصادية يؤكد على مبدأ نسبية الهوية ... والبعض الآخر يذهب إلى الحد الذى يقول بأنه «الهوية تعطل التنمية» ! ....

(٣) أن هناك من لا يرى اتناقضاً - فى ظل فكر التكتل الاقتصادى - بين الهوية والشرق أوسيطة وهنا نجد كتابين يؤكدان على هذه الفكرة إحداهما للأستاذ

لطفى الخولى «عرب نعم .. وشرق أوسطيون أيضا» وكتاب الاقتصادى المصرى د. محمود وهبه بعنوان «إسرائيل والعرب والسوق الشرق أوسطية»[١] .

(٤) أنه على الجانب الآخر كتب شيمون بيريز كتابه بعنوان «الشرق الأوسط الجديد» وطرح فيه تصوراً اقتصادياً وأمنياً للمنطقة ويرى من خلاله أن حل مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى وديمومة السلام تعتمد على الادماج الاقتصادى لإسرائيل فى النظام الاقليمى الشرق أوسطى وكذا الادماج الأمنى ، بمعنى أن السبب فى الصراعات فى تلك المنطقة هو سبب اقتصادى أساسا يرجع إلى تواضع مستويات النمو الاقتصادى فى المنطقة والضعف الشديد للتبادل التجارى فيما بينها ، وبقيام السوق الشرق أوسطية تستطيع إسرائيل التى تمتلك العقول والمشروعات أن تكون رائدة للتنمية الاقتصادية فى المنطقة ، وبالتعاون بين العرب وإسرائيل تجاريا واقتصاديا وعلميا يمكن النهوض بمستوى المعيشة فى المنطقة ونزع أسباب النزاع الاقتصادى وبالتالى تحقيق ديمومة للسلام .

ولكن وبطبيعة الحال فإن الترجمة والتفسير الآخر لكتاب شيمون بيريز هذا هو أن يكون محصلة مشروعه «الشرق أوسطى» هذا هو الخضوع الاقتصادى والأمنى لإسرائيل وتحقيق نوع من العلاقات غير المتكافئة اقتصاديا وأمنيا واغلاق أى مسار للقوة والنهضة عربياً بحيث يكون احتلال القوى الشديد مدخلا إلى «السلام الشامل» على الطريقة الإسرائيلية .

(٣) نظرية التبعية الاقتصادية :

وهذه النظرية يتمخض عنها هى الأخرى نظريات أخرى تحت مُسميات مختلفة ولكنها تجمع على اعتبار الغرب الأوروبى / الأمريكى مركزاً لتجميع فائض القيمة الاقتصادية العالمى على حساب دول الهامش ومنها دول «العالم الثالث» ولعل من أهم المنظرين لها الباحث العربى سمير أمين .

وهذه النظرية هى الأخرى تندرج تحتها مسميات حديثة أخرى[٢] ولعل من

---

(١) إسرائيل والعرب والسوق الشرق أوسطية ، د. محمود وهبة الناشر المكتبة الأكاديمية – القاهرة ، ١٩٩٤ ، راجع أيضاً كتاب أ. لطفى الخولى بعنوان عرب نعم وشرق أوسطيون أيضاً .

(٢) بخصوص مزيد من المسميات والتفصيلات التى يمكن إدراجها تحت عنوان «نظرية التبعية الاقتصادية» راجع مقال أ. عاطف الغمرى ٩٥/٧/٢٦ والذى يرصد فيه دراسات هامة حديثة فى هذه الصدد ومنها دراسة بعنوان «الأصولية الاقتصادية» نشرها المعهد الملكى للشئون الدولية ببريطانيا ويذهب من خلالها إلى القول بأن هناك تماثلاً بين حركة البيئة المعاصرة فى الغرب والحركات الأصولية المعاصرة (غير الأقتصادية) وأن هناك محاولة من جانب الأصولية الاقتصادية (الممثلة فى حركة البيئة) لغرض ضوابط وقيود على عمليات النهوض الاقتصادية فى الدول غير الغربية تحت اسم حماية البيئة .... ويقارن أ. عاطف الغمرى بين «الأصولية الاقتصادية» ونظرية صدام الحضارات فيقول إن النظريتين تجعلان العدو المسلم مجرد رمز لحشد الطاقات لمواجهته والاضافة الحقيقية للأصولية الاقتصادية هى إنها قد جعلت خط المواجهة مع العدو المسلم والمسيحية الشرقية معاً فى نفس الخندق .

الأمثلة الواضحة ذات الدلالة فى عالم اليوم مفاوضات «الجات» بداية بدورة أوروجواى للاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة الجمركية والتى بدأت فى الثمانينات وقبل حدوث التغيات الهائلة فى بنية النظام العالمى اليوم ... ومن المعروف أن صراعات هذه المفاوضات تتركز حول تشريع اطلاق حرية اقتحام الاقتصاديات المتقدمة للأسواق غير المتكافئة ، ليس فقط فى مجال السلع الزراعية والصناعية ولكن أيضا ولأول مرة فى مجال الخدمات على كافة أنواعها بما يغطى كل عناصر الاقتصاد القومى ، كما أنها تهدف إلى تقنين التبعية التكنولوچية عن طريق تكريس ما يسمى بحقوق الملكية الفكرية ليس فقط فى مجال الصناعة والخدمات ولكن أيضا فى مجالات الزراعة والصحة والمعلومات والاتصال . إلا أن هناك هوامش يمكن الخوض فيها وتوسيعها من خلبال إرادة الفعل التفاوضى النضالى من قبل الدول العربية وهما دول الجنوب إذا حدث التلاقى على أجندات مشتركة ولهذا سياق تفصيلى آخر» .

ولعل مفاوضات المشاركة العربية الأوروبية الراهنة تشهد نفس ذات الصراع بشكل أو بآخر حيث يخشى الجانب العربى أن يكون الهدف هو تحقيق الهيمنة التامة رغم كل الحجج الأخرى التى تقول بعكس الصراع بل التعاون من أجل الأخذ بالاقتصاديات النامية ورفع مستواها على الأقل كى تكون دولها منتعشة نسبياً حتى تتمكن من اقامة أسواق من المستهلكين لمنتجات الدول المتقدمة .. أى أن الهيمنة لن تكون صفرية كما يرى البعض الآخر المتخوف ... والموضوع بحاجة إلى تفاصيل أخرى .

وإذا أردنا أن نرى تفسيراً لمفهومى الشرق الأوسطية والهوية لذكرنا المبدأ المعروف وهو أن الهيمنة الاقتصادية تؤدى إلى الهيمنة الثقافية ومن هنا فإن مفهوم الهوية سيكون مفهوم متراجع ونسبى ... أما بالنسبة للشرق أوسطية فإن هيمنة إسرائيل إذا حدث ذلك فهى جزء من النظرية ... فهى بشكل أو بآخر ... جزء من الغرب ... جزء من مركز العالم لتجميع فائض القيمة على حساب دول العالم العربى والإسلامى بطبيعة الحال[1] .

(١) لمزيد من التفاصيل بخصوص إبعاد مفاوضات الشراكة العربية الأوروبية وخاصة البعد الثقافى راجع أبحاث مؤتمر منظمة الأمن والتعاونى الأوروبى والتى عقدت دولها الـ ٣٥ مؤتمراً هاماً فى القاهرة فى الفترة من ٢٧ - ٣٠ سبتمبر ١٩٩٥ وبخصوص البعد الثقافى راجع البحث التالى الذى قدمه كاتب السطور وهو بعنوان :

'Conscious and unconscious linguistics

As A new Dimensions In Confidence - Building Measures: The Case of The Euro- Arab (MED) Dialogue".

(٤) نظرية الكنتونات والكيانات الصغيرة (البلقنة):

وهذه النظرية تندرج فى إطارها مسميات ونظريات عديدة ومنها نظرية «البلقنة» و«العثمنة» .. أي وجود مركز قوى وحوله كيانات يتم تفتيتها ولقد تحدث الكثيرون عن هذه النظرية ولكن ما يعنينا فى منطقتنا ما ذكره المفكر العالمى «فوام تشومسكى» فى كتابه الهام «المثلث المحتوم» حيث ذكر أن هدف إسرائيل هو ما يمكن تسميته بعثمنة «المنطقة العربية» (otomanization) والمقصود هو الرجوع إلى نظام الامبراطورية العثمانية بشكل آخر ... أى إيجاد مركز قوى يهيمن على المنطقة بعد اضعافها وتقسيمها إلى أجزاء وجماعات دينية وعصبية ومن المفضل أن تكون هذه الجماعات فى حالة عداء مستمر لبعضها البعض ليسهل على مركز القوة (إسرائيل الآن) مباشرة السيطرة التامة عليها[1] .

ويتسق مع نظرية نظرية الكيانات الصغيرة والكنتونات ما نجده من تردد كبير لتطبيق مفهوم «الفيدرالية» فى المنطقة العربية كأحد المفاهيم التى تصاحب الترويج لذكر «الشرق أوسطية» .. حيث المطروح بقوة الآن هو قيام كونفدرالية بين الأردن وسلطة الحكم الذاتى الفلسطينى تعقبها كونفدرالية أوسع نطاقاً بين الأردن والسلطة الفلسطينية وإسرائيل لتكون هذه الكونفدرالية هى محور التحرك الشرق أوسطى الجديد .

فكر البلقنة والشرق اوسطية :

فى حين تقتنع إسرائيل بل وتعمل على إنشاء المحور الرئيسى للشرق أوسطية من خلال الكونفدرالية المشار إليها اعلاه فإن هذا يعكس بطبيعة الحال فكر التكتل فى إطار هذا المحور ولكنه تكتل تسيطر عليه إسرائيل من خلال إدارة الاختلافات بين الأردن وسلطة الحكم الذاتى بالحد الذى يوجد مساحة للكونفدرالية ومساحة أخرى لتحجيم كل منهما الآخر ... وفى مقابل هذا المحور الذى يمثل فى النهاية كتلة كبيرة هناك سعى حثيث لزرع فكر البلقنة والكانتونات والكيانات الصغيرة فى الوطن العربى وبداية هذا التطبيق لذلك الفكر هو ما هو مطروح فى كل من السودان والعراق ، ففى السودان هناك من يروج إلى تحقيق الفصل بين الجنوب والشمال فى دولتين وفى العراق مقترح أن تكون عراق ما بعد صدام هى ثلاثة دول واحدة للاكراد

(١) راجع كتاب نوام تشومسكى التالى :

The fateful Triangle, Noam Chomsky, south End press, MA 1983.

وراجع كذلك بخصوص تفصيلات موضوع «البلقنة» «العثمنة» مقال كتاب السطور التالى :

«مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى – حسن وجيه – المجلة العربية للدراسات الدولية شتاء ١٩٨٨ – واشنطن .

فى الشمال وثانية للشيعة فى الجنوبل وثالثة للسنة فى الوسط ... لتتجمع فى كونفدرالية عراقية .

وفى مصر ، ومن خلال ما أثير فى ملف ما عرف بملف الأقليات هناك من يريدها ثلاث دول ؛ مسلمة ، ومسيحية ؛ ونوبية ، تجمعها كونفيدرالية ... ناهيك عن لبنان وسوريا والجزائر والمغرب ...

البلقنة والشرق اوسطية والإرهاب :

فى إطار الحديث عن نظرية الكيانات الصغيرة أورد أ. محمد سيد أحمد فى مقال له بعنوان «حروب القرن الحادى والعشرين) الإهرام ٩٥/٤/٢٧ نقلا عن مجلة نيوزويك ٩٥/٤/١٧ حوار مع مؤرخ إسرائيلى يدعى مارتن فإن كريفيلد عن حروب القرن القادم فقال إنها حروب يتم خوضها الآن كما نشاهد فى البوسنة والصومال وانجولا وكردستان ولبنان وسريلانكا ... إنها حروب لا تمارس بين «دول» وإنما تزاولها نوعية أخرى من «الكيانات» وهناك ما يقرب من ثلاثين حرباً من هذا النوع وذكر هذا المؤرخ أن الحروب القادمة لن تمارس بالجيوش النظامية ولن تستعين بالأسلحة شديدة التقدم ... وإن الذى يحل محل «الدولة ذات السيادة» هو كيانات فوق القومية مثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى والنافتا ... وغيرها . وفى المقابل مئات والمئات من الكيانات دون القومية ... وقد لا تحمل الكيانات فوق القومية صفة أن الناس تولى لها الولاء ... وإن ولاء أغلب الناس يذهب إلى كيانات دون القومية .. وقد يكون لهيئات اقتصادية أو لقبائل أو لعصبيات وبذلك أصبحت «الدولة» معرضة لضغوط من أعلى ومن أدنى ... ولعلنا نرى هنا أن من الكيانات دون القومية اليوم وولاء البعض لها ينعكس فى جماعات الإرهاب المنتشرة فى عالم اليوم ...

ولعل من سيناريوهات الراهن فى المنطقة العربية هى سيناريو التفتيت بالإرهاب .. فلقد دأبت إسرائيل وقوى أخرى على تمويل وزراعة وتنميةعناصر الإرهاب – ولو أنها انكوت بناره مؤخراً بقتل رابين إلا أنه يبقى وسيلة لشرق أوسطية محتملة على أساس البلقنة . ولعل نبأ واحداً كان له دلالة كبيرة نشر فى جريدة الحياة وعلى صدر الصفحة الأولى بتاريخ ٩٥/١١/٢٢ يذكر أسماء بعينها من قيادات الإرهاب الهاربة خارج مصر تصرح جهاراً ونهاراً من سويسرا بأنها المسئولة عن الحادث الأخير بنسف السفارة المصرية بإسلام اباد ببكستان ... كنوع من «الجهاد» حتى يتم تحقيق انشاء «الدولة الإسلامية» فى مصر !! وكتأديب لباكستان لتعاونها مع مصر وتسليمها إرهابية بها لمصر ... إن دلالة هذا النبأ الذى تصدره أسماء إرهابية بعينها ما كان ليحدث لو لم تكن هذه الأسماء (الكوادر) فى ظل رعاية وحماية وتدعيم فوقى من قوى كبيرة فى العالم تجعل للمواجهة الحاسمة جداً حسابات كبيرة ومركبة .

الخلاصة :

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نقدم تفسيراً لكل من مفهوم «الهوية» و«الشرق أوسطية» من خلال معطيات النظريات الرئيسية الحاكمة للحوار والتفاوض الدولـــى فى إطار هذا النظام العالمى الجديد .. وهى نظرية صدام الحضارات والنظريات المماثلة والتى تزكى صراع الهوية فى عالم اليوم ... ولكن هذه النظرية لا تعبر عـن توجه الغرب كله ... فلقد أكدت على أن الإسلام هو الخطر الأخضر القادم للعالم (Green peril) ولابد من مواجهته ولكن جاءت ومن ذات الغرب النظريات المفندة والمهاجمة لها وجاء من يقول «أى خطر أخضر تتحدثون عنه ؟!» (What Green peril) [1] ... وعلى العموم ، فإن الشرق أوسطية فى إطار مثل نظريات صدام الحضارات سوف تكون مجرد اسم لصراع الهوية والحضارة ... أما نظرية التكتلات الاقتصادية فهى التى تحمل فى منطلقاتها انطلاق الشرق الأوسط إلى آفاق اقتصادية جديدة وفى إطارها تتراجع قيمة الهوية لتصبح نسبية وحجج أنصار هذه النظرية تقول بأن تجربة الإتحاد الأوروبى لخير دليل على ذلك حيث أن الجروح والماضى الصراعى بين دول أوروبا قد تم عبوره لصالح لا يمكن التفريط فيها بغية النمو والرخاء الأوروبى والإنسانى وكذلك ذهبت وقائع ندوة اقامها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام عن «السوق الشرق اسيوية» حيث ذهبت تحليلات المحور الثقافى إلى أن دول النمور فى اسيا ليست نسيجاً متطابق هى الأخرى وقد تم عبور فجوات من الماضى لصالح المستقبل كذلك عبرت تحليلات عديدة فى إطار هذه النظرية إلى أن فكر التكتلات الاقتصادية فكر يبتعد عن المباراة الصفرية وهو فكر اسوء حالاته يتطلب فتح أسواق وهذا يعنى أن يكون أهل أوطن أى سوق منتعش لدرجة أن يكون مستهلكاً لأنماط وأشكال من حياة الرفاهية والتكنولوچيا الحديثة .. أما نظرية التبعية الاقتصادية فهى تفترض أن التكتلات الاقتصادية هى شىء وهمى فيما يتعلق «ابالشرق أوسطية» حيث أنها غطاء لكى تسيطر إسرائيل على المنطقة العربية ومركز العالم الإسلامى ولقد تعرضنا للفكر الإسرائيلى فى هذا الصدد من خلال كتاب شيمون بيريز الشرق الأوسط الجديد والذى أعقبه بتصريح له رداً على مقولة الهيمنة الاقتصادية الإسرائيلية على العرب بأن السوق الشرق أوسطى هو لضمان استمرار السلام .. أما إسرائيل فإنها لا تريد الهيمنة الاقتصادية وإن النسبة الأكبر من تعاملاتها إنما تتم مع الغرب فى أوروبا وغيرها من بلدان العالم الآمر الذى أراد به أن يهدىء من نيران حرب الهوية القائمة ... كذلك فإن من بين الكتب العربية التى حاولت إدارة الصراع لصلح ميزة التكتلات كتابىّ أ. لطفى الخولى «عرب نعم وشرق

(1) "what Green Peril", by Icon T. Hadar Foreign Affairs, Spring 1993.

أوسطية أيضاً » وكتاب الاقتصادى المصرى د. محمود وهبة بعنوان «إسرائيل والعرب والسوق الشرق أوسطيون» ووجهة نظرهما تتفق مع مقولة للأستاذ محمد حسنين هيكل فى مقاله بعنوان «العرب على أعتاب القرن الـ ٢١»[١] حيث يقول فى معرض حديثه عن مشكلات الواقع العربى والتناقض المفتعل بين الوطنية والقومى «... **كأن كل واحد منا لا يملك غير هوية واحدة تستبعد إلى حد الالغاء كل شخصية سواها ، والغريب أن الأوروبى يستطيع أن يكون فرنسيا مثلا ، وأن يكون أوروبيا وأن يكون غربيا ، وأن يكون مسيحيا ، كلا فى الوقت نفسه . وأما نحن فمكتوب علينا أن نكون بعداً واحداً فقط ، فإذا تعددت الأبعاد حل الشرك**» (ص ٢٠) .

أما تحليل مفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» فى إطار نظرية «التبعية الاقتصادية» فإنها توصلنا إلى أن مفهوم ولغة الشرق أوسطية ومصلحاتها إنما هى غطاء لتكريس التبعية وإغلاق أى مسار لأحداث نهضة حقيقية فى وطننا العربى وعالمنا الإسلامى لاحداث نهضة حقيقة فى وطننا العربى وعالمنا الإسلامى . وهنا فإن هويتنا مستهدفة .

أما التحليل فى إطار النظرية الرابعة وهى «الكانتونات والكيانات الصغيرة أو البلقنة . فهى تقدم تفسيراً لا يخالف تفسير النظرية السابقة ونظرية صدام الحضارات من حيث أن «الشرق أوسطية» معناها انشاء محور قوى تسيطر عليه إسرائيل وتستوعب فى حركة توجيهه كل من الأردن وسلة الحكم الذاتى الفلسطينى لتفتيت بقية العالم العربى إلى كيانات صغيرة تسيطر عليها إسرائيل كمركز «للبلقنة» أو «العثمنة» .

نحو نظرية حاكمة من واقعنا :

إن ما نخلص إليه فى إطار تحليل مفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» بعد عرض التفسيرات الخاصة بهما من خلال أهم النظريات الحاكمة للحوار الدولى الراهن هو أن هناك من القوى العديدة فى العالم التى تدفع وتجسد نظرية بعينها بتحقيق أجندتها ولصياغة شكل هذا النظام العالمى الجديد الذى يأخذ فى التشكيل .. وأن علينا بالتالى أن نكون على يقظة ووعى تام بمعطيات هذه النظريات ورصد آليات تنفيذها وعلينا فى نفس الوقت أن نكون نظريتنا الخاصة بنا التى تستمد أطراها من واقعنا الثقافى ومصادر هويتنا العربية والإسلامية التى هى بمثابة أجندة تفاوضية

(١) مقال للأستاذ محمد حسنين هيكل بمجلة المستقبل بعنوان «العرب على اعتاب القرن الـ ٢١» اصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، ديسمبر و ١٩٩٤ (ص ٢٠) .

فى حد ذاتها ينبغى وأن نحققها لصالح هذه الهوية ولصالح تقدم أبنائها وعزتهم وانتصارهم ودحر واحباط كل ما ينال منا . ولعل أسس نظريتنا التى ينبغى وأن تكون نصب أعيننا تتلخص فى النقاط التالية :

(١) أن التفاعل الإيجابى وعدم نفى الآخر وتحقيق السلام فى عالمنا هو أساس لابد وأن نقره لكن فليكن النظام العربى والسوق العربية المشتركة هى البديل الممكن لهيئة الشرق أوسطية بأشكالها السلبية وغموض بعض جوانبها الراهن .

(٢) إن استمرار التصدى لإحباط كل ما ينال من الهوية العربية الإسلامية هو السبيل للمواجهة الإيجابية كشرط أساسى لاستمرار حياة الجذور والمحافظة على الجذوة مشتعلة حتى تحت الرماد وهكذا وفى ظل خلل كبير فى ميزان القوى وفى حالة تردى غير مسبوق نعانى منه فى عالمنا العربى الإسلامى فإن المواجهة قد لا تعنى الانتصار ولكنها تعنى المقاومة الإيجابية والمحافظة على الجذور حية ... أما خضوعنا واستسلامنا لما يتعارض مع هويتنا وأجندتنا إنما يعنى الضياع إلى الأبد .

(٣) أن المحلل الموضوعى لا يخفق فى رصد مقولات تؤكد على فرض سلام القوة والهيمنة وأحدث هذه المقولات ما ورد فى تصريحات يوم كتابة هذه السطور ٩٥/١١/٢٥ على لسان وزير خارجية إسرائيل الذى هدد باستخدام القوة العسكرية ضد أى دولة عربية ترفض الأوضاع الاستراتيجية التى حددتها إسرائيل بخصوص الضفة الغربية والجولان والقدس الموحدة (!!)

(٤) علينا التمسك بمفاهيم نظرية الدورة التاريخية . بالمعنى الإيجابى وهى عكس ما يروجه البعض بأن التاريخ لا يعيد نفسه ، وهذا لا يعنى التواكل وأن الحضارات المنافسة ستنتهى من تلقاء ذاتها أو من خلال كوارث تلحق بها ، ولكن علينا أن نأخذ من مصادر تاريخنا الإلهام والاصرار والأخذ بالأسباب لرد الاعتبار وتكرار أمجاد من الماضى فالتمسك بمصادر هذا التاريخ الطويل هو المدد الذى نملكه لاعادة هياكل التفاوض فى كثير مما نواجهه اليوم (لمزيد من التفاصيل راجع كتاب ابحاث ندوة القدس: ماضيها وحاضرها الصادر عن جامعة الأزهر»[1] .

(٥) أن ثبات مصر واستمرارها فى المواجهة بعقلانية على أصعدة السلام العالمى واحتواء اساءة استخدامه من القوى الأخرى الساعية للهيمنة وعلى صعيد احتواء الإرهاب وحالة التفكك فى العالم العربى والإسلامى هى رهن باستمار المواجهة الايجابية لتحقيق نهضة عربية فهى حجر الأساس ورأس الحرب لأمتها العربية والإسلامية والله ولى التوفيق . [**انتهى هذا البحث المستقبلى كما كُتب فى عام ١٩٩٥**]

(١) راجع بحث بعنوان «القدس وإعادة هياكل التفاوض» : «دراسة من منظور النظريات الحاكمة للتفاوض الدولى ، د. حسن محمد وجيه ، كتاب «أبحاث ندوة القدس : ماضيها ومستقبلها ..» ، جامعة الأزهر مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامسى ، ١٨ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ - ١٢ نوفمبر ١٩٩٥م .

٣ - تحديات الدور المصرى بين مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى وسيناريوهات الإسلام والغرب : ما بين التنبؤ المستقبلى و«النبوءات الدينية القادمة من الغرب !

موضوع تحليل الصراع العربى الإسرائيلى وتشوف الحركة المسارية التلقائية أو التفعيلية له تفرض محددات ومنطلقات وتحديات خاصة للدور المصرى ... ومن أهمها مع السعى فى إتجاهات متعددة من أجل تحقيق السلام والاستقرار اللازمين للنهضة والتنمية بعد أن دفعت مصر ضريبة الدم وحققت النصر فى حرب أكتوبر رمضان ١٩٧٣ ، أن تقوم مصر وبشكل مستمر وديناميكى ومحورى بإحباط أى سيناريوهات لتفغعيل «نظام الحرب» التى تسعى أطراف بعينها لإرجاع المنطقة فيها وبشكل خطير ... ومن أهم السيناريوهات التى يتعين على دبلوماسية الدور المصرى ، سواء على الصعيد الرسمى أو غير الرسمى هو السعى الواضح والفعال لفك الاشتباكات الخاطئة والمفتعلة خاصة فى ظل ما عرف «بنظام الحرب الجديدة ضد الإرهاب» التى تخوضها الولايات المتحدة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ بين محاولات «تحميل سيناريوهات الصراع العربى الإسرائيلى على سيناريوهات «صدام الحضارات تارة – والأخطر – ويتمثل فى محاولات تحميلها على «النبوءات الدينية القادمة من الغرب وتدعمها أفكار الأساطير التوراتية الإسرائيلية ... وهو الأمر الذى قمت برصده من أجل الاحتواء الفعال من جانبنا وكان هذا فى بحث يرصد هذا البعد تحديداً من خلال قراءة تحليلية لهذه الخاصية وحجمها فى تفاعلات الصراع العربى الإسرائيلى عام ١٩٨٨ أى منذ ١٤ عاماً[١] ... وكان حرياً أن نقوم برصد حجم هذه الخاصية من التفاعلات Trend Analysis ... والتعامل الاحتوائى معها قبل أن تستفحل وتستشرى على الساحة الغربية بالشكل الذى نراه وأكثر .. خاصة وأن محاولات تفعيل عناصر هذه النبوءات » تتناقض مع عملية التنبؤ المستقبلى الذى يخدم صنع الاستقرار والسلام العادل للجميع والمبنى على التدخل العلمى التفاوضى المنضبط ... ولقد عدت لرصد هذه الخاصية فى بحثين احدهما عام ١٩٩٩ والأخر فى[٢] عام ٢٠٠٢ فى إطار تحليل تفاعلات سيناريوهات الإسلام والغرب التى تحتاج إلى إدارة إيجابية من جانبنا وهو ما قدمت له تفصيلات فى ذلك البحث[٣] لقد كانت

(١) كاتب السطور ، مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى ، المجلة العربية للدراسات الدولية ، واشنطن ، اكتوبر ١٩٨٩ .
(٢) كاتب السطور ، سيناريوهات الحرب والسلام – دار المعراج الدولية للنشر – الرياض ١٩٩٩ .
(٣) كاتب السطور ، حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب ، الأكاديمية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
(٤) كاتب السطور ، .. التطرف القادم من الغرب وكيف نواجهه ؟! (الأهرام ١٩٩٢/٢/١٩) .

استراتيجيات المفاوض المصرى إبعاد البعد الخاص بالنبوءات والأساطير التوراتية عن مجرى عمليات التفاوض التى جرت بين مصر وإسرائيل ...ولقد افاد دكتور مصطفى خليل فى مقال حديث له نشر بالأهرام بذلك حين ذكر :

«ومما تجدر الإشارة إليه أن الجانب الإسرائيلى فى التفاوض كان يركز دائماً بشكل مبالغ فيه عن موضوع الأمن كما كان يخلط بين المعتقدات الدينية والتوراتية اليهودية وبين الأمور السياسية وهو الأمر الذى كان لا يقبله الجانب المصرى الذى كان يرى عدم مناقشة لأمور الدينية فى التفاوض والتمسك بما جاء فى اتفاقية كامب ديفيد من مبادئ والتى لا تحتوى على ذكر أى نص خاص بالحقوق التى تدعيها إسرائيل ....»[1] .

.... إذا كان ما سبق يوضح التزام الجانب المصرى بفعل التفاوض وفصله عن تفاعلات وتفعيل النبوءات أو الأساطير التوراتية ، فإن تفاعلات دبلوماسية المسار الثانى التى يتم فيها القدر الأكبر من عمليات التفاوض ، خاصة فيما يتعلق بعمليات التفاوض الإعلامى والإدارة بالسيناريو لترسيخ قناعات بعينها ورفض أخرى ..... فإن دبلوماسية المسار الثانى هذه بحاجة ماسة إلى التفاعل مع هذا البعد من أجل احتوائه وعمليات تفعيله التى ستطال الجميع لتعود بالبشرية لحروب تستغل فيها الأديان بدلاً من أن تستخدم إيجابيا لصالح النماء والاستقرار والتعايش الإيجابى ... وهذا البعد سيتم التعامل معه بقدر من التفصيل فى بحث تفصيلى آخر لكاتب السطور ... لأن هذا البعد إذا ترك دون سيطرة على شيوعه وإفشائه وترسيخ قناعاته فإنه ليمثل أكبر التحديات ونقل الصراع من حالة محاولات السيطرة العلمية التفاوضية والمستقبلية من حالة الإدارة الممكنة إلى حالة الصدام المستعصى وتفعيل سيناريوهات نهاية العالم من قبل كافة معتنقى الأديان فى شكل يأخذ شكل العدوى ...

★ الفرق الكبير فى أدبيات النبوءات بين التطرف الغربى والواقع العربى الإسلامى !

١- ماذا عن أهم أدبيات النبوءات القادمة من الواقع الغربى ؟ لقد تعرضت لهذا الموضوع منذ ١٤ سنة الآن عندما كنت أدرس بجامعة چورچتاون فى الولايات المتحدة حين كتبت مقالاً عن مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى فى عام ١٩٨٨[2] ... واستعيد منه الأجزاء التالية لرسم خريطة أكثر تكاملاً لذكر النبوءات بين الغرب والعالم العربى الإسلامى فيمايلى :

(١) خليل ، مصطفى مقال بعنوان «وقائع ما قبل وما بعد مبادرة السلام للرئيس السادات» الأهرام ، ٢٠٠٢/١٢/١٨م .

(٢) كاتب السطور ، «مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى ، مرجع سابق ص ٩٣ ، ص ٩٥ .

أ – المتطرفون ممن تم تسميتهم فى أدبيات الغرب «بالمسيحيين الصهاينة» ومحاولتهم لتصعيد البعد الدينى ودفع العالم «لحروب دينية» !! وكتاب جريس هيلسل النبوءة والسياسة :

من الجدير بالذكر هنا أن أول من تصدى «لنبوءات تفعيل التدمير وشن الحروب المتخلفة كان من كتاب غربيين شرفاء يحاربون هذا الفكر من أمثال جريس هيلسيل وجودمان وكثيرون غيرهما ...

«إن ما ورد بأحد الكتب التى تم عرضها بهذه الدراسة (هيلسيل/ ١٩٨٦) يوضح المدى المتصاعد الذى بدأ يأخذه البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى وهذا البعد يحتاج إلى دراسة دقيقة ومطولة للتعرض بدقة لحيثيات واتجاهات هذا البعد ولكن ما سوف احاوله هنا هو اعطاء صورة موجزة لعناصر هذا البعد المتصاعد للصراع والإشارة إلى العلاقة التبادلية والممارسات المشتركة بين إسرائيل وبعض الجماعات المسيحية المتصهينة والنشطة سياسياً وذات التأثير على صعيد المسرح السياسى الأمريكى . فهذه الجمعيات تشجع سياسات إسرائيل أياً كانت لأنهم «شعب الله المختار» وخطورة هذا الأمر هو قيام هذه الجماعات بالتعاون مع المكتب الدينى بالسفارة الإسرائيلية فى واشنطن على وضع السياسات العامة والخاص بكل التفاصيل وتنفيذها وتغلغل هذا الخط بين أوساط الإدارة الأمريكية . كذلك سوف اشير إلى ما يمكن القيام به تجاه هذا الأمر من قبل المسلمين بصفتهم الهدف من هذا التحرك الصهيونى المسيحى واليهودى .

توضيح الرؤيا اليهودية الغالبة والمسيحية الصهيونية :

إن رؤية هذا المحور للصراع ينطبق عليه وصف «الفساد فى الأرض» الذى ذكر فى آيات القرآن الكريم فهذه الرؤية تقول بأن على إسرائيل أن تقوم ببناء المعهد اليهودى فى مكان المسجد الأقصى بعد هدمه ولقد شاهد العالم أولى هذه المحاولات عندما حرق الأقصى فى ٢١ أغسطس ١٩٦٩ وثانيها عندما قامت مجموعة من الإرهابيين اليهود فى يناير ١٩٨٤ بزرع القنابل بالقرب من مسجد الصخرة والمسجد الأقصى وتم اكتشافها قبل تفجيرها وآخر هذه الحوادث وله دلالته فيما يتعلق بهذا الأمر كان يوم ١١ أكتوبر ١٩٨٧ حينما اشتبك خمسمائة من العرب الفلسطينيين مع مجموعة من اليهود المعروفين بنداثهم بهدم المسجدين واقامة معبد سليمان عند ذهابهم إلى مكان الجامعين للصلاة اليهودية هناك وتدخل البوليس الإسرائيلى وقال أحد اليهود المعنين فى هذا الحادث «إننى فخور اليوم بأن البوليس الإسرائيل قد أكد اليوم السيادة الإسرائيلية على منطقة المعبد ...» (واشنطن بوست ١٢ أكتوبر ص ٨) .

إن «المسيحين الصهاينة» كما ورد فى كتاب جريس هليسيل السياسة والنبؤة (١٩٨٦)[١] يؤيدون فكرة هدم الأقصى وبناء المعبد اليهودى مكانه ويؤيدون كذلك كل ممارسات إسرائيل من منطلق انهم شعب الله المختار الذى منحه الله الأرض المقدسة . وبما أن اليهود هم شعب الله المختار فإن الله سيبارك كل من يبارك اليهود ويلعن من يلعنهم . وبالتالى فإنهم يؤيدون كافة ممارسات إسرائيل الإرهابية والدموية ويشجعون إسرائيل على احتلال المنطقة من النيل إلى الفرات وهذا يعنى (احتلال خمس دول عربية على الأقل) وكذلك يؤيدون ممارسات الولايات المتحدة العنيفة حتى يؤدى ذلك إلى قيام الحرب النووية وهنا ، وطبقاً لهؤلاء يعود السيد المسيح عليه السلام إلى الأرض ثانية وينجو من هذا الفناء هؤلاء «الأيفنجيليكيون» ويصعدوا وحدهم دون غيرهم إلى السماء من الناصرة فى فلسطين . إن خطورة هذا الأمر هو إيمان أربعين مليون من هؤلاء المسيحين الصهاينة . وبعضهم من مواقع حساسة فى الإدارة الأمريكية ومما هو جدير بالذكر أن الرئيس الأمريكى رونالد ريجان قد صرح بإيمانه الشخصى بهذا الأمر أيضاً وقد أدلى بذلك فى حديث عام ١٩٧١ [هالسيل ص ١] كذلك أن على رأس هؤلاء المسيحيين الصهاينة عدد كبير من الوعاظ المشهورين أمثال بات روبرتسون ، جيمى سواجرت ، جيرى فالويل ، جيم بيكر ، وركس هامبرد . والذين يستمع إليهم ملايين الأمريكيين . ولقد أنشأ هؤلاء المسيحين الصهاينة ما أسموه «بمؤسسة «بناء المعبد» ولها فروع متعدة فى الولايات المتحدة وإسرائيل . والهدف من ذلك هو إن يرضى اليهود الله حسب روايتهم . أن لهؤلاء المسيحيون أمواله طائلة توضع تحت تصرف الإسرائيليين . ولقد صرح القس جيمس هيوستن بانه ومعه آخرين قد قاموا بحملة لجمع ألوف الدولارات للدفاع عن بعض الإسرائيليين الذين وجهت إليهم تهمة الهجوم على المسجد الأقصى عند حرقه فى أغسطس ١٩٦٩ [هالسيل ص ٧] . كذلك قال فالويل ، أحد أقطاب الحركة المسيحية الصهيونية ، فى حفلة تكريم اقامها لموش ايرنز واريل شارون أنه من **الأخطاء التى وقعت فيها الولايات المتحدة هى أنها تدخلت لوقف مذبحة الفلسطينيين فى لبنان التى قتل وجرح فيها عشرات الألوف من الفلسطينيين واللبنانيين وذكر أنه على الولايات المتحدة أن تؤيد إسرائيل تأييداً كاملاً فى أى حرب قادمة «لتمحى الأعداء» وعندما قـــال ذلك صفق الحاضرين بكل الحماس وهتفوا آمين «هاليلويا»** [**هالسيل ص ٨**] .

لقد زاد تأثير جماعة المسيحيين الصهاينة على الرأى العام والحكومة الأمريكية

(١) راجع المصدر التالى بالإنجليزية :

Halsell Grace, "Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the road to Nuclear war, Lawrence. Hill and Company Westport, connecticut, 1986.

إلى حد كبير جدا فى الآونة الأخيرة وزاد التأييد لإسرآئيل بالتالى من هذا الإتجاه الدينى المتعصب للغاية واستغلته وتستغله جماعات الضغط اليهودية فى تعبئة وشحن الأمريكيين لتبنى قضيتهم .

ويضاف إلى بعد الصراع العربى الإسرائيلى التعاون الوثيق بين هؤلاء «المسيحين الصهاينة» والمسؤولين الإسرائيليين فى مجال وضع السياسات التنفيذية وتعبئة الشعب الأمريكى كله فى المستقبل ومما هو جدير بالذكر أنه عند زيارة أى من أعمدة حركة المسيحيين الصهاينة لإسرائيل يستقبل على أعلى المستويات هناك . ولقد استضاف مناحم بيجن فى منزله القس دفيد لويس أثناء مدة زيارته لإسرائيل (مجلة القدس العدد الأول ١٩٨١) ونجد أثر هذه العلاقة متجسداً فى ممارسة الضغط على الإدارة الأمريكية فلقد ارسلت وترسل جماعات المسيحيين الصهاينة مندوبيها ورسائلها لمنع أى قرار أمريكى يتعلق ببيع السلاح أو يتضمن خطوة لتحسين وتقوية العلاقات الأمريكية العربية وتأييد أى قرار لمنح السلاح لإسرائيل وكذلك أى قرار من شأنه التأثير سلباً على العلاقات العربية الأمريكية . ويأخذ التعاون المسيحى اليهودى شكلاً متصاعداً ففى عام ١٩٨٣ أعلن عن تكوين المؤتمر التضامن اليهودى والمسيحى الصهيونى (AFJCC) الذى أوصى بدعم مفاهيم المسيحيين الصهاينة على كفة المستويات فى الولايات المتحدة ووضع الخطط لذلك . ومما هو جدير بالذكر أنه من الأنشطة التى أعد لها وتنفذ حالياً هى توظيف مرشدين سياحيين مؤمنين بهذه المفاهيم لإثارة عواطف كل الحجاج المسيحيين الذين يزوروا الأماكن المقدسة وزرع تلك الأفكار فى وجدانهم . ويبلغ عدد هؤلاء الحجاج حوالى مائة ألف حاج كل عام . [جريدة الواشنطن بوست ٢٣ مارس ١٩٨١] .

*** موقف المحور الإسلامى وبعض طوائف اليهود الأورثوذكس والخط العام للكنائس المسيحية :**

إن المحور الإسلامى وبعض طوائف اليهود الأرثوذكس وكذلك الخط العام للكنائس المسيحية يتفق فى مبدأ الاعتراض بصفة عامة على ممارسات إسرائيل والمسيحية الصهيونية وإن اختلف كل من هذه العناصر بطبيعة الحال فى درجة وأسلوب الاعتراض والرؤية الشاملة للصراع العربى الإسرائيلى ، ونقطة الاتفاق العام بين هذه العناصر تتركز فى أن السلام هو رسالة الأديان كلها وبالتالى فحركة الصهيونية «والمسيحية الصهيونيـة» أو المتصهينة هـى انتهاك واضح لأسس الأديان السماوية كلها .

وليس أكثر من دليل على الرفض العالمى لمثل هذا الأمر هو قرار الأمم المتحدة بإدانة الصهيونية عام ١٩٧٥ ومساواتها بالعنصرية وكان هذا من أهم القرارات التى

صدرت عن هذه الهيئة الدولية التى فشلت فى كثير من الأمور على إتخاذ أغلبية من التصويت على مثل هذه الأمور ... ولقد اعترضت إسرائيل ومن يساند سياساتها الصهيونية على هذا الأمر فى العديد من المناسبات وبالحاح كبير وطالبت بالغاء هذا القرار حتى تم إعاد التصويت على هذا الأمر فى (نوفمبر عام ١٩٨٧) ولكن الموقف الدولى ظل كما هو وتم تأكيد القرار الأول بمساواة الصهيونية بالعنصرية فى القرار الثانى .

أن تفصيل الرؤية الإسلامية وكذلك رؤية الخط العام للكنائس المسيحية وكذلك بعض الطوائف اليهودية اللارثوذوكسية (هى فى طور بحث أقول به فى الوقت الحالى) ولكن ما يتضح لنا من الآن بوضوح هو تصاعد البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى ليشكل فى المستقبل مثلث حتمى آخر . إن لم تتخذ الخطوات الجدية للوصول إلى حل عادل للمشكلة . ومن الطريف أن ننظر الآن إلى المثلثين الحتميين للصراع العربى الإسرائيلى اللذان يشكلان أيضاً بؤرة الصراع الدولى القادم . أن تحرك هذين المثلثين المستمر فى إتجاه التداخل بين العناصر بداخليهما يكون نجمة سداسية ترمز إلى سبب الصراع العالمى : والشكل التالى يوضح عناصر هـذا الصراع الذى إن لـم يتم احتوائه أصبح بؤرة للصراع العالمى القادم [إلى هنا ينتهى هذا الجزء الذى كتبته منذ ١٤ سنة واعدت نصاً فى سياق توضيح خريطة النبوءات] .

البعد السياسى

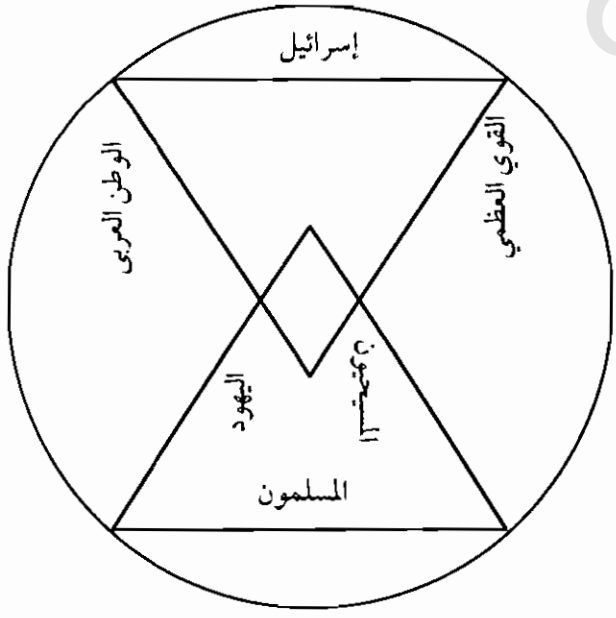

البعد الدينى

ب- ماذا عن النبوءات الغربية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ؟! وكيف رأينا من يتنبأ «بصدام حسين» وإسامة بن لادن» ؟!

ازدات اليوم كتب النبوءات وإدبياتها بكل كبير فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى الغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر ، ولعل هذا بحاجة إلى سياق أخر لتحليل هذه الظاهرة وعودة الناس لفكر النبوءات فى الغرب والاهتمام بها . ولقد نشرت تحقيقات صحافية عديدة عن هذا الموضوع ومنها ما نشرته صحيفة الديلى ميل عن كتاب بعنوان «شفرة الكتاب المقدس» للكاتب الأمريكى دروسنين عام ١٩٩٧ والذى يتنبأ فيه بأحداث المستقبل ونهاية العالم وحقق مبيعات هائلة فى أوروبا والولايات المتحدة وأن نيوتن صاحب نظرية الجاذبية ذلك العالم المشهور حاول فك شفرات المستقبل فى الكتاب المقدس وكرس لذلك كل وقته قبل مماته ولكنه أعلن اخفاقه ... ، ولكن إذا أعلن نيوتن – الذى استهوته النبوءات – عن اخفاقه فى هذه المهمة ، فإن هناك تحقيقات عن عالم رياضيات إسرائيلى من أصل روس وهو إلياهو ريبسى الذى استخدم برنامج كومبيوتر أعده بنفسه ادخل فيه كلمات التوارة وادعى أنه فك شفرات داخل الكتاب تقول بظهور محطات نحو نهاية العالم ومنها ما أفاد بأن كلمة رابين ظهرت بعد فك شفرتها لتتساوى مع كلمة اغتيال وأن كلمات صدام حسين وإسامة بن لادن قد ظهرت بعد فك تلك الشفرات فى الطريق إلى نهاية العالم وحدوث محرقة نووية تبدأ من الشرق الأوسط[٢] .

(جـ) أهم أدبيات (النبوءات) : قراءة نقدية أولية :

*** عـن كتاب «معـركة هـو مجدون وتأسيس مملكة الرب فى التوارة والإنجيل والقرآن ..»[٣] .**

خلاصة هذا الكتاب هو أن كاتبه كارلوتا جيزن يرصد نبوءات المعركة الكبرى والمعروفة باسم «هرمجدون» ... ويجادل المترجم أحمد على ومقدم الكتاب محمد عاشور بأن الخدعة الكبرى التى يحاول أصحاب النبوءات الغربية ترويجها للعالم أن «هرمجدون» أو المعركة الكبرى بين الأديان قادمة لا محالة وأن العراق تعتبر إحدى المحطات المؤدية لها ... بينما يقول أ. محمد عاشور أن معركة هرمجدون قد حدثت بالفعل فى التاريخ وأن المملكة الرومانية قد أزالها المسلمون فى المعركة الفاصلة بين المملكة الرومانية وبين المسلمين والتى قد تمت فيها الغلبة للمسلمين حيث هزم

(١) تحقيق فى جريدة صوت الأمة بعنوان « التوراة تحدثت عن اسامة بن لادن واغتيال رابين وتدمير العراق بالأسلحة النووية ، شريف على ، (٢٠٠٢/١٢/٩) .

(٢) جيزن ، كارلوتا ، معركة هرمجدون وتأسيس مملكة الرب ، دراسة وتقديم وترجمة أحمد على أحمد ، دار الكتاب العربى – دمشق القاهرة ، ٢٠٠٢ .

اليهود ومعهم الروم فى موقعة اليرموك الشهيرة ... ولكن النبوءات التى يسوقها أو يسوق له أصحاب النبوءات فى الغرب تقول بعكس ذلك ويسعون لتفعيل محطاتها وهنا تكون النبوءات هى من أخطر ما يتعرض له العالم اليوم .

*** عن كتاب نهاية العالم للشيخ محمد متولى الشعراوى[١]**

والكتاب يتعرض إلى رصد خواطر الشيخ الشعراوى – رحمه الله – لعلامات واشراط الساعة ومقدماتها وأهوال وأحوال يوم القيامة ، وينتقد فيه نبوءات عشرات العرافين فى أمريكا والغرب ممن يظهرون ليحددوا يوم القيامة باليوم والساعة ويثبت كذبهم وادعائهم ويصف مثل تلك النبوءات بأنها لا تقوم على علم ، لأن يوم القيامة وموعده من أسرار الخالق عز وجل وحده وأن الله سبحانه وتعالى لم يطلع عليه نبى أو حتى ملائكته سبحانه وتعالى .

ويخلص الشيخ الشعراوى إلى أن «الثابت هو الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى من سماء وأرض وما بينهما مسخراً من أجل الإنسان ليؤدى مهمته كما أرادها الله سبحانه وتعالى من انماء وعمار . ويناقش مفاهيم «علم اليقين ، وحق اليقين وعين اليقين ... وأنه ومع نهاية العالم ينتهى كل زيف من علم الإنسان ويرى أمامه كل شىء على حقيقته وبلا زيف وفى يقين كامل ، فيرى الملائكة ، ويرى الشياطين ، ويرى الجنة ويرى النار ويعرف عظمة خالقه جل وعلا ... ويعلم يقيناً أنه لا حول ولا قوة فى هذا الكون إلا لله سبحانه وتعالى ... وتنتهى دنيا الأسباب بشموسها وأقمارها ونجومها لتشرق الأرض الجديدة بنور ربها سبحانه وتعالى ثم يوضع الكتاب ويقام الميزان وتوفى كل نفس ما عملت بعد أن انتهت دنيا الأسباب واصبحنا فى حضرة مسبب الأسباب ..»[٢] .

*** عن كتاب «أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين للشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان[٣]**

لعل هذا الكتاب من أهم ما كُتب عن النبوءات من منظور إسلامى ، فهو بجانب الجهد الكبير والمتفرد للكاتب فى تجميع أحاديث الرسول ﷺ الخاصة بالنبوءات والفتن وعلامات وأشراط الساعة ، يتضمن مقدمة فكرية مهمة طرحها السيروان ، حيث اتسمت بسمات مهمة وغير مسبوقة فى طرح الأدبيات من هذا النوع والمجال ونراها فيما يلى من قراءتنا لهذا الكتاب وهى :

(١) الشعراوى ، محمد متولى «نهاية العالم» مكتبة الشعراوى الإسلامية اصدار مؤسسة أخبار اليوم ، ١٩٩٠م .

(٢) المرجع السابق ص٥ ، ص١٠٨ ، ص ١٠٩ .

(٣) السيروان ، عبد العزيز ، «أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

[١] أن السيروان يطلب فتح باب المناقشة للباحثين المسلمين للأدلاء بأرائهم حول خطورة الانزلاق إلى تفعيل النبوءات أو أن يرى البعض فى النبوءات دعوة للسلبية وانتظار ما يحدث دون القيام بمهمة المسلم الحقيقية وافتقاد وجود الشخصية الإسلامية الإيجابية والفاعلة وهى تنظر للمستقبل .

[٢] التحذير من النظرة التشاؤمية البعيدة عن محاولة اصلاح حياة البشر بالاستغراق فى قراءة النبوءات وعدم فهم حقيقة السعى الإيجابى لأعمار الكون ... فلا يمكن أن تكون النبوءات دعوة لعدم السعى والأخذ بالأسباب والقيام بصالح الأعمال التى تقى الإنسان من شر الكثير من الفتن .

[٣] استشهد السيروان بمقولات مهمة لأفاضل المفكرين وعلماء المسلمين من أمثال مالك بنى ومحمد إقبال وعباس العقاد وغيرهم ليؤكد على مقولة العقاد «ان التفكير فريضة إسلامية» ، ومقولة محمد اقبال ، «بأهمية» تدبر القرآن وفهم مقاصده الشريفة لصالح الدنيا والدين وأهمية الا يكون المسلم اسيراً للمتزعمين للدين ، والمحتكرين للعلم الذين قد لا يكون التوفيق حليفهم فى تفسير ظواهر هذا الكون المركبة .

[٤] السعى للتغيير الإيجابى هى مهمة الإنسان .. حيث يقول السيروان «إن الله سبحانه وتعالى عندما قال «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» وغيرها من الآيات الكريمة لم يرد أن تكون مجرد شعارات للتبرك ولا لتكون **مجرد محتوى غيبى يعمل بسحرية خارقة للعادة والأسباب**[١] .

ويقول «إن هذا الدين منهج إلهى للحياة البشرية . يتم تحقيقه **فى حياة البشر بجهد البشر أنفسهم فى حدود الواقع المادى للحياة الإنسانية فى كل بيئة ويبدأ العمل فى حدود طاقتهم البشرية ، وفى حدود طاقتهم البشرية** ، وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة ..»[٢] .

[٥] إن الإسلام قد ربط السبب بالمسببات ونهى عن سلبية المسلم أو يأسه أو تشاؤمه .. من هنا فإن «فهم معنى الإيمان وطريق عمل هذا الدين فى حياة البشر يطالبنا بالصمود أمام الفتن وليس هذا فحسب بل تغيير الواقع الاجتماعى وقبله النفسى لتغيير اتجاه الحال ، ورد الواقع البشرى إلى ما يرضى الله سبحانه وتعالى وسواء نجحنا أو فشلنا فالمهم أن نؤدى مهمتنا التى خلقنا الله من أجلها وأن لا نكون سلبيين فى مواجهة الواقع وأن نعمل وإن لم نقطف ثمار عملنا .. «وقل

(١) السابق ، ص س .

(٢) السابق ، ص س .

اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ..» ويقول الحق «الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ...» والفتن التى حدثت قديماً بعد الرسول ﷺ لا ولن تكون مبرراً للمتقاعسين ليعقنوننا بالقعود والتواكل»[1] .

ويقول السيروان فى ختام مقدمته التحليلية المتميزة «وأخيراً فهذا الكتاب بما جمع بين دفتيه من أحاديث مختلفة عن أشراط الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى يضع أمام المسلمين صوراً حية للمجتمع الذى يعيشونه والملاحم التى تقع أم ناظريهم ... وقد كان لابد من هذا التقديم **على هذا الصورة حتى لا يُساء فهم النصوص والاستفادة منها** .. ولتكون عاملاً للتنبه والحذر ، والعمل الصالح المعاكس لتيار الفتن لا الانقياد لها والتسليم والاذعان ... وهى **إنما كانت من الرسول ﷺ أخباراً بمغيبات ودليلاً على صدق نبوته وتحذيراً للمسلمين من الانحطاط فى الفتنة والتمهيد لها** أو المساعدة على نشوئها واستمرارها ..»[2] .

★ خلاصة القول في فكر النبوءات المقارن : دلالات لمنطلقات الدور المصري

إن خلاصة القول بخصوص هذه الجزئية ، أن أهم الأدبيات المتعلقة بفكر النبوءات التى تعرضنا لها فى كل من الفكر الغربى وفى إطار واقعنا العربى الإسلامى ، توضح أن التفعيل السياسى الغربى للنبوءات يمثل الصورة المتطرفة تماماً والتى لا يمكن مقارنتها بما جاء فى توجهات الأدبيات الإسلامية فى هذا المضمار وخاصة ما جاء فى بحث السيروات بصفته أول كتاب أجده يتحدث مباشرة عن فكر النبوءات بهذه الحيوية الفكرية ، كما أن أدبيات نهاية العالم فى الواقع الإسلامى كما جاء فى كتاب فضيلة الشيخ الشعراوى تقتصر على اطلاع القارئ على علامات الساعة واشراطها وتحث على العمل الصالح الذى ينفع المؤمن ويبعده عن الاسلوب والمختزل والمتطرف الذى تمتلىء به أدبيات الغرب (النبوءاتية) ... ولعل هذه النقطة هى نقطة حجية الارتكاز للدور المصرى التى ينبغى طرحها على العالم لتجنيبه شرور أصحاب التفعيل المتعسف لفكر الفتن والنبوءات أى كانوا .. لأن فى هذا ابتعاد عن المقاصد السامية كل الأديان الحقيقية التى تدعو للغير للخير والسلام والنماء .

(١) السابق ، ص ش .

(٢) السابق ، ص ت .

٤- تحديات الدور المصرى وإدارة سيناريوهات العولمة ... والسعى لإيجاد صيغ جديدة للعمل الجماعى والعربى المشترك وللتفاعل على الساحة الدولية فى سياقاتها الآخذة فى التركيب

لم يستنفر العرب خطورة الصراع العربى الإسرائيلى ليكون عامل توحد لهم على أساس قوى وممتد بالرغم من وجود التحدى الإسرائيلى بقوة منذ سنوات وإلى اليوم ولسنوات عديدة قادمة . كما لم يستنفر العرب تحديات العولمة بكل ما أتت وستأتى به ، خاصة العولمة المتوحشة احادية الجانب التى ينبغى للعالم المتضرر منها وعلى رأسهم العالم العربى وأن يتحرك من خلال استراتيجية وتنسيق موحد وتدشين للسوق العربية المشتركة الذى تحدث عنه العرب منذ الأربعينات ... ولكن ظل كلاماً ... واليوم ومع إعلان الاستراتيجية الأمريكية بإتخاذ العراق المحطة الأولى لخلخلة المنطقة العربية لصالح أجندة للهيمنة ووضع أولويات الأجندة الإسرائيلية ، لم يستنفر العرب ... المشكلة الخطيرة إذن هى عقلية إن واخواتها أو عقلية التوصيات وتسجيل مواقف الاندهاش والأدانة والاحتجاج والاحتقان مع اللافعل لأننا لانتحرك من خلال برنامج ينطلق من «كيف واخواتها» والعقلانية أو حتى ما اسمية «بالأنانية التفاوضية» وهى أنه وحتى عندما يكون الإنسان أنانياً ... فهو يكون حريصاً على تعظيم قوته .. أى أن فكر السوق المشتركة والتوحد العربى وإدارة الاختلافات بالرغم من أنه ينبغى أن يأتى من افتراضات غير أنانية واخلاقية ومعتقداتيه تسعى لبناء قوة الأمة العربية والإسلامية الحقيقة للدفاع عن الشرف والعرض وحرية القرار ، فلتكن من باب تلك الأنانية التفاوضية[١] .... فإذا لم تؤثر فينا عقلية النخوة ودافع المعتقد بالتوحد فعلى الأقل أن تؤثر «عقلية الأنانية التفاوضية التى حركت أوروبا نحو الاتحاد الأوروبى وغير ذلك من الكيانات الكبرى ... فإن هذا الذى هو حادث لاشك وأنه يتعلق بأن البرنامج الثقافى الراهن والمسؤول عن ناتج الحوار الراهن العلمى بحاجة ماسة إلى التغيير ... فنحن نحتاج إلى برامج تشغيل جديدة ... ANEW SCIENTIFIC CULTURAL SOFYWARE وفى هذا الجزء أريد أن أسلط الضوء على تحديات أخرى تتمثل فى العولمة ... وهنا نقول بأن حلبة الصراع تدور حول وضعين ، وضع تحاول أطراف دولية تفعيل دور الأمم المتحدة كقناة تفاعل دولى أساسية وجعلها مكاناً أكثر ملائمة لصناعة القرار الدولى المشترك فعلاً دون هيمنة وخلل كبير فى الأداء كما تشير إلى ذلك التفاعلات الراهنة ... ولكن هذه الجهود تحاصر وكأن العالم يشهد اليوم هذا التصور الموضح فى الشكل التالى رقم (١) :

(١) بخصوص الرؤى المطلوبة لتفعيل السوق العربية المشتركة ، راجع لكاتب السطور مقالاً بعنوان «قمة عمان ... ومستقبل الحوار العربى» الأهرام المسائى ٢٠٠١/٣/١١م .

شكل رقم (١)

صورة لتشكيل ملامح تفاعلات المؤسسات الدولية ووضعيتها المتصورة فى عالم اليوم ومؤشرات المستقبل

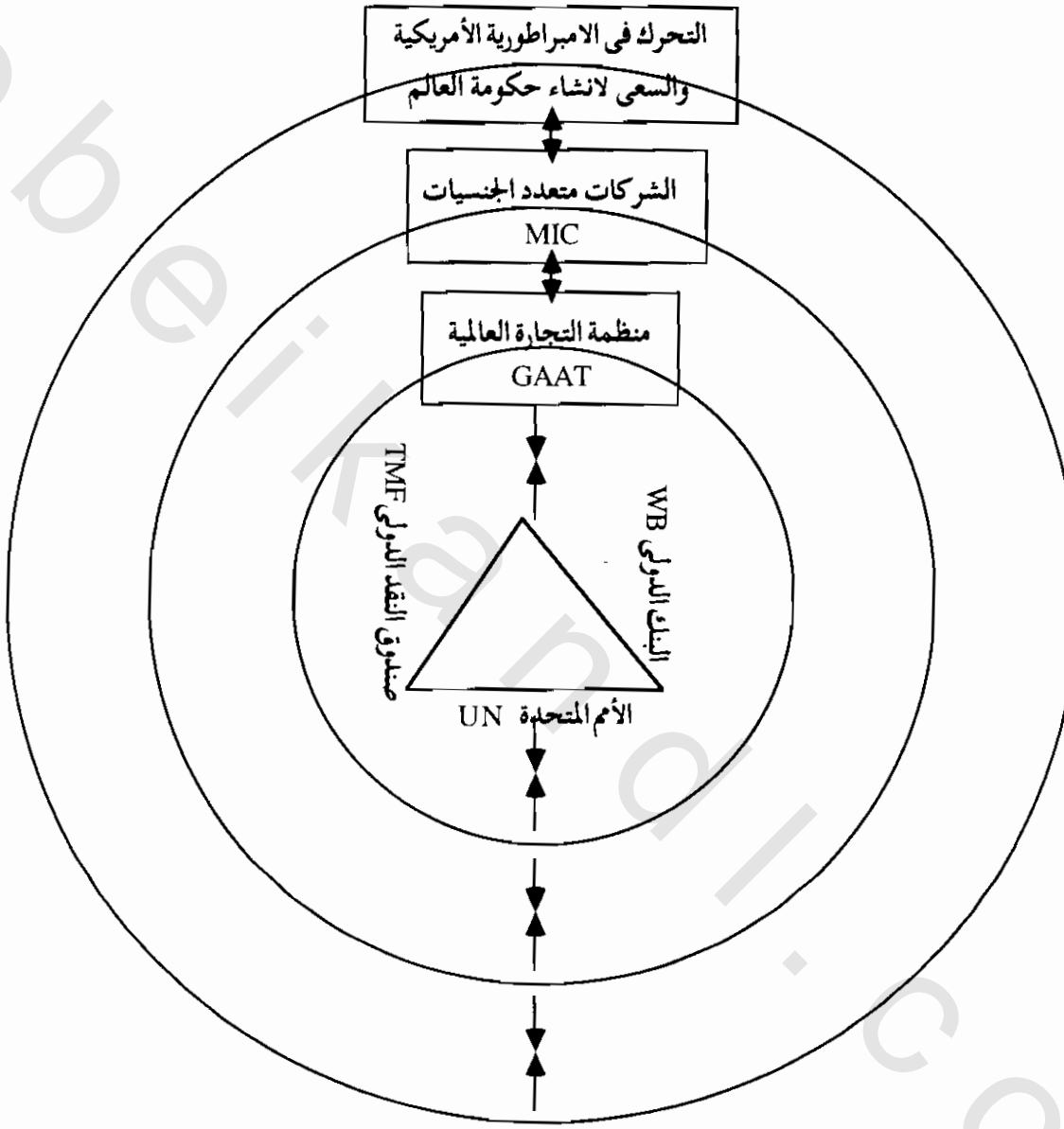

كما يتضح من الشكل المتصور أعلاه ، أن مثلث الأمم المتحدة والبنك الدولى وصندوق النقد كمثلث أساس ووعاء تمت من خلاله أهم التفاعلات الدولية على مدى الخمسين عاماً الماضية ، ولا يزال يقوم بمهام اساسية وحيوية فى تشكيل وتفعيل التفاعلات الدولية بصورة عديدة ، إلا أن المتأمل للساحة الدولية يشاهد صعود والتفاف منظمة الجات بقوانينها الملزمة وكذلك نلاحظ دائرة التفاف الشركات

المتعـددة الجنسية كما نشاهد اليوم حالة من السيولة لدائرة جديدة وهى دائرة الامبراطوريـــة الأمريكيـة والسعى لإنشاء حكومة للعالم ... إن تفاصيـــل التفاعلات وإنماطها فى إطار هذه العناصر القديمة والمستحدثة ودراسة تداعياتها على بعضها البعض هـــى موضوع دراسة منفصلة لكاتب السطور لفهم سياقات التفاعلات الدولية الحالية والمستجدة والمتصورة ... وربما يستدعى هذا الشكل مدى صعوبة أى دور وليس المصرى تحديداً إلا أن قناعتى كباحث تقول إن ما علينا أن نتقن العمل بالصيغة الفاعلة على أى مستوى المهم أن نحرك وأن نسعى لهذا الاتقان المبنى على العلم والإيمان وإدارة التحرك ... ولعلى فى هذه الدراسة اسلط الضوء علـى مستوى واحد وهو مستوى النظر للعولمة بمعانيها وجوانبها المتعددة ثم ننظر إلى ما يمكننا وان نفعله على مستوى التفاعلى على صعيد الأمم المتحدة كمثال ... على أن أحاول النظر إلى المستويات الأخرى فى دراستى المقبلة فى هذا الصدد . وهنا اكتفى باعادة نشر مقال لى كنت قد كتبته فى الأهرام المسائى بعدده الأسبوعى بعنوان العولمة فى مرآة التفاوض (فى ٢٠٠٠/٨/٩) وهو يجيب على عدة أسئلة محورية مثل :

(١) ما المقصـود فعلاً بالعولمة دون احتزالها فى إطار أو آخر .. ؟ أى ما مدى تعريفات وأشكال العولمة ومستويات ممارساتها على الصعيد الدولى بشىء من الدقة وعدم وجود الافتراضات الاختزالية المسبقة ؟

(٢) ما مدى حجم السيولة التى يمكننا التدخل الإيجابى فيها لصياغة مع ما قد يتمشى مع أجندتنا الوظيفية ؟

(٣) ماذا عن مفهوم «التفاوض العلمى النضالى» ؟ وماذا حققت مصر والدور المصرى من إنجازات حقيقية فى مضمار تفاعلات الأمم المتحدة ؟ وما العقبات الهيكيلية الخاصة بادائنا التى يمكننا السيطرة عليها لرفع مستوى هذا الأداء بحالة من واقع الممارسات الدولية وممارسات واقعنا الثقافى ؟ (حيث أن ما نراه على مستوى واحد وقد أمكننا عمله أو الفشل فى القيام فيه ليمثل مؤشراً مهماً لما يمكن أن نمستفيد به فى التعامل مع مستويات التفاعلات الدولية الهيكلية الأخرى الموضحة بالشكل المتصور (رقم ١) أعلاه . وفيمايلى نصوص لثلاثة مقالات لكاتب السطور تعبر عن تفاعلات الدور المصرى مع اضلاع مثلث التفاعلات الدولية الأساس والمتمثل فى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والأمم المتحدة . ونبدأ هنا بنص المقال التالى .

★ مفهوم التفاوض النضالي وامثلة معبرة عن تحديات الدور المصرى فى سياق مثلث التفاعلات الدولية الاساسية

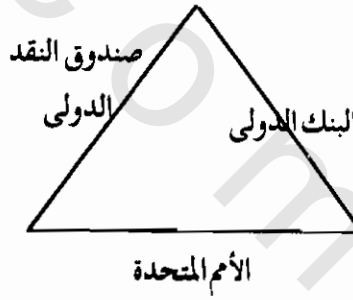

العولمة فى مرآة التفاوض[1]

(([حالة للتفاوض النضالي فى سياق الأمم المتحدة]

وأقول هنا وبشكل علمى جاد ، أن كثيرا من الطرح عن العولمة كان فعلا فى «غياب المضمون» .. والمضمون هنا ليس فقط محتوى الكلام وسياقه ولكن مضمون الحجج المثارة عن العولمة فى إطار عملية التفاوض التى ينبغى أن نديرها وينبغى أن ننظر هنا إلى أطراف التفاوض واجندته ونوعه وقناة التفاوض من أجل تحقيق هدف تفاوضى بعيدا عن الوصف المحبط والاندهاش والأدانة أو التمجيد وانتظار ما سيحدث .. ومبا أن الموضوع متشعب ومركب للغاية وكوكبى بطبيعته ، فإن الهدف الأول ينبغى أن يكون التعرف على التفاوض الممكنة بغية التحرك طبقا لهذه الرؤية التى أرى أن هذه المساحة مهجورة .

وهنا أرصد الحجج الرئيسية التالية :

١- إن العولمة هى الشكل الحديث للاستعمار أو «الكولونيالية الجديدة» وأدواتها الجات والبنك الدولى وصندوق النقد ... إلخ آخره ..

٢- إن العولمة هى هيمنة «الشركات العملاقة متعددة الجنسية .. وإن هذه الشركات هى قاطرة العولمة ومن ورائها العالم .

٣- إن العولمة هى أمركة العالم وصبغه بالصبغة الأمريكية وتعميم الثقافة الأمريكية بكل ملامحها من جنس وهبورجر وأغانى الروك إلخ وذلك من خلال اعلام أمريكى متعولم .. وامبريالى .. يهدف إلى تعميم القيم الغربية وطمس الهوية الثقافية للآخرين .

٤- إن العولمة هى طمس لقيم الأديان وترسيخ الحداثة بمعناها الواسع فقط .

٥- «إن العولمة هى نهاية الوظائف وكثير من نسب البطالة وإنها تأتى بمفهوم فائض المـــوظفين وتقليص مزاياهم لصالح فئة مميزة قليلة النسبة على مستوى دول العالم . وإن كانت الدول النامية الأكثر تضررا ..

٦- أن أمريكا لا دخل كبير لها بالعولمة .. لأن العولمة تطور إنسانى جماعى وأن أمريكا وطبقا لمفاهيم مثارة على ساحة التفاعلات الدولية قد تنكوى هى الأخرى بنيران العولمة .. فأمريكيا تقوم على أساس عولمى يتجسد فى مفهوم «بوتقة الانصهار الأمريكية» ((MEL TING POT) . وأن هذه البوتقة لم تعد

(١) نشر هذا المقال لكاتب السطور فى العدد الأسبوعى - الأهرام المسائى ٢٠٠٠/٧٧/٩م .

تصهر عناصر المجتمع الأمريكى كما كمان الأمر قبل ذلك ولذلك أطلق خبراء علم اللغة الإجتماعى تعبير طبق السلطة SALAD BOWL . وبدأت تظهر ملامح مستجدة تدعو للانفصال (انفصال جمهورية تكساس) والتى تم قمعها لتظل فى بوتقة الانصهار أو طبق السلطة .

٧- «إن العولمة مؤامرة كبرى .. البعض يعتبرونها كذلك فى عالمنا العربى بمسميات براقة ، كما أن قطاع كبير من المواطنين الأمريكيين ينظرون لها بنفس المعنى .

٨- «إن العولمة تتحرك فى إطار ثلاثة محاور : عولمة اقتصادذية + عولمة عسكرية وسياسية + دور متميز للجمعيات الأهلية/غير الحكومية وأنه وطبقا للعولمة .. فإن لهذه الجمعيات دور غير مسبوق لابد أن تقوم به حيث أنتها من المفترض أن تمثل الصوت والقوة الحقيقية للشعوب .. إلا أنه وفى واقعنا العربى تختلط الكثير من الأمور وهناك قطاع يقول ان الجمعيات الأهلية هى «فلوس وتطبع وتغريب» وهناك جدل دائر عن نسبة هذه الجمعيات التى تقوم بدور وطنى ودولى ملتزم ونسبة من يقومون بادوار مشبوهة وما ينبغى أن تكون عليه الأمو وتحديد دور الدولة فى هذا السياق ومعادلاته .... » .

٩- إن العولمة تعنى انحسار دورا الحكومات وترك المجالات لحرية العمل فى المجالات الاتقتصادية والثقافية والسياسية وأن تدخل الدولة له حدود والانحراط فى العولمة حتمى ! ..

١٠- « .. إن العولمة تنزع إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل والتعاون والاندماج بين الدول وآلاف الفاعلين الدوليين الآخرين .. وإنها تسير بسرعة فائقة كقطار سريع ولا يمكن تجاهله أو الوقوف أمامه أو عدم ركوبه وإلا كان التهميش هو المصير » .

١١- «إن العولمة هى عالم التجمعاتا الاقتصادية الكبرى ... «الاتحاد الأوروبى «النافتا» وغيره ولا بديل للعرب من أن يكونوا تجمههم .. وأن هناك هامشا كبيرا للتفاوض ينبغى استغلاله فى هذا العالم ... للتوحد العربى الإسلامى وأن هذه التجمعات عبر العالم كله من إيجابيات العولمة .

١٢- «إن العولمة» تعنى توحد البشرية لمواجهة تحديات كونية فى البيئة والصراع والأمراض والسكان والمصادر والا كان سيناريو الفوضى المدمرة للجميع .. فالتفاوض الإيجابى مطلوب من الجميع ليس من دافع اخلاقى فقط ولكم من دافع المصلحة البحتة» .

١٣- « .. إن العولمة تعنى عولمة الاعلام كوسيلة لدعم التدفق الحر للمعلومات

وحرية الاتصال وتوفير فرص غير محدودة وآفاق غير مسبوقة تعنى مزيدا من حية الاختيارات للجمهور بين وسائل الإعلام والحصول على ما يريد من معلومات يختارها الفرد بحرية تامة طالما توفرت له الحقوق .. والأدوات المعلوماتية» .

١٤- «إن العولمة فى مجال العلم هى سهولة ويسر الحصول على الأبحاث عبر العالم وسهولة حضور عشرات المؤتمرات عبر الأنترنت (TELE CON FEREN CE) وكذلك هى هجرة العقول حيث البيئة الأكثر ملاءمة لها مع ازدياد الهوة بين الشمال والجنوب والتقدم والتخلف ..» .

١٥- «إن العولمة تعنى كوسوفا والبوسنة والصومال .. كحالات للتدخل العسكرى العولمى وكذلك رواندا كحالة لعدم التدخل» .

١٦- .. إن سلبيات العولمة كفيلة بالقضاء على الاقتصاد العالمى كله ولا سبيل إلا التكافل ومراعاة الأبعاد الاجتماعية وقيم العدل وخلافه ولا سبيل إلا لطريق ثالث يعظم الجوانب الإيجابية ويقلل السلبيات .

١٧- أن العولمة تعنى الالتفاف حول دور الأمم المتحدة والعمل على تهميشها واستخدامها كغطاء لصالح الدول العظمى بخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وإيجاد هيئة دولية فعلية أخرى قد تكون متمثلة فى الناتو أو قد يظهر لها اسم آخر فى المستقبل «كحكومة العالم» .

١٨- إن السلطة المعنوية للأمم المتحدة هى الأقوى فى عالم اليوم والغد بكل القيود القائمة .. وإن العالم أكثر تقبلاً لها كممثل للشرعية الدولية وأنه لا سبيل إلا بإصلاحها كى تلعب دوراً عادلاً بعيداً عن الازدواجية وأن العالم كله فى حاجة لهذه المنظمة خاصة فى عصر العولمة .

مما سبق يتضح لنا إن العولمة كمضمون ذى أبعاد عديدة ورؤى سلبية ورؤى إيجابية ولاشك أننا إذا نظرنا إلى كل حجة من الحجج الرئيسية الـ ١٨ المرصودة من ملفات التفاعلات حول العولمة من منظور غير ثقافى بالتحليل الكافى لكان هذا الأمر خارج نطاق هذا المقال ...

ولكن ما يمكننا تسليط الضوء عليه هو ما يلى :

١- إن مساحات التفاوض التى ينبغى تحديدها والعمل على استغلالها من أجل تعظيم الأجندة الوطنية وكذلك المساهمة دوليا فى مباراة اخلاقية يكسب منها الجميع ولو بنسب متفاوتة (حسب الجهد وميزان القوة ومعرفة التحرك الملائم وتنفيذه ..) هى مساحات موجودة بالفعل لمن يريد العمل فى إطارها بل وتوسيعها وإيجاد مساحات أخرى ..

٢- إن هناك سعرا تفاوضيا لا يتم إلا عن الطريق الرسمى أى من خلال دبلوماسية المسار الأول (أى كما فى حالة التفاوض فى إطار الجات أو مع البنك الدولى أو صندوق النقد) وإن هناك سعرا تفاوضيا من الأفضل والأوقع أن يتم من خلال دبلوماسية المسار الثانى غير الرسمية وهنا نقع فى عالم اليوم أغلب عمليات التفاوض الجمعى وتشغيل ذهنية الأخرين ولهذا تفاصيل عديدة رصدتها فى سياق أخر ..

٣- ينبغى التنسيق فى الأدوار بين الفاعلين على المسار الدبلوماسى الأول والثانى من أجل تعظيم المنافع وتعميق فكر الحشد الفعال على المستوى الأقليمى العربى وعلى مستوى تفاعلات الجنوب من أجل تفاوض أفضل مع الشمال المتقدم .

٤- ان كثيرا من عمليات التفاوض على المسارين الأول والثانى فى إطار خريطة الحجج المثارة الـ ١٨ ينطبق عليها تعبير «التفاوض النضالى» الذى يحتاج إلى طاقة ومهارات عالية والابتعاد عن حالة سائدة فى واقعنا تتسم عادة باتخاذ موقف الاحباط واليأس والإدانة ثم التقوقع والانتظار وهى حالات يصاحبها رؤية اختزالية شديدة للواقع كأن يرى البعض العولمة على أنها ذات تعريف أو اثنين دون النظر إلى الخريطة الذهنية المكونة من ١٨ حجة كما أوضحنا أو ينظر إلى أمريكا على أنها كتلة صماء واحدة أو للغرب كذلك أو حتى لأنفسنا فيما بيننا مع إن الواقع أكثر تعقيداً وتركيباً ونحن نحتاج إلى هذه الرؤية ف الكثير من تفاوضنا مع بعضها البعض ومع الآخرين كى ننجح فى تطبيق التفاوض النضالى الإيجابى الذى لابد وأن تؤتى ثماره فى النهاية وهو من أصحب أنواع التفاوض ومن الناحية التقنية يطلق عليه «تفاوض إعادة الهيكلة» .

ولعلى أرصد التحليل هنا وعلى سبيل المثال لا الحصر . ما تثيره الحجتان الأخيران رقمى (١٧) و (١٨) بخصوص ما يتعلق بدور الأمم المتحدة فى عصر العولمة وكيفية رؤيتنا لهذا الدور وتعاملنا معه ... ولقد كنت طرفاً فى حوار ممتد عن هذا الموضوع دوليا ومحليا حيث اثير هذا الموضوع على هامش مؤتمر جمعية مستقبليات العالم WFS التى شاركت ببحث فى وقائعه فى يوليو ١٩٩٩ وامتد نقاش نقاش نفس الموضوع ولكن من زاوية أخرى فى القاهرة فى أغسطس ١٩٩٩ ولكن كان من الملابسات الطرقة للغاية أن أشاهد بعد تلك المناقشات الساخنة فى واشنطن بعد تلك المناقشات الساخنة فى واشنطن وفى القاهرة برنامجاً فى إحدى الفضائيات العربية (ART) يوم الاثنين ١٩٩٩/٨/٢٣ عن نفس الموضوع «بحذافيره» اداره الاعلامى المعروف د. عمر الخطيب ومعه ضيوف على درجة عالية من الكفاءة والتمييز وهم د. حازم الببلاوى والسفير جورج طعمة ود. حسن نافعة ود. على عتيقة .

على أوجه الخلل القائمة فى أداء الأمم المتحدة وهل تحولت لتكون أداة القوى العظمى وهل استطاعت أو تستطيع الدول النامة أن تنمى أو تطور دور الأمم المتحدة أو تتعامل معه بشكل إيجابى ؟

ولعل أرصد هنا بعض ملامح الأجابات التى وردت على لسان هذه الكوكبة دون الاستغراق فى التفاصيل لأن هذه الملامح تجسد ما أعنيه بالتفاوض النضالى المطلوب حيث أجمع المناقشون على مايلى :

- أنه لا سبيل إلا بإصلاح بيتنا من الداخل فعندما نطالب الأخرين بأن يكونوا أكثر عدلاً معنا فعلينا أن نكون أكثر عدلاً وأكثر ديمقراطية من الداخل .. وتكون لنا جهودنا الفاعلة والفعالة فيما بيننا دون وصاية وتسلط .
- أن النظام الدولى القائم يعكس عادة دور الأمم المتحدة ... ولكن الانسحاب أو عدم التأثير أو محاولة التأثير فى الأمم المتحدة هو القصور بعينه وهو الموقف الأكثر سوءا .
- أنه لاشك أن الدول الكبرى هى المستفيد الأكبر من الأمم المتحدة ولكن الدول الأخرى وإن هناك تسبيها بليغا أتى به أحد المتحدثين حين قال أن الأمم المتحدة مثل النادى لا يستفيد من أنشطته إلا الأعضاء الأكثر وجودا وفهما لما يحدث به .. ولا شك أن كل عضو يمكن أن يكون نشيطاً فى حدود قدراته .. وكلما ابتعد عن اليأس والأحباط كان أكثر اندماجاً مع ما يمكن وأن يحقق .
- إن تفعيل دور مهم لنا فى الأمم المتحدة على المستويات المختلفة لابد أن يبدأ بتفعيل منظماتنا الأقليمية والدخول بها إلى أروقة الأمم المتحدة وعلى رأسها جامعة الدول العربية التى تحتاج إلى اصطلاحات وتطوير كبيرين .
- أن هناك فوائد جنتها الدول الصغرى فى حالات بعينها لا يمكن انكارها على أصعـدة الصحة والتعليم وبرامج التنمية المختلفة .. فلم الأدانة المطلقة للأمم المتحدة ؟!
- أن هناك حالات من الازدواجية ومن الظلم وأن الأمم المتحدة قد استخدمت وتستخدم كغطاء لممارسات جائزة للدول الكبرى إلا أن هناك دائما وسائل لكبح وتهذيب هذا الجور ولو بنسب مختلفة وهذا يحتاج إلى تفاوض نضالى من قبل العرب ودول الجنوب وبشكل مستمر لأن البديل أكثر سوءا وبشاعة .
- أن مخاطبة شعوب العالم والتركيز على مقولة ميثاق الأمم المتحدة «نحن شعوب العالم ....» فى غاية الأهمية ولقد ضرب د. البيلاوى مثالا عن حالة فيتنام وقال أن حالة فيتنام توضح أنه ومع التفوق العسكرى الأمريكى إلا أن فيتنام

نجحت فى مخاطبة الشعب الأمريكية فى عقر داره واستطاعت أن تحركه حتى يقلب الدنيا رأسا على عقب على حكومته لصالح ما تريده فى نهاية المطاف ... ولعلى أضيف مثالا حديثا جدا يتعلق بفكرة نجاح المنصات الفكرية فى عمق الساحة الدولية حيث استطاع رجل مدرب وله مهارات عالية للغاية أن يحرك قطاعات هامة من الاعلام الأمريكى لصالح شعب البوسنة وهو وزير خارجية البوسنة شاكر بك لما له من قدرات متميزة ويعلم كيف يخاطب الرأى العالم الأمريكى وهو الأمر الذى كان حاسما فى ضغط الاعلام الأمريكى اليومى على الإدارة الأمريكية التى تحركت فى نهاية الأمر تحت هذا الضغوط ايجابيا وهناك حالات أخرى يمكننا الاسترسال فيها .. والخلاصة أن هذا هو الذى يحقق الفرق بين تبنى وتجسيد النضال التفاوضى وبين الاحباط والتفوقع والخوف والتخويف الظالم لنا ولقدراتنا الكامنة .

- لعلى اختتم هذا المقال بأمثلة إيجابية تحققت بفعل تطبيقنا لمفهوم التفاوض النضالى ففى سياق مؤتمرات السكان التابعة للأمم المتحدة أرصد من وقائع التفاوض فى مؤتمر بوخارست عام ١٩٧٤ أنه قد تم تفنيد نظرية مالتوس الخاصة بالسباق الكمى بين السكان والموارد وهو سباق كيفى تلعب التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التى تقودها الدولة فى كل مجتمع الدور الأساسى فى رفع المستوى العالم للإنسان اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا والانتهاء بهذا السباق لصالح السكان والتنمية والأمكانيات الطبيعية فى آن واحد .. ولقد كان الدكتور إسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط المصرى الأسبق ومعه رؤساء الوفود العربية ودول العالم الثالث أول من تصدى لمفاهيم مالتوس هذه بنجاح وتم تفنيدها واستبدالها بالتركيز على التنمية فى المقام الأول .

- أما المثال الثانى ... فهو من الوقائع التفاوضية التى حدثت فى مؤتمر المكسيك للسكان عام ١٩٨٤ للأمم المتحدة أيضا حيث ورد فى التوصية رقم ٣٦ فى ذلك المؤتمر حيث حاولت القوى الصهيونية تغييرها لتتفق مع التغيير الديموجرافى فى الأراضى العربية المحتلة وتصدت المجموعة العربية المشاركة فى المؤتمر حينذاك لمعارضة كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مما أدى إلى أخذ الرأى بالتصويت وأيدت الأغلبية حينذاك بقاء التوصية رقم ٣٦ كما هى تأييدا لوجهة النظر العربية .

- أما المثال الثالث فيشير إلى الدبلوماسى والباحث جون ماكدونالد فى بحث له بعنوان «التأثير الكونى لتكنولوجيا المعلومات» والمنشور فى كتاب وقائع المؤتمر الذى جاء بعنوان «آفاق القرن الـ ٢١ .. مقدمة للألفية الثالثة» ... حيث أشار

فى إطاره إلى أنه وفى عام ١٩٦٦ استطاعت مصر أن تحصل على موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة لكى يتم إنشاء كيان جديد بالأمم المتحدة وهو ما عرف بمنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية UNIDO ومقرها فى فيينا بالنمسا الآن .. ويذكر أن عبء ومجهود التحرك قامت به مصر فى ذلك الوقت من خلال شخصية مصرية متميزة وهو د. إبراهيم حلمى عبد الرحمن – رحمة الله – حيث تتم من خلال مثل هذه المنظمة محاولات الوصول إلى صيغ للتعاون بين الشمال والجنوب فى مجال التنمية الصناعية (ص ١١٨) .

- أما المثال الرابع والأخير فى سياقنا هذا فهو عن تجربة جماعية عربية خرجت من وقائع مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية الذى عقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٩٤ ودعيت فيه من قبل الجمعيات الأهلية العربية لتقديم دورة تدريبية فى مهارات التفاوض لعدد كبير من المشاركين والمشاركات من الجمعيات العربية الأهلية فى المؤتمر ، حيث بدأت هذه الجمعيات تستشعر أهمية الدور الفعال الذى يمكنها أن تلعبه فى مثل هذه المؤتمرات وأهمية التنسيق فيما بينهما ، خاصة أن الأمم المتحدة أصبحت تعترف بأن هذه المنظمات غير الحكومية عبر العالم لها تأثيرها الفعال فى عملية إتخاذ القرار فى مثل هذه المؤتمرات ، ولقد نجحت هذه الدورة التدريبية نجاحا كبيرا بفضل الله وبفضل روح التعاون الكبيرة للمشاركين والكفاءة الرفيعة والمتميزة للسيدتين الفاضلتين د. أمانى قنديل ود. منى ذو الفقار وأخرين فى الأعداد الجيد للفكرة وتبنيها وتنفيذها .. ولقد كللت هذه التجربة الجماعية الهامة بالنجاح .

وفى إطار بعض الوقائع التى صاحبت المؤتمر لا أنسى «لقطة تفاعلية» كانت فى سياق وجود حالة من الاعتراض الشديد لدى كافة التيارات بخصوص ما جاء فى وثيقة ذلك المؤتمر عن «مفهوم الأسرة» و«الأجهاض» بما لا يتناسب مع قيمنا الثقافية وعقيدتنا .. ولقد كان هناك فى الحقيقة تفاعلات إيجابية فى مصر تؤكد معادلة هامة مفادها أن للقاهرة رسالة عالمية تحاول من خلالها أن تكون العلاقات إيجابية بين دول العالم أجمع ولكن دون أن يفرض أحد أى أنماط ثقافية تخالف عقيدتنا وتقاليدنا وهو الأمر الذى أكده الجميع ووقف الرئيس حسنى مبارك معه بكل حسم ووضوح لصالح القيم السامية التى هى فى صالح الإنسانية كلها .. واتذكر أننى أشرت فى ذلك الموقف إلى نص الوثيقة المبدأ الرابع – الذى يقول إن وضع وتنفيذ السياسات السكانية حق سيادى لكل أمة .. وأتذكر أننى عندما قلت أن هناك خبر يفيد بأن جهود القاهرة قد أثمرت ونجحت حملة أعلاء القيم السامية وهذا ما عبر عنه وزير خارجية أمريكا كريستوفر فى ذلك الوقت حين قال «أن بلاده لا تؤيد

الاجهاض كوسيلة لتحديد النسل .. وأن الإدارة الأمريكية لن تتخذ موقفا مؤيدا للأجهاض فى مؤتمر السكان بالقاهرة . (الأهرام ٩٤/٧/٢٩) ... وهنا علق محاور – بالرغم من مركزه المرموق إلا أنه يعتبر من طائفة المحبطين دائما قائلا «هذا خبر ملفق»! ... كما لو أن سيادته لا يصدق أن أحد الأطراف الهامة فى المؤتمر هو أمريكا يقيم وزنا لما نراه وتمليه علينا معتقداتنا وتقاليدنا وأن أمريكا وغيرها تحترم من يحترم نفسه وقيمه هذا بالإضافة إلى وزن القاهرة الحاضر دائما .. فكما لو أن هذا المحور يأبى إلا أن يكون منسحقا مفروضا عليه ما قد يحاول الغير فرضه ..

(الأهرام المسائى العدد الأسبوعى ٢٠٠٠/٧/٩)

(ب) مصر ومعركة التفاوض مع صندوق النقد[١]

لا يزال المفاوض المصرى وعلى أكثر من مستوى بصدد ادارته لعملية تفاوض شاقة ومركبة إلى أبعد الحدود مع صندوق النقد الدولى ونادى باريس وكذلك العديد من القوى الدولية التى يستعان بدورها كوسيط فى عملية التفاوض .. فبعد جهد كبير حقق الاقتصاد المصرى قدرا من الانجازات التى مكنت المفاوض المصرى من الوقوف على أرضية ، أقل ما توصف به أنها لم تكن موجودة من قبل فهو الأمر الذى حدا بأحد المراقبين / المحللين وهو مارك نيكلسون أن يقول فى صدر مقالته بجريدة (الفينشيال تايمز) «يونيو ١٩٩٤» أن مصر قوية بالدرجة التى يمكنها من أن تقول لا للصندوق .

ولكن لابد لنا من تحليل ملف التفاوض الراهن ، خاصة وأن الساحة تشهد صراعا حادا فى أجندة طرفى التفاوض وصل إلى حد الأزمة بخصوص طلب الصندوق تخفيض قيمة الجنيه المصرى ومن المتعين التعامل الإيجابى مع هذه الأزمة بما يضمن استمرار مسيرة قوية وفعالة لصالح الاقتصاد الوطنى المصرى .

ويمكننا هنا رصد عناصر الموقف التفاوضى بغية التمعن فى عناصر وطبيعة المباراة التى دخل إليها المفاوضون وكذلك طبيعة الحجج المتبادلة والرؤية الكلية للموقف وذلك من خلال تحليل بيانات أولية طرحتها كل من وسائل الاعلام المصرية/العربية من ناحية والغربية من الناحية الأخرى .

اولا: نوع التفاوض

يمكننا القول هنا بأن التوصيف الأشمل يقول أننا بصدد تفاوض غير متكافئ بطبيعته هو ما يسمى بـ Asymetrical Negotiation وهذا التوصيف لا ينبغى وأن

(١) نشر هذا المقال لكاتب السطور فى جريدة البيان الإماراتية فى ١٩٩٤/٨/٢٢ ... وأرصده بنصه كما هو كمثال آخر لاستشراف المستقبل فى ذ الحين والذى لا يزال قائماً اليوم .

يعنى الرضوخ فى النهاية للصندوق كما تذهب لذلك بعض الآراء على الساحة وإنما ينبغى وأن يعنى مجرد عبء أكبر على كاهل المفاوض المصرى الذى يتعين عليه أن يولد ويبتكر الآليات المختلفة والمتعددة لتعويض موقف عدم التكافؤ هذا الذى أوجدته فيه ظروف عديدة ، وهذا ما يحاوله المفاوض المصرى فى إدارته لاشتباك الاجندات الراهن .

كذلك لابد وأن نقول بأن هناك توصيفا أو توصيفين أخرين أكثر تخصيصا لنوع التفاوض والمباراة الراهنة ، والأول هو أننا وطبقا لتصنيفات Ikle الخمسة لأنواع التفاوض فى كتابه بعنوان «كيف تتفاوض الأمم» بصدد مفاوضات «تمديد» (EXTENSION) حيث أن التفاوض الراهن يتعلق باسقاط الشريحة الثالثة والأخيرة من ديون مصر الملغاة طبقا للاتفاقية التى ابرمت عام ١٩٩١ والخاصة بشطب أو إلغاء ديون مصر الخارجية على ثلاث مراحل والتى تبلغ نسبتها فى هذه الشريحة الأخيرة ٢٠٪ أو ما يعادل ٤ مليارات دولار .

ولكن وطبقا لما تضمنته حجج الصندوق والعديد من التحليلات الغربية : التى تذهب إلى ضرورة خفض قيمة الجنيه والفائدة التى سنقدم عرضا موجزا لها ، يمكننا من توصيف نوع التفاوض الراهن طبقا أيضا للأنواع التى ذكرها Ikle وهو ذلك النوع من التفاوض الذى ينبغى أن ينحو فى اتجاه اعادة هيكلة الموقف التفاوضى برمته Redistribution وبالتالى يتحول نوع التفاوض من مجرد تمديد أوتوماتيكى أو شبه اوتوماتيكى لما تم الاتفاق عليه مسبقا عام ١٩٩١ إلى تفاوض يحاول من خلاله مفاوض الصندوق اعادة رسم خريطة الموقف كله وصياغته وتشكيل الأرضية التى يقف عليها المفاوض المصرى .. إن لم يكن الأمر بمثابة محاولة لسحب هذه الأرضية من تحت الأقدام ، إذا ما تأكدت صحة النتائج المدمرة التى ستنتج عن الموافقة على طلب الصندوق وفى هذا التوقيت بخفض قيمة الجنيه من ٢٥٪ إلى ٤٠٪ .

ثانياً: الحجج المتبادلة :

رفض المفاوض المصرى طلب الصندوق بتخفيض الجنيه لان ذلك فى غير صالح الاقتصاد المصرى ويترتب على التخفيض زيادة فلكية فى الأسعار قد تصل إلى ٨٠٪ وكذلك عودة ظاهرة الدولرة وزيادة كبيرة فى معدلات التضخم وارتفاع فى قيمة السلع الترفيهية بنسبة تتراوح ما بين ١٠٠ و١١٠٪ بالإضافة إلى ارتفاع فى قيمة السلع المستوردة التى يمكن وأن تحمل لها نظائر فى داخل المنتج المصرى بنسب تتراوح ما بين ١٢٠٪ إلى ١٤٠٪ .. وأكثر من ذلك فإن تخفيض الجنيه سيهز ثقة المستثمر الأجنبى فى الاقتصاد المصرى .

وبالرغم من اتفاق أغلب الآراء على القول بعدم تخفيض الجنيه إلا أن ملف الآراء المصرى يتضمن رأيا آخرا مفاده أن الرأى لآليات السوق والعرض والطلب وأن الحكم ليس هو رأى الاقتصاديين أو رجال الأعمال فى تحديد قيمة الجنيه المصرى فى الأسواق .. هذا إذا كان لمصر واقتصادها منفذ للخروج من حالة الركود والانكماش الاقتصادى السائد وهذا يستتبع أن تنخفض قيمة الجنيه المصرى .. وإن استمرار حالة الركود والانكماش الراهنة والجمود والتوقف يعنى أن يستمر الجنيه المصرى فى وضعه الحالى .

أما حجج الصندوق والتحليلات الغربية فتقول : أن تخفيض الجنيه من شأنه أن يزيد الطلب على صادراتنا وأن الطلب المحدود عليها فى الوقت الراهن سيزداد فى حالة تخفيض الجنيه ويضرب بعض المحللين مثال «البرتقال المصرى» وهو جون منرو "Middie East Times" ٩٤/٧/١٧ فيقول يعتبر البرتقال المصرى من أجود أنواع البرتقال فى العالم ولكن تكلفته عالية للمستهلك خاصة فى الأسواق المصرية فى الخارج فى أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى وبالرغم من جودته الفائقة إلا أن هذا لا يعوض سعر البرتقال الأرخص كثيرا الذى يأتى لنفس هذه الأسواق من ايطاليا واسبانيا ويمثل منافسة كبيرة للبرتقال المصرى هناك .

إذا كانت الآراء المصرية سواء على صعيد المفاوض الرسمى أو على صعيد رجال الأعمال المصريين الذين يقولون لا لتخفيض قيمة الجنيه اليوم أكثر من قيمته الحقيقية وهنا يطرح Munro سؤالا يقول فيه إذا كان تخفيض الجنيه Devaluation له مخاطر كبيرة أليس فى زيادة قيمة الجنيه عن واقع قوته الحقيقية «بسبب تدخل البنك المركزى» Over Valuation نفس المخاطر ونفس التأثير السلبى ؟!

أن عملية تفنيد حجج الطرفين من قبل بعضهما للآخر قد تنوعت فى مداعها وأهمها مايلى :

١- أن الصندوق يطالب الحكومة المصرية بالتدخل وخفض قيمة الجنيه المصرى فى الوقت الذى كان الصندوق يطالب فيه دائما بعدم التدخل وترك الأمر لآليات السوق والعرض والطلب فقط وهذا يمثل هنا خللاًواضحا فى إقامة الحجج تحت ما يعرف «بعدم الاتساق» والتناقض الذاتى طبقا لادبيات اقامة وتفنيد الحجج .

٢- أن خبراء الصندوق يسوقون حجة زيادة التصدير إذا ما تم خفض الجنيه المصرى وهذا يمثل أيضا هنا خللا فى إقامة الحجة من منطلق أنه ليس هذا بالضرورة شرطا لذلك .

فعملية التصدير يستتبعها أمور عديدة أخرى مثل إدارة تعقيدات الأسواق

الخارجية وصعوبات أخرى متعددة لا ترجع فقط لقيمة الجنيه المصرى وليكن دعم الصادرات من خلال اجراءات أخرى مثل الاعفاءات الضريبية أو دعم تكاليف الشحن وإلى ما ذلك من إجراءات .

٣- أن أمر تخفيض الجنيه لا ينبغى وأن يكون على الأجندة المصرية سواء فى الوقت الراهن أو المستقبلى وإذا صح الافتراض القائل بأن الجنيه الآن أكثر من قيمته الحقيقية وهذا له أثاره السلبية فلماذا لا يتم تعويض هذا الخلل من خلال مزيد من فرص الطلب على العملة المصرية فى الأسواق الدولية عن طريق تحصيل رسوم المرور فى قناة السويس بالجنيه أو من خلال بيع المحاصيل والسلع الاستراتيجية المصرية بالجنيه المصرى .

٤- أن توقيت المطالبة بخفض الجنيه توقيت سيء للغاية .. وكما يذهب البعض إلى أن تخفيض أو زيادة سعر الجنيه غير مطلوب نهائيا الآن فكل من الخفض أو الزيادة فى الوقت الراهن سيؤدى إلى زيادة معدلات التضخم ، وإذا كان الأمر يرتبط الآن بالتفاوض على الشريحة الثالثة والأخيرة والتى تقدر بما يساوى ٤ مليارات دولار ، فإن التخلى عن هذا الاسقاط أقل فى تأثيراته وانعكاساته السلبية من الخضوع لطلب الصندوق بخفض قيمة الجنيه الآن .

٥- أن خبراء الصندوق والمحللين الغربيين يقرون بأن مصر انطلقت إلى آفاق جديدة بعد أن كانت على وشك الافلاس فى أواخر ١٩٩٠ وإنها تمكنت من خفض معدلات التضخم بشكل ملحوظ وأصبح العجز فى ميزان المدفوعات ٢,٦ ٪ بعد أن كان ١٨ ٪ وأصبح لديها مخزون من السلع الاستراتيجية يكفيها لأكثر من ١٨ شهراً بعد أن كان لا يغطى إلا مدة أسبوعين فقط فى أواخر التسعينات ووجود فائض يقدر بـ ١٧ مليار دولار كذلك كان من الانجازات الكبيرة تثبيت سعر الجنيه فى مواجهة الدولار إلى الآن ولكن صندوق النقد لديه قناعة الآن وكما يذهب إلى ذلك مارك نيكلسون فى مقاله بـ «الفيننشيال تايمز» إلى أن مصر لا ينبغى فقط وأن تقوم بخفض الجنيه ولكن عليها أن تقلل من نسبة الفائدة عليه لأنها لن تتمكن من الاحتفاظ بهذه النسبة العالية من الفوائد دون أن تتأثر عملية النمو الحقيقى بالسالب .

إدارة التفاوض الراهن :

لاشك أن هناك الكثير مما يقال عن البعد الثقافى السياسى فى إدارة عملية التفاوض الراهن مع الصندوق ولهذا سياق آخر ولكن وبإيجاز نقول أن هناك عدة نقاط يمكن من خلالها مناقشة هذا الأمر وهى :

١- أن الصندوق وكذلك الكثيرين من الخبراء والمحللين الغربيين لا ينظرون لتعقيدات الواقع الثقافى الخاص بنا وإننا لابد وأن نبذل جهدا كبيرا لكى يكون ايقاع التغيير متمشيا مع هذا الواقع الثقافى وتقبل التغيير من نظام وفكر شمولى إلى آليات السوق وريادة القطاع الخاص لان هذا التغيير من شأنه وأن يؤثر وبصورة كبيرة على بعض الأعباء الاجتماعية وعمليات الدعم الحكومى للعديد من السلع وهو الأمر الذى تعودنا عليه من ناحية وله ما يبرره ثقافيا على أساس مبدأ التكافل الاجتماعى وهو أمر ليس من معتقدات خبراء الصندوق وفكر آليات السوق والخصخصة .

٢- أننا وعلى مستوى تفاعلاتنا الداخلية على يقين بأننا لابد وأن نحرز تغييرا جوهريا لصالح سرعة ايقاع الحركة لدينا ولابد من تغيير فكر الإدارة فى كافة قطاعات حياتنا ولابد وأن يكون ايقاع سرعة الحركة عندنا على مستوى التحديات الكبيرة التى نواجهها ويكون كذلك على مستوى سرعة ايقاع الخصوم والمتنافسين ومن هنا لابد وأن تكون فرصة تأمل معركة التفاوض الراهنة حول تخفيض قيمة الجنيه والتى ستستمر فى المستقبل ... فرصة لتغير ما بأنفسنا فالأمر لا يتجزأ .

فإذا قلنا أن جهد قطاع التصدير وكذلك قطاعات الإنتاج المختلفة لدينا هو الذى يمثل الأمر الحيوى والحقيقى فى عملية التنمية وحسم الأمور لصالح أجندتنا التفاوضية على المدى القريب والبعيد فماذا عن قطاعاتنا الأخرى فماذا عن قطاع هام كالجامعة .. هل يعقل أن يظل مثلا نظام الكنترول الراهن [والذى تم العمل به منذ عام ١٩٠٤ ..من أيام الانجليز] معمولا به إلى الآن ؟

أن عملية التحرك السريع والإيجابى المرتبطة بفكر التجديد والابتكار وانسياب العمل أصبح أمرا لابد من تحقيقه فهو بمثابة حياة أو موت !! [انتهى هنا نص ذلك المقال الذى كتبه كاتب السطور منذ ستة سنوات . ويفيد بمثال للتفاعل مع ضلع مثلث التفاعلات الدولية الخاص بصندوق النقد الدولى وانتقل إلى رصد مقال آخر لحالة تفاعلات الدور المصرى مع الضلع الثالث للمثلث والمتمثل فى التفاعلات مع البنك الدولى] .

★ (ج) الأجندة التعليمية .. رؤية مستقبلية[1]

[حالة للتفاوض النضالى فى سياق أجندات البنك الدولى وخارجها]

لقد اختارت مصر أن تدير معادلة هامة بحكم كونها دولة من الدول الاقليمية التى تقوم دائما بدور حيوى فى منطقتها وفى العالم وهى أن تتفاعل مع المؤسسات

(١) تم نشر هذا المقال لكاتب السطور بالأهرام المسائى ، العدد الأسبوعى فى ٢٠٠١/٢/١٨م .

الدولية والعالم الخارجى بشكل إيجابى من ناحية ولكن وفى نفس الوقت أخذت على عاتقها أن تحافظ دائما على هويتها وخصوصيتها الثقافية ومصالحها الاستراتيجية العليا وإلا تقبل فرض أجندات مصنعة فى الخارج ، إنما تعمل بعقلانية ووطنية على صياغة أجندتها التفاوضية الخاصة بها مع أخذ العوامل والمعطيات الدولية والإقليمية بعين الاعتبار ولعل إدارة مصر للعديد من التفاعلات التفاوضية لهو خير شاهد على ذلك الحرص على ضبط معادلات التنمية على هذا النحو فى المجالات المختلفة ولعل أشهر تلك التحديات الأخيرة التى شهدتها مساحة التفاعلات المصرية – الدولية على صعيد التنمية الاقتصادية هى وقوف مصر بحسم وصلابة أمام طلب صندوق النقد خفض قيمة الجنيه المصرى فى أكثر من مناسبة ماضية حيث رأت القيادة السياسية والقيادات الاقتصادية خطورة قبل هذا الاقتراح ، وأصر المفاوض المصرى دائما على أن يكون هو الفاعل المشكل لاجندته التفاوضية ولتحركاته وسياساته بأسلوب عقلانى ووطنى ولعل هذا المثل وغيره ليدل على أننا أصبحنا أيضا نتخذ القرار مع وجود قناعة تواصلية هامة وهى أننا لسنا بالضرورة أن نتهم الأطراف الأخرى «بالتأمر» والتفاعل على أساس نظرية المؤامرة السلبية ولكننا فقط وبتجرد نقول أن للآخرين مجرد طرح «ما» أو رؤية أخرى مع وجود حسن الظن كمنطلق مبدئى ينبغى أن تقام عليه أى علاقات ولنا أن نتفق أو نختلف مع هذا الطرح أو ذاك دون الانزلاق إلى متاهات الظن والامساك بزمام الأمور .

فى هذا الإطار العام نود أن نناقش طرحا للبنك الدولى بخصوص اصلاح وتطوير التعليم فى مصر .. من حيث اعطاء الأولوية والجزء الأكبر من ميزانية التعليم للتعليم الأساسى والفنى مع الدعوة إلى إغلاق الباب أمام التوسع فى التعليم الجامعى وانتهاج سياسة انكماشية بخصوصه ولقد وجدت مثل هذا الطرح فى كتاب مهم رغم مضى عدة سنوات على صدوره بعنوان التربية فى مصر لمؤلفته جوديث كوكران وترجمة أ.د. أحمد شفيق الخطيب ١٩٨٩ ، كذلك لمست هذا التوجه الواضح من خلال لقاء أتيح مع مجموعة من أساتذة الجامعات المصرية مع أحد قيادات البنك الدولى فى حوار حول مشاريع اصلاح وتطوير التعليم .. وأخيرا وجدت نفس الطرح من خلال مجموعة مقالات للدكتور إبراهيم شحاته النائب الأول لرئيس البنك الدولى عن التعليم وقضاياه المعقدة والشائكة على صفحات الصحف المصرية .

وبالرغم من تنويه د. شحاته «بأن الآراء الواردة فى كتاباته تعبر عن صفته الشخصية كمواطن مصرى ولا يجوز بأى حالة نسبتها إلى البنك الدولى حيث يعمل سيادته «إلا أن طرحا فى جزئية التعليم يتفق وتوجه سياسة البنك ، ولا ننتقد هذا بطبيعة احال فما هى المشكلة فى أن تكون وجهة نظرى الشخصية متسقة مع

وجهة نظر مكان العمل فى شأن من الشئون ؟! بالطبع قد يحدث هذا فى كثير من الأحيان .

ولكن إذا خلصنا إلى أن الطرح الرئيسى للبنك لتطوير التعليم يدعو إلى إنكماش التعليم الجامعى وعدم التوسع فيه من ناحية ولركيز على التعليم الأساسى والفنى كتوجه رئيسى ووضع مسألة المجانية موضع التساؤل ... وإذا كان د. شحاته قد تناول تفصيلا وعلى مدى ستة مقالات هذه الزاوية وما يتعلق بها من موضوعات وقدم فى ذلك حجا وأسانيد إلا أننا ونحن فى صدد التحاور الموضوعى فى إطار موضوع التعليم وصياغة توجهاته لمصلحة الون لابد أن نسوق إلى بؤرة التأمل وجهة نظر صانع القرار التعليمى فى مصر والتى تنبنى على حقائق دولية هامة بخصوص أهمية التوسيع فى التعليم الجامعى فى مصر وكذلك تأخذ بعين الاعتبار الخوصية الثقافية المصرية بتعقيداتها ووجهة النظر هذه تقول بأنه وفى بداية التسعينات وفى إطار مشروع مبارك القومى لتطوير التعليم الجامعى وتمت دراسات عديدة فى وزارة التعليم والمجلس القومى للتعليم ووزارة التنمية الإدارية ووزارة الحكم المحلى ووزارة العمل ومنظمة اليونسكو تبين فيها الآتى :

(١) أن نسبة التعليم العالى فى مصر هى نسبة متدنية مقارنة ببعض الدول العربية وكل الدول الأوروبية ودول حوض البحر المتوسط وشرق أسيا . إذ تبلغ فى مصر ١٩,٥ ٪ مقارنة بـ ٢٢ ٪ قطر ٢٧ ٪ الأردن ٢٩ ٪ لبنان ، ٣٤,٥ ٪ إسرائيل ، ٣٠ - ٤٠ ٪ معظم دول أوربا ، ٥٩ ٪ أمريكا ، ٤٠ ٪ اليابان ، ٦٤ ٪ كندا (ملحق رقم ١ - كتاب مبارك والتعليم نقلا عن الكتاب السنوى لليونسكو والصادر سنة ١٩٩٢) .

(٢) أن هناك اتجاها عالميا لزيادة نسب التعليم الجامعى والعالى خاصة فى دول شرق أسيا (النمور) وفى انجلترا حيث كان التعليم الجامعى إلى وقت قريب هو تعليما للصفوة فقط وتحول اليوم إلى شعار تعظيم المنفعة من العليم الجامعى واتخذ قرار سياسى بزيادة نسبة التعليم الجامعى من ٢٢,٥ ٪ إلى ٣٠ ٪ فى نهاية هذا العقد كما تم تحويل كل المعاهد التكنولوجية إلى جامعات وانتهاء بأمريكا وفيها نسبة من أعلى نسب التعليم فى العالم حيث أعلن الرئيس الأسبق جورج بوش الأب أنه يرغب فى أن يكون كل عمال أمريكا من الجامعيين .

(٣) أن هناك اتجاها جديدا خاصة فى اليابان التى تتبع نظام الإعداد الوفيرة فى التعليم الجامعى (تبلغ النسبة ٤٠ ٪) حيث تغير الهدف من التعليم الجامعى من تخريج موظفين أو اكاديميين إلى هدف جديد وهو امداد كل مجالات الاقتصاد القومى والإنتاج بخريجين جامعيين يتميزون بسعة الأفق وروح البحث والابتكار والمبادرة ، يدخلون كل مجالات الإنتاج والاقتصاد حتى مستوى الوحدات

الصغرى مما ينعكس أثره على زيادة واضحة فى النمو الاقتصادى (ملحق رقم ٣ – كتاب التعليم فى بلاد الشمس المشرقة) .

(٤) أن نظام الإنتاج العالمى الجديد الذى نتجه إليه شئنا أم أبينا يحتاج إلى نوعية جديدة من العاملين والكوادر التى يفترض فيها أنها تستطيع أن تتعامل مع التكنولوچيا الجديدة وأن تتقن اللغات .

بشكل متطور يسمح بفهم علاقة اللغة والثقافية والفكر السليم سواء على نطاق استخدام اللغة الأم أو اللغة الأجنبية .. وفى سياق الاستخدام الفعال للغة وفكر الإدارة الحديثة التى تتعامل مع المواقف وعنصر الوقت وادارته على افضل نحو .. هذه النوعية الجديدة هى المطلوبة اليوم لتعمل بشكل لا مركزى على خطوط الإنتاج لتصل إلى الجودة المطلوبة فى أسواق التنافس فى عالم اليوم وهى المطلوبة أيضا لترويج وبيع السلع الجيدة . ومثل هذه النوعية لا تأتى إلا من خلال التوسع الكمى والنوعى فى التعليم الجامعى ولا أمل لمصر فى التقدم إلا من خلال هذا التوسع الرأسى (العددى) والنوعى معا .

إن تبنى أمر التوسع فى التعليم الجامعى لحقائق مهمة ترتبط بالواقع الثقافى المصرى ومنها أنه من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية ، فإن التعليم الجامعى هو الطريق الوحيد المشروع لابناء الطبقات الفقيرة للارتقاء اجتماعيا وأنه أمل الأسرة المصرية الفقيرة ، كما أن الشهادة الجامعية هى فى مصر كما أنها كذلك فى بلاد كثيرة أخرى حتى المتقدمة تعتبر شهادة أو «رخصة» اجتماعية إلى جانب أنها شهادة علمية لجميع طبقات المجتمع . أنه على افتراض وجود نسبة ضرورية من البطالة من خريجى أى مرحلة من التعليم ، فإن مواجهة البطالة لشباب فى مرحلة المراهقة ودون وعى كاف أو خبرات حقيقية ، اخطر على المجتمع كثيرا فى مواجهة البطالة بالنسبة لشباب نضج نسبيا بعد سنوات من التعليم الجامعى ، حصل فيها على شهادة جامعية ترضيه نفسيا واكتسب من خلال التعليم خبرات تمكنه من التكيف مع المجتمع وإيجاد فرص عمل جديدة .

إن اتباع سياسة انكماشية فى التعليم الجامعى تعنى عدم التفاؤل بالنسبة للنمو الاقتصادى وتزايد فرص العمل الجديدة الناتجة عنه ، كما أنها وهذا هو المهم هنا نفترض نظاما انتاجيا متخلفا نسبيا عن الإتجاهات العالمية المنافسة (أى نظام الإنتاج الذى يعتمد على خبرات وقدرات عالية) .. ولقد تبين من الدراسة التى قامت بها وزارة التنمية الإدارية ووزارة القوى العاملة أن نسب البطالة الناتجة عن التعليم الجامعى فى مصر لا تجاوز ١٣٪ مقارنة بنسبة ٨٠٪ من خريجى التعليم الفنى والمتوسط وبذلك يتبين أن التعليم الجامعى ليس مسئولا عن البطالة فى مصر بل العكس هو

الصحيح ، فإن فرص العمل تزيد بإتاحة الفرصة للشباب فى اكمال تعليمهم . إن اتباع سياسة انكماشية فى التعليم الجامعى يعبر ضمنيا عن ربط التوظيف بالتعليم وهو مبدأ لم تعد الدولة تقبله .. إذا أن الدولة مسئولة أساسا فى عصر «آليات السوق» عن إتاحة فرص التعليم بكل مستوياته للشباب وأن الخريجين مسئولون عن استخدام الخبرات والقدرات التى اكتسوبها فى البحث عن فرصة عمل أو خلق فرص عمل جديدة لأنفسهم . الخلاصة المنطقيةة هى أن وجهة نظر البنك بخصوص التركيز على وتدعيم التعليم الأساسى والفنى وإعطائه الأولوية القصوى لهو طرح بالفعل وبالطبع هو مهم وله موضوعيته كذلك فإن مقولةة د. شحاته بخصوص الأمية وأهمية القضاء عليها على الأكثر فى خمس سنوات بتكاتف جهود الدولة وتنسيقها هو طرح حتمى ولابد من العمل على الأخذ به ولكن إذا كان هو الطرح يتضمن بالضرورة تبنى سياسة تقليص وانكماش للتعليم الجامعى فى مصر فهذا ما لا نتفق عليه ، فمعاهدنا وجامعاتنا هى التى يتعين عليها قيادة التنمية المتقدمة وامداد جميع مجالات وقطاعات التنمية بكل ما تحتاجه من خبرات ومؤهلات مرتفعة اسما وفعلا .. نهم ينبغى أن تكون لسياسة التعليم عين على سوق العمل ومتطلباتها على أن تتم مراعاة الترشيد فى إعداد المقبولين بما يتفق مع حاجات الاقتصاد القومى وقطاعات الدولة المختلفة وتحديد الاعداد المقبولة فى التخصصات التى بها اكتفاء والتوسع فى التخصصات التى يوجد بها عجز كما ينبغى الترشيد داخل الكليات ذاتها وزيادة أقسام اللغات فى كليات الآداب والتجارة وتخصص التسويق فى كليات التجارة ، وأن يتم الأخذ فى الإعتبار التوصيات والإتجاهات للدراسات الدقيقة عن البطالة بأبعادها المختلفة .. ولكن السؤال هنا هو فى أى شىء يصح الانكماش ؟! .. لابد أن يكون الانكماش فى مسألة منح درجتى الماجستير والدكتوراة .. فلابد أن تكون هناك معايير صارمة للحصول على هذه الدرجات إلى مجرد ثقافة التطلع والارضاء الاجتماعى فقط .. كذلك لابد أن يكون ههناك انكماش فى كل ما يعوق تعظيم القدرات والمنافع من التعليم الجامعى فى مصر .. ولابد من التكاتف وبذل مزيد من الجهود لازالة جميع معوقات انطلاق واداء الجامعات ، ولاشك أن قيادات التعليم فى مصر ترحب بما يقترح فى هذا الصدد إعمالا بمبدأ ثقافة المشاركة وسعيا لتطوير قدرات جامعاتنا العريقة والتوسع الكمى والنوعى فيها طبقا لاحتياجات التطور والنمو فى المجتمع المصرى ولعلنا لا ننى أبدا أن هذا التعليم العالى فى مصر هو الذى أمد جيش مصر العظيم بنصف مليون مقاتل من المؤهلات العليا الذين استطاعوا أن يستوعبوا تكنولوجيا العصر فى وقت مذهل وأن يشاركوا ليس فقط فى هزيمة أحدث أسلحة واستراتيجيات حلف الناتو والترسانة الأمريكية فى لحظة من أروع لحظات تاريخنا الحديث . [انتهى نص هذا المقال] .

٥- تحديات الدور المصري ومهمة تفكيك نظام الحرب الجائرة وتحديات عملية التواصل عبر الثقافات :

.. نحو المشروع المصرى العربى لاستشراف وتفعيل المستقبل الدولى

أولا : ماذا عن عملية التواصل عبر الثقافات والتداعيات الإيجابية والسلبية ؟

لقد خرجت إلى حيز الوجود العلمى مئات الدراسات الحديثة فى مجال تحليل عمليات التواصل عبر الثقافات Cross-Cultural Communiation ولم تكن هذه الدراسات من أجل العلم للعلم فقط بل كان هدفها السعى لإدارة الاختلافات الثقافية من أجل تعظيم القوة الاقتصادية أساسًا ... وكان ذلك على الصعيد الأمريكى والأوروبى الذى شهد وجود حاجة ماسة لهذا العلم الحيوى ... الذى وضع معادلة رئيسية فى هذا الصدد تتمثل فى **قوة رأس المال + إدارة الخلفيات الثقافية (دون سوء فهم أو اهدار = تحقيق اقصى نفع اقتصادى** .

ولقد أثبتت دراسات انهيار الشركات والقطاعات الاقتصادية الكبرى فى حالات بعينها أن الخلل فى الشق الثانى من الجزء الأول من المعادلة وهو الخاص بتعظيم اقصى درجة من الإدارة الجيدة للخلفيات الاقتصادية (culture synergy) كفيل باحداث انهيار فى المؤسسات الاقتصادية الكبرى التى توجد بها جموع من ذوى الخلفيات الثقافية المختلفة ... كذلك امتدت الدراسات فى هذا المجال لتشرح كيف أن افتقاد فهم تقنيات ومستويات عمليات التواصل عبر الثقافات تؤثر بشكل مدمر على العلاقات بين الأفراد والدول إذا لم يكن تبين كامل لها ومراعاة سوية فى الممارسة فى عملية إدارتها .... كذلك امتدت أهمية هذا المجال إلى فكر المستقبليات وعملية صناعة القرار الدولى المشترك ... ، ومع كل الاهتمامات العلمية بهذا المجال الحيوى فى سياقات عديدة ... إلا أنه وعلم التفاوض من العلوم التى لا تزال بحاجة كبيرة لنشر تقنياتها والاستزادة النظرية والعلمية والعملية على مستوى دول العالم قاطبة وكان التعامل مع هذه التقنيات ولا يزال من الأمور الصعبة التى تحتاج إلى جهود أكاديمية وتدريبية لتدريب قطاعات كبيرة من الدبلوماسيين والإعلاميين ورجال الأعمال والتجارة والإدارة عليها ... ولكن تتحول هذه السمات إلى صعوبة بالغة بطرح نظريات صدام الحضارات ... ولن يكون التأثير السلبى على الواقع الدولى بين الدول ... ولكن ادعاءات هذا الصدام إذا ما تم تفعيلها فإنها ستؤثر حتماً على التركيبة الداخلية للولايات المتحدة التى كانت قائدة لفكرة بوتقة الانصهار الثقافى (Melting pot) ... وقد تعجل عملية تفعيل «صدام الحضارات بسيناريو تفكيك

(١) راجع : كتاب ديفيد هاريس بالإنجليزية ، مرجع سابق .

وانهيار أمريكا ... ولعل المقال التالى لكاتب السطور يوضح هذه النقطة بقدر من التفصيل والذى جاء بعنوان «إدعاءات هنتينجتون تؤدى إلى تفكيك أمريكا»[1] .

أدعاءات هنتينجتون تؤدى إلى تفكيك أمريكا وفوضى فى العالم !!

وفى كتابه بعنوان صدام الحضارات ، كتب ما يفيد أنه وعلى الرغم من أن الدول والشعوب الأخرى تخشى على نفسها مما يسمى بالأمبريالية الأمريكية ، فإنه يؤمن بأن التعددية الثقافية Multiculturalism هى التى ستدمر الولايات المتحدة الأمريكية ... ويؤكد ذلك بقوله : «أن الثقافة الغربية تواجه تحديا داخل ذات المجتمعات الغربية وهذا التحدى يأتى من المهاجرين من الحضارات الأخرى الذين رفضوا الاندماج والانصهار ولا يزالون يتمسكون بقيم حضاراتهم الأصلية التى جاءوا منها ... وهذه الظاهرة أكثر ما تلاحظ بين مهاجرى المسلمين فى أوروبا خاصة .. وهى موجودة فى الكيان العرقى من الأصل الأسبانى فى الولايات المتحدة كذلك .. ويستغرق فى هذا الطرح إلى حد التحذير بتهكم من أن تتحول الولايات المتحدة بفعل الاعراق التى لم تنصهر فى البوتقة الأمريكية إلى «أمم متحدة» !! أى أن جل ما يخشاه هنتينجتون هو صعود العرقية فى أمريكا ... وأن اللوبى الخاص بكل عرق قد اختطف السياسة الأمريكية الخارجية فى أحداث بعينها ... والحل لأمريكا هو إعادة الاعتبار فى التعامل مع هذا الوضع ... فهذا الكلام يناقض اطروحات هنتينجتون فى كتابه المهم «الموجة الثالثة» الذى كان يدعو فيه إلى التعددية والدمقرطة والروح الدولية وشيوعها وحتمية شيوعها فى العالم .

ثم يعود بعد ذلك بنظرية مناقضة تماما تتمثل فى صراع الحضارات ... ولا يخفق المحلل الموضوعى أنه وفى مقاله عن «عصر حروب المسلمين» يقدم تصنيفا للاعراق والثقافات من حيث موقفها بعد ١١ سبتمبر بأسلوب الأقرب والأبعد «للثقافة الأمريكية» وهو فى كلية طرحه يضع تصنيفا داخليا بين الأعراق فى أمريكا بشكل أو بآخر ...

فإذا ربطنا بين طرح هنتينجتون وبين ممارسات الاضطهاد السلبية ضد العرب والمسلمين من الأمريكيين اليوم لوجدنا لها دلائل خطيرة ليس فقط على أعطاء الجالية ، بل على صميم جوهر الفكرة الأساسية التى أسست عليها أمريكا .

ولعل من المهم أن نتوقف هنا لنعرض صورة بانورامية إلى حد ما لفهم السياق

(١) حسن ، محمد وجيه ، حسن ، الأهرام ٢٠٠٢/٢/٩م .

الذى نتحدث عنه ، وهنا من المهم التوقف أمام مشاهد مهمة على الساحة الثقافية الأمريكية كما فى حالة تطورات حركات انفصالية مثل تلك الساعية إلى اعلان جمهورية تكساس فهى من أكبر ولايات الولايات المتحدة ، بالاضافة إلى النزعة الموجـودة دائما وبقوة متنامية بين البيض والسود وإحصائيات واحداث هذا البعد كثيرة ومتنامية ولها دلالات تفكيكية عالية فى المستقبل إن ظلت التوجهات كما هى عليه ...

فعلى صعيد الدعوة إلى اقامة «جمهورية تكساس» والدعوة لانفصالها عن الولايات مثلا نجد أن عددا من خبراء المستقبليات ينظرون لهذا على كونه من الأمور ذات الدلالات الخطيرة والزائر أو المقيم فى ولاية تكساس قد يلاحظ من خلال بعض المناقشات والكتب وحتى الكروت والصور والتماثيل التى تكون موضع الاستفسار والآخذ والعطاء أنها تشير إلي وجود حركة من أنشط الحركات الأنفصالية فى الولايات المتحدة ... وهذه الحركة اكتشف مؤسسها ريتشارد ماكلارن أن ثمة شوائب دستورية قد حدثت فى سياق ضم جمهورية تكساس إلى الولايات المتحدة أواسط القرن الماضى ، ومن الجدير بالذكر أن تكساس كانت مقاطعة مكسيكية نشط فيها الاستيطان الأمريكى إلى أن أعلنها المستوطنون جمهوية مستقلة عام ١٨٣٦ ، وفى ١٨٤٥ أصدر الكونجرس الأمريكى قراره بضم تكساس إلى الاتحاد . ومما هو جدير بالذكر كذلك أن ولاية تسكسا قد انضمت عام ١٨٦١ إلى المحاولة الانفصالية فى الجنوب الأمريكى والتى أدت إلى الحرب الأهلية ...

ولا تزال هذه الحركة الانفصالية برموزها المتجددة إلى اليوم حاضرة إلى حد بعيد فى المشهد الثقافى الأمريكى وفى إطار صراع الهويات الخفى وينضم إلى ذلك وجود حركات انفصالية أخرى فى ألاسكا وهاواى ، وتطالب الحركة الانفصالية فى هاواى بحث تقرير المصير للسكان الأصليين مشيرة إلى الطابع التعسفى لضم مملكة هاواى إلى الولايات المتحدة وتذويب هويتها الوطنية عبر الاستيطان والتهجير أواخر القرن الماضى ...

وهذه الحركات وغيرها من المليشيات تطالب بالحد من سلطة الحكومة الاتحادية اليوم وبالاضافة إلى ذلك ظهر على الساحة الأمريكية ما يعرف اليوم بظاهرة «انفجار الأديان» أى زيادة انتشار اديان متعددة فهناك اليوم ٥ ملايين مسلم على الأقل [ويقال أن هناك ٥ ملايين بوليس سرى لهم اليوم] و ٦٦ ملايين يهودى ومليون هندوسى ومليون بوذى و ٢٧٥ ألف سيخى و ١٣٣ ألف بهائى .. إلى آخره .. ويلاحظ خبراء الأديان أن الزيادة فى التنوع الدينى لها دلالات كبيرة فى المستقبل

على حساب الوضع التقليدى الذى كانت أمريكا فيه مقصورة على الكاثوليك والبروتستانت واليهود .. فهذا الاحتكار قد انكسار ، وأن التحول الأكثر ترجيحا للزيادة المطردة ارجعه جميع الخبراء نحو الإسلام ... الأمر الذى دفع البعض إلى التفكير فى التركيز على الهوية والقيم اليهودية – المسيحية .. فعمل «المركز الأمريكى للقانون والعدالة» الذى أسسه بات روبرتسون عام ١٩٩٠ على ممارسة «الدفاع عن القيم اليهودية – المسيحية» ورفع الدعاوى من أجل السماح بالاعتراف بنوادى الأنجيل كجزء من نظام التعليم وضغط حاكم ولاية الاباما داعيا إلى إعادة الصلاة إلى المدارس الحكومية وأرجاع حق توزيع الوصايا العشر فى صفوف المدارس والمنشآت الحكومية ، ولكن المحاكم الفيدرالية احبطت المشروع ... ولكن ازدياد التنوع الدينى وتركيبته سيزيد من تغيير تركيبة المجتمع الأمريكى ككل خاصة مع فتح مدارس لجاليات كثيرة تدرس الثقافات والديانات الأصلية ... وعلى المجتمع الأمريكى أن يتكيف ويتواكب بانسانية دون قمع أو سياسات خاطئة تفجر الأوضاع .. إن ما أود طرحه بإيجاز هنا دون أن أتوسع فيه فى دراسة تفصيلية هو أن الدعوة إلى صدام الحضارات ، خاصة بالشكل الفج والمختزل الذى عبر عنه هنتينجتون فى مقاله «عصر حروب المسلمين» الأخير ... كتبرير أو غطاء للحملة على الرسلام والدول الإسلامية وابتزازها وتهديدها بالضرب تحت دعاوى وهمية لتبرير فرض النفوذ والهيمنة لن يكون له تأثيره السلبى للغاية على السياسة الخارجية وشكل ووضع أمريكا فى الخارج فقط بل سيكون له كذلك موجه ارتدادية فى غاية القوة على جوهر الداخل الأمريكى ذاته بأوضاعه وتركيبته المستجدة .. والحل لا يكمن ابدا فى تبنى تنظير هينتينجتون ومن يمثلهم من دوائر معروفة فهو تنظير سالغ فيه خاطىء إلى أبعد الحدود ويعمل ضد فكرة التعددية وادارتها – داخليا وخارجيا – وهى فكرة جوهرية أمريكية أو من المفترض ذلك ... بل أن تبنى هذا التنظير من شأنه الأسهام فى تفكيك أمريكا وفتح باب فى هذا الاتجاه قد يصعب غلقه لأنه ضد السنن الكونية التى أوجدها الله سبحانه وتعالى للعالمين ...

.... وهناك غالبية من الشعب الأمريكى لا تقبل بهذا ... فهناك دوائر الحكومة الأمريكية ويمثلها بوش وكولن باول وغيرهما يعملون جيدا أن الصدام والعودة عن جوهر الفكرة الأمريكية ومحاربة العالم الإسلامى ودولة ليس فى المصلحة الاستراتيجية العليا الأمريكية ... ولكنهم يواجهون دوائر تتخفى وراء المصلحة الأمريكية فهى فى الحقيقة تعمل ضده تماما وستؤدى توجهاتها إلى كوارث على الجميع ، خاصة فى ظل الاستجابة لضغوط هذه الدوائر التى تضم الشعب الفلسطينى اليوم بالإرهاب بكل الظلم وبكل المعايير المزدوجة ... فهل شهد التاريخ الإنسانى ظلما بينا كهذا ...

حينما يتناسى العالم أو بغض النظر عن جوهر الأمر والمتمثل فى ظلم الاحتلال واختلاس الحقوق الذى هو أعلى مراتب الإرهاب ... إن مهمة القمة العربية المقبلة فى بيروت صعبة ... ولكن لابد من أن تعبر عن موقف عربى متماسك - غير متوسل إلا الله عز وجل - والتعامل مع الأوضاع من موقع دبلوماسية الحقوق اتلتى لا يمكن التنازل عنها أو الخضوع للابتزاز والتهديد بأشكاله ... فسيناريوهات الانهيار والتفكيك أو البقاء تخص العرب كما تخص أمريكا بالسلب أو بالإيجاب ، وعلى مؤتمر القمة أن يجد صيغاً وأساليب مبتكرة وتحركات بعينها من شأنها إظهار هذه العلاقة التبادلية المبنية على المصالح الشطط والخلل والإرهاب الإسرائيلى ومنظرى الصدام الخاطئ والانتقاض من الحقوق المشروعة .

وبالرغم من شيوع نظريات «الصدام الحضارى» ومحاولات تفعيلها بشكل يغلب عليه الاختزال والتسيس الخاطئ ، إلا أن العالم فى أغلبه - بما فى ذلك - قطاعات كبرى فى المجتمع الأمريكى - يدرك أن العالم بحاجة ماسة إلى الإدارة الفعالية للاختلافات الثقافية من أجل اقتصاد أفضل وعلاقات أفضل على الأصعدة المتعددة .

وإذا كان هناك استهداف جائر وتشويه مفتعل للإسلام والمسلمين ومحاولة إلحاق صفة الإرهاب بهم فى خضم تفاعلات ما يسمى بالحرب الجديدة ضد الإرهاب» .. والحاجة إلى بزوغ دولة محورية إسلامية لقيادة التفاعلات المتعلقة بهذا البعد لتبديد المخاوف والتعامل الإيجابى مع مخاطر التطرف والإرهاب ، فإن الدور المصرى هو المرشح بقوة ... لما تتميز به مصر من دور عبر ثقافى على مدى تاريخها الطويل وما تمتلكه من مؤسسات وقنوات لها طابعها الفريد فى عالم اليوم وتحظى بقبول وتقدير عالمى فى هذا الصدد وهو الأمر الذى تناولته فى سياقات جديدة سابقة ومنها مؤخراً فى دراسة تفصيلية[1] ويؤكده الكثيرون داخلياً وخارجياً ... ولعل مقال د. أسامة الغزالى بعنوان «المسئولية الإسلامية لمصر»[1] (بالأهرام ٢٠٠٢/١٢/٩) والمشار إليه آنفاً فى بداية هذا الجزء من هذه الدراسة ليعمق الاهتمام المطلوب بالدور المصرى فى هذه الجزيئية .

ولعلى أضيف أن الأمر يتسع لكى تنهض مصر بمشروع علمى كبير لمواجهة تحديات عمليات التواصل عبر الثقافات يكون لها مركزه فى مصر وآليات وصوله

(١) حسن ، محمد وجيه حسن ، حروب الهوية ومستقبل التفاوض :
(أ) مع الغرض ، مرجع سابق .
(ب) راجع لكاتب السطور مقالاً عن المهمة المصرية فى تحدى التواصل عبر الثقافات وجاء بعنوان «رؤية مصرية لاستشراق وتفعيل المستقبل الدولى» الأهرام ١٩٩٩/٩/١٢ .

للساحة الدولية من أجل ممارسة تأثيره الإيجابى المطلوب .. ولعل من أهمل الضرورات الملحة هو السعى لتفكيك نظام الحرب الجائرة وطبيعة التحركات التفاوضية متعددة المستويات المطلوبة .. ولعل هنا أعيد نشر هذا المقال الذى تناولت فيه وبقدر من التفصيل طبيعة ما هو مطلوب على المستويين الآنى العاجل والممتد فى هذا الصدد فيما يلى :

نحو تحرك عربى إسلامى لتفكيك «نظام الحرب الجائرة» !

هناك سباق محموم فى ظل إيقاع متسارع للأحداث بين من يسعى لتغليب الدبلوماسية والشرعية الدولية كاداة أساسية من أجل السعى لاقرار السلام العادل القابل للاستمرار لصالح الجميع وبين من يرى فى تفعيل «نظام الحرب» أسلوبا لغرض هيمنة القوة ودبلوماسية البوارج واستخدامها كأداة وقناة يكون لها اليد العليا لتوسيغ التحرك المنفرد – «والاستباقى» حتى وإن لم يتوافر أى دليل تبريرى مقنع لاستخدام تلك القوة كبديل عن الدبلوماسية والشرعية والدولية فى أى لحظة فى خضم تتابع الأحداث .

وبين هذيه الإتجاهين ينتظر العالم النتيجة مروة أخرى ، وكذلك التداعيات التى قد تكون مروعة .. ولذلك لا مفر عن الإيجابية والسعى الدءأوب لتعبئة .. كل الجهود المخلصة والموضوعية المتناثرة على المستوى الدولى فى إتجاه الشرعية والدبلوماسية ، من هنا تكون المهمة العاجلة أن يتم طرح وتفعيل أجندة تهدف أول ما تهدف إلى تفكيك واحتواء «نظام الحرب» والمقصود بهذا ليس مجرد الاستخدام المعهود للغة المناشدة والدعوة لتحكيم والعقل فقط ، بل الأمر بحاجة إلى أساليب ابتكارية لزرع الصورة الذهنية المخيفة التى ستتولد من جراء هيمنة «وابتذال» نظام الحرب الذى لن يكون مصلحة أحد .. مع السعى لطرح وتفعيل مجموعة من الإجراءات العملية وبلغة مقبولة للجميع ومراعية للاجندات المتنازعة تحقق مباراة يكسب منها الجميع أو على الأقل لاتصال بالعالم إلى حالة مروعة لاشك أن عقلة المبارة الصفرية الاحادية ستقود إليها ، من هنا نرصد مايلى كمنطلقات لاجندة التفاوض الدولى الفعال :

أولاً : فى تفكيك «نظام الحرب» وترسيخ صور نتائجه السلبية المستقبلية التى تعمل ضد الصالح العام للجميع .

وهذا البعد يستلزم اقامة رءوس كبارى مع أصحاب العقول المنصفة ذات الاقتناع المشترك بأهمية تفكيك «نظام الحرب» ... خاصة أن تفكيك هذا النظام

كأســس فاشى ونازى كان من جراء درس الحرب العالمية الثانية التى دفع العالم كلهه ثمنا باهظا لها .. ولكن يبدو أنه درس قد أصبح منسيا ولابد من إعادة ترسيخ دروســه وعبره .. وهنا نرصد عناصر استناد مهمة من واقع الفكر الغربى ذاته وتتمثل فيما طرحه المفكرى الأمريكى سام كينى فى كتابه المهم بعنوان «وجوه العدو» FACES OF THE ENEMY حيث يقول فيه :

إن العدو الحقيقى أمام بشرية هذا القرن الذى يتطلب كفاح الجميع ضده يتمثل فى «نظام الحرب» .. حيث أن العائق الاساسى الذى يبعدنا عن التخلى عن «نظام الحرب» كنظام مهيمن .. يتمثل فى البعد النفسى والتركيبة الذهنية التى تقتنع وتقنع الأخرين بها من أن الحرب حتمية وأن العالم بلا حروب هو عالم غير واقعى وخيالى !! من هنا يطالب سام كينى بأن الضرورة والأولوية الملحة هو ابراز رؤى مبتكرة للتعامل مع عقلية حتمية نظام الحرب من خلال أساليب وسائط ومؤسسات متعددة .. لا تتعامل فقط مع الحاضر بل تعالج جذور مارسبه الماضى المرير وما خلفته ممارسات الهيمنة والاستعلاء ومحاولة الوصول لفهم موضوعى يعالج جذور الصراعات من أجل تخفيفها وعدم الوصول بها لحالات التفجر ..

وإذا كان ما قاله سام كينى يمثل نقطة استناد لما يقتنع به العقلاء فى عالم اليوم .. فلقد وقعت عينى وأنا أقلب فى أوراق قديمة على مقال متميز للراحل لطفى الخولى – رحمه الله – كان قد نشر بالإنجليزية فى الأهرام ويكلى .

منذ سبع سنوات بتاريخ ١–٧ يونيو عام ١٩٩٥ .. بعنوان «فى غزل نسيج الصراع» ويتحدث فيه عن تداعيات غطرسة القوة وكأنه يشاركنا أحداث اليوم حيث يقول :

«إن هناك دوائر دأبت – ومنذ عدة سنوات – على تصوير الغرب وكأنه مواجه من قبل مجموعات من الأعداء الكامنين .. وتسعى هذهه الدوائر لتشكيل وصياغة مستقبل العالم بقا لرؤى ومناظير غربية فقط تراعى مصالح الغرب بينما تتجاهل مصالح الآخرين الذين يطلبون منهم الاستسلام غير المشروط للهيمنة الغربية إن هذه الدوائر المتشددة تؤمن بأن الغرب هو الحارس الطبيعى والتاريخى لهذا العالم ، وطبقا لمنطق هذه الدوائر ، فإن من يختار أن يكون خارج المظلة الغربية خاصة المظلة الأمريكية فلابد أن يعتبر واحدا من «الأعداء» وكذلك فهو أحد أعداء النظام الدولى الجديد » !!

ويضيف الراحل لطفى الخولى فى نفس مقاله المتميز الذى كتبه منذ سبع سنوات قائلاً

«يبدو لى أن الكولونيالية الاستعمارية الجديدة التى نراها اليوم ، هى كولونيالية تتأصل جذورها فى الاقتناع بأن الغرب قد أحرز نصرا حاسما ، إلا أنها كولونيالية تترك الباب مفتوحا على مصراعيه لظهور وتجسيد قوتين متضادتين ، ولهما نفس القدرة التدميرية الكبيرة والقوة الأولى تتمثل بطبيعة الحال فى القدرة التدميرية التى يمتلكها الغرب المتقدم تكنولوچيا .

ولكن هناك كذلك القوة التدميرية التى تملكها القوة المهمشة المناوءة للغرب والأقد تقدما من الناحية التكنولوچية الا إن لها قدرات تدميرية هائلة هى الأخرى .. ولا ينبغى لأحد أن يفترض أن مثل هذه القوى غير الغربية هى قوى عاجزة عن تسجيل عدم رضاها واعتراضها لمجرد انها قوى أو دول غير متقدمة أو متخلفة .. العكس هو الصحيح .. لأن الوصول لمرحلة اليأس من الموقف سيدفع مثل هذه القوى إلى أن تجد نفسها فى موقف من يكون لديه القليل ليخسره فى نهاية المطاف .. ويمكن فى هذه الحالة أن تقوم هذه القوى بإفساد الكعكة كلها .. إن مثل هذه القوى التى لايرى الغرب إلا تهميشهعا بفرض هيمنته لديها ما يمكنها من الحاق أكبر الأذى فى معركتها ضده إذا ما أجبرت على ذلك ..

انتهى كلام الراحل لطفى الخولى الذى ذكره منذ أكثر من سبع سنوات مضت ليؤكد فيه منطق التداعيات السلبية والمروعة التى سوف يفرزها «نظام الحرب الجائرة» التى تتخفى وراء مصطلحات ومفاهيم براقة خالية من أى مضمون حقيقى عندما يكون ضحيتها آلاف الأبرياء ومصادرة مستقبل الملايين ظلما وعدوانا وبلا أى حق مشروع .

ثانياً : عبثية «مبـــاراة الجبان» المتمخضة عن هيمنة «نظام الحرب الجائرة» وعدم جدواها :

من المباريات الشائعة فى نماذج نظرية المباريات Game theory فى إدارة الصراعات التى تستخدم من قبل دوائر «نظام الحرب» بدلا من مباريات الدبلوماسية والشرعية التى تسعى لمراعاة مصالح الأطراف كلها .. ما يسمى بـ «مباراة الجبان» (Chicken Game) وهى مباراة بدائية أحادية التوجه ، وهى مأخوذة من مباراة أو لعبة حقيقية يمارسها المراهقون حيث يتسابقون بسيارتين تتجهان نحو بعضهما البعض على طريق واحد وبالسرعة القصوى ، والفائز فى هذه اللعبة هو ذاك المراهق الذى يبقى مسيطرا على أعصابه حتى اللاحظات الأخيرة دون جبن أو خوف .. وعندما يدرك تصميم الآخر على المواجهة ينعطف بسيارته جانبا قبل الاصطدام به بلحظات مخليا له الطريق بأكمله .. وفى هذه اللعبة يفرض اللاعب «المجنون» الذى يركب رأسه إلى آخر لحظة على الطرف الآخر ، إما الخوف والابتعاد عن طريقه ، أو

أن يزرع لديه إصرارا أكبر على عدم الخوف «وركوب» رأسه هو الآخر إلى الحد الى لا يبالى معه وإلى الحد الذى قد يحدث فيه الاصطدام المروع بين اللاعبين .

لقد أثبتت ممارسات «مباراة الجبان» التى مارسها ولا يزال اللاعب الإسرائيلى متمثلا فى شارون التى تجسدت فى استخدام الطائرات المصممة لضرب الدشم والمواقع الحربية الحصينة فى ضرب بيوت الفلسطينيين ، وفى استخدام قذائف اليورانيوم المستنفذ ، وكذلك استخدام الزوارق والبوارج وحرق المزروعات وتدمير البنية الاقتصادية ، لكى «يجبن» و«يخاف» الشعب الفلسطينى ويرضخ للاحتلال ولقواعد «مباراة الجبان» هذه !!

فماذا حدث من جراء هذا الرهان الإسرائيلى الخاسر ؟! جاءت سلسلة عمليات فدائية فلسطينية لم ولن تنتهى .. وتكبدت إسرائيل خسائر فادحة .. فإن كانت إسرائيل تدعى النجاح فى ضرب التسوية السلمية وإلحاق الخسائر البشعة بالفلسطينيين ، إلا أنها لم تحقق أى نجاح فى تحقيق أمنها ... بل خسرت هى الأخرى وستخسر المزيد ، وها هى تستنجد بطلب عشرة بلايين دولار تعويضا من أمريكا عن خسائرها الاقتصادية الباهظة ، ولن تنتهى دوامة العنف البشع إلا بانتهاء الاحتلال .. ولم ولن ينجح فكر «مباراة الجبان» إلا فى زرع روح التحدى والمقاومة ، وإلى حدوث نقلة ونقلات نوعية فى مقاومة الاحتلال ، وها هى حادثة تدمير الزورق الإسرائيلى عند شواطئ غزة لتشهد بذلك .. وسلسلة الأعمال الفدائية الأخيرة فى أعماق إسرائيل التى خسرت أكثر مما خسرت فى حروب كبيرة .

إذا كان الإفلاس وعدم الأمن والخسائر الاقتصادية الفادحة للجميع فى حالة أسلوب إدارة الصراع الفلسطينى – الإسرائيلى بأسلوب «مباراة الجبان» و«نظام الحرب الجائرة» عن أى دبلوماسية تفاوضية عادلة تراعى مصالح الأطراف الحقيقية ، فإن حال وأسلوب دوائر تعظيم دور «نظام الحرب» كبديل للحوار والدبلوماسية والمكافحة الفعالة لذجور الإرهاب الحقيقى من قبل أنصار هيمنة الفكر الإمبراطورى وتجيش الجيوش .. لن تكون هى الأخرى أحسن حالا .. فمصيرها الإفلاس والخسارة للجميع .. لن تكون هى الأخرى أحسن حالا .. فمصيرها الإفلاس والخسارة لجميع .. فتعظيم وهيمنة «نظام الحرب» ونظريات تصنيع وافتعال العدو لاشك أنته سيعود بالخسائر الاقتصادية الفادحة على أمريكا فى نهاية المطاق .. ولن يكون لتوظيفه بأسبوبى دوائر «الحرب فقط» أى عائد حقيقى وملموس فى محاربة الإرهاب الحقيقى .. فلم يحدث فى التاريخ أن واجه جيش جرار الإرهاب كما يحدث فى حالة مواجهة جيش بجيش .. بل مقاومة الإرهاب تحتاج إلى استراتيجيات مختلفة تماما .. اللهم إلا إذا كانت الجيوش تتحرك لإخافة الجميع وطلب انصياعهم بلا

قيد أو شرط ولأهداف أخرى غير موضوع الإرهاب إياه .. وهذا لا يمكن أن يمنع الإرهاب ، بل سيولد حلقات جهنمية ومناخا مناسبا له .. ولن يخيف الدول والشعوب خاصة شعوب هذه المنطقة ذات الخصوصية الشديدة إذا ما كان الهدف هو إخضاعها ومصادرة مستقبلها .

ثالثاً : الإستراتيجيات التفاوضية المطلوب تبنيها لتفكيك نظام الحرب الجائرة :

١ – السعى لتغيير قواعد اللعبة الأساسية قدر الاستطاعة وهنا وفى حالة عدم توازن القوى السائد وجب فتح القنوات مع الطرف الآخر لتمرير وترسيخ حجم الخسارة الناتج له اساسا وللجميع كذلك من جراء مباريات «نظام الحرب» كأسلوب لإدارة العلاقات الدولية ، وهو ما حاولنا توضيحه فى أولاً وثانياً .. وهنا ينبغى أن نقوم بمبادرات عديدة تخدم تفعيل هذه الإستراتيجية بعيدا عن ردود الأفعال التقليدية وغير البناءة .. وهنا لابد أن نتناول المحاور التالية :

أ – احباط سيناريوهات تحميل الصراع العربى – الإسرائيلى على سيناريوهات «الحرب الأمريكية على الإرهاب» التى تسعى إليها دوائر معروفة .

ب– الإدارة العكسية للحملات ضد العرب والمسلمين بفتح قنوات للحوار والتفاوض الإعلامى والاكاديمى الفعال لافشال الاعلامى والاكاديمى الفعال لافشال حملات المعلومات المغلوطة لتصوير الرسلام كمصدر للعداء وعدم الاستقرار فى العالم وهو ما قدمنا مناظرات عديدة بخصوصه ولا يمكن أن نتنهى مثل هذه المناظرات مادامت مستمرة مثل هذه الحملات ، التى تحتاج إلى قناة مفتوحة تديرها هيئات إسلامية كبرى ينبغى أن يكون لها صوتها المسموع من أجل التعامل مع مثل هذه الحملات بفاعلية واحتوائية ونقلة نوعية فى الأداء تحتاج إلى مزيد من التفاصيل فى سياق آخر .. مع النظر والاعتبار إلى أن هذه الحملات على كونها وقودا وأداة لتفعيل نظام الحرب الجائرة التى تسعى دوائر الهيمنة والصدام لتفعيله وجعله أمرا واقعا ضد العالم العربى والإسلامى إن علينا أن نتخذ من هذه الحملات الملغومة والمضللة مصدرا وسياقا مهما ليس للرد على ما تضمنه من افتراءات أو مغالطات ، بل جعلها وعاء مضادا لكى ننشر من خلال الرد عليها معطيات النموذج الاسلامى العقلانى والرشيد والمحتوى والمعبر عن المقاصد السامية للإسلام فى الماضى والحاضر والمستقبل كنموذج للتعايش وافشاء السلام والنماء للبشرية جمعاء .. خاصة فى سياق تعطش الكثير من الدوائر الغربية والامريكية لسماع وجهة النظر الأخرى .. خاصة من الجهات الإسلامية الكبرى خاصة الكلمة المسموعة .

٢- تبنى استراتيجية التجنب والتلافى الإيجابى وعدم السقوط فى فخاخ الآخرين .

وهذه استراتيجية محورية ينبغى تبنيها على عدة أصعدة منها ما يخص أمر الصراع العربى - الإسرائيلى ومنها ما يخص أمر ما تسمى «بالحرب الجديدة ضد الإرهاب» .. ومن ملامح الأداء الذى ينبغى وأن يكون من جانبنا لهذه الاستراتيجية تجنب مسلسل الإسهام السلبى من خلال التفاعلات غير المدروسة والتحركات الخاطئة من جانبنا كمن يقدم الذرائع على طبق من فضه أو ذهب للآخرين لتنفيذ مخططاتهم العدوانية .

وهناك الكثير من أمثلة الأداء الخاطئ الذى كلفنا ولا يزال ثمنا باهظا والأمر بحاجة إلى سياق تفصيلى آخر .

٣- تبنى استراتيجية التكامل لتفعيل أقصى الطاقات عربيا وإسلاميا ودوليا .

لاشك أن حالة الجمود والانتظار والتوقع القائمة فى العالم العربى والإسلامى التى تتجسد فى تفاعلات إما تندرج تحت مفهوم «الإندهاش» والمندهشين تارة أو المحتقنين المنفعلين الذين يتحدثون إلى أنفسهم أو يوجهون السباب .واللغنات بدلا من مخاطبة الاخر والتأثير الإيجابى فيه تارة أخرى أو حال الأغلبية من المتفرجين .. هذه الحالات ستزيد الأمور سوءا وتعقيدا وستحلق بنا أكبر الضرر ، المطلوب هو إدارة سريعة فعالة للاختلافات العربية - العربية والعربية الإسلامية لتفعيل أقصى طاقة لتعظيم القوة المتاحة التى تجعل من صوت العقلانية والرشد صوتا مدعوما بسياسات مؤثرة وقابلة للتعديل بما يمكننا من إدارة الصراع الممتد الذى يريد تأجيجه منظرو صدام الحضارات ومنفذو مثل هذه النظريات التى بدأت تأخذ مع الأسف طريقها للتفعيل .. إن مثل هذا التحرك العربى الإسلامى وإن جاء متأخرا للغاية فهو ضرورة الضرورات الملحة الآن وليس غدا .. فهل تنقد لدينا حاصة الأبصار لما هو آت وحاسة السمع لما تقال .. أم يظل الوضع طبقا لاستراتيجية من لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم ومن ثم لا يتحرك مفضلا انتظار مشاهدة فضائياتنا وفضائيات عصر العولمة الإعلامية وهى تنقل مشاد لمباراة احادية الجانب تحدد مصائرنا فنشاهدها كما نشاهد حلقات «غباشى» أو «حسين على الهواء» أو حتى مسلسل «فارس بلا جواد» فى أحسن الأحوال أو اتعسها !! هذا والله أعلم والله ولى التوفيق وحده المستعان .

٦- تحديات الدور المصرى والتفعيل الاقصى لفكر المستقبليات وتحدى التواصل عبر الثقافات من خلال القنوات الاكاديمية والإعلامية المتاحة والسعى لتدشين القنوات الاكثر تاثيراً وذات الوصول إلى الساحة الدولية

لاشك أن من معطيات إحداث التأثير الإيجابى للتحرك المصرى على الصعيد الدولى ... إن يتم أحداث نوع من ضخ الدماء لهذا الدور داخلياً أولاً كما أوضحت فيما ذكرته عن تدشين برنامج تشغيل علمى حديث The New Scientific Cul-teral Software وما يتعلق بذلك من خطوات حيوية أساسية تحدثنا عنها ومن هذا المنلق يتم تعظيم الطاقات المتاحة ومن ذلك القنوات الأكاديمية والأعلامية الموجودة والمتاحة فعلاً ، بالاضافة رلى تدشين الجديد كما فى حالة المشروع الألفى المصرى لتحديات التواصل عبر الثقافات الذى تحدثنا عنه وانشاء ما يمكننا من أوعية مستجدة على سبيل المثال السعى لانشاء المجلس المصرى لجامعة الأمم المتحدة على غرار المجلس الأمريكى للجامعة الذى تم تدشين أكبر مشروعات استشراق المستقبل من خلاله ... ويمكن لمثل المشروع المصرى هذا أن يكمل دور هذه الجامعة التى يمكن من خلالها إعادة الكثير من التوازن لدور الأمم المتحدة وأن يملئ فراغاً موجوداً ومطلوباً لدولة كمصرات تملؤه خاصة فى هذه الظروف الصعبة والمضطربة التى يمر بها العالم ... ولعل الأمر يطرح على المسؤولية بوزارة التعليم العالى وبوزارة الخارجية لتفعيل دور مثل هذا المجلس بالتفاوض مع جامعة الأمم المتحدة فى مركزها الرئيسى باليابان .

تفعيل الطاقة القصوى للقنوات الاكاديمية والإعلامية المتاحة لنا اليوم

مع السعى لانشاء الأوعية الجديدة ذات الطابع الخاص والمتصلة بالساحة الدولية بشكل مباشر ، لابد من اعادة النظر فى إمكانات القنوات الأكاديمية والإعلامية المتاحة فى مصر لتفعيل محاور الدور المصرى التى أشرنا إلى أهمها فى هذه الدراسة ولعلى أقول أنه وبالرغم من قلة امكانيات المادية المتاحة إلا أننى وافق من أن هذه الإمكانيات إذا ما تم توظيفها الأقصى بمكيانزمات تعبر فجوة الإدارة الراهنة لحققت وبروح كروح رمضان أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة انجازات كبيرة ... فلقد حققنا الكثير فى رمضان أكتوبر ١٩٧٣ بامكانيات معروفة كانت لا ترقى لامكانيات المطلوبة فعلاً ... وتحقق الإنجاز الكبير بفضل من الله وعونه ... ولعلى أعود إلى موضوع فجوة الإدارة فى بحث آخر ... ولكن أود الإشارة هنا إلى تلك الأفكار المهمة التى طرحها أ. د. أحمد شوقى فى دراسته عن «صورة المستقبل : كيف نرسم ملامحها ..» عندما

أشار إلى فكرة إنشاء مجلس أعلى المستقبليات[1] يدير توجيه الفكر الإستراتيجى لخريطة المستقبليات ومراكزها وبرامجها فى مصر كخطوة ضرورية وأولية نحو التفعيل الأقصى للطاقة البحثية بمصر فى هذا المجال الحيوى للدور المصرى وللأمن القومى المصرى ...

ولعل من المهم أن أؤكد هنا على ربط هذا النشاط الأكاديمى المرتبط بتفعيل أمكانات الدور المصرى بمؤسسات لها ثقلها وسمعتها الدولية المتميزة كمؤسسة الأزهر الشريف ومكتبة الإسكندرية ... وكذلك بقنوات الاعلام المتاحة وهى كثيرة وينقصها التوظيف الأمثل ولسنا بحاجة إلى إنشاء الجديد كما تحاول بجامعة الدول العربية وتشتكى من نقص الإمكانات ! ولعل انبه إلى مشكلة تفاعلية فيما يتعلق بواقعنا الإعلامى فأرصد هنا مقالاً كنت كتبته عن هذا الموضوع وجاء بعنوان «العرب أكبر قوة إعلامية !!»[2] وذلك فيما يلى :

★ العرب أكبر قوة إعلامية فى العالم !

لابد أن نعى أننا نملك قوة إعلامية ضخمة للغاية ولكنها مثل أمور كثيرة لا تستغل الاستغلال الواجب ، فالولايات المتحدة مثلا تمتلك ١٨٠ مكتبا إعلاميا فى سفاراتها عبر العالم ، أما العرب فيمتلكون ما يقرب من الـ ٥٠٠٠ مكتب إعلامى فى سفارات الدول العربية بالخارج ، وهذه قوة كبرى مدفوعة الأجر لا تنتظر ميزانيات جديدة ولدينا عدد لا بأس به من الفضائيات الآن ، ولا يبقى إلا إدارة الصراع الإعلامى بكفاءة وبكوادر مدربلة لابد من حشدها فى هذه الأماكن وابتكار السبل العديدة لكسب معرفة الإعلام ... وإذا كان لنا أن نفعل شيئا مثمرا فى إطار إستراتيجية متكاملة ، فإن علينا توظيف الأصوات الغربية العادلة والموضوعية والتى لها وزنها فى الواقع الغربى فى أطر إستراتيجيتنا ، ولعل من المهم أن نقدم هنا رصدا لجانب على قدر كبير من الأهمية فى هذا الصدد وهو المتمثل فى صوت المفكر المعروف وعالم اللغويات الشهير توم تشومسكى الذى قدم محاضرة طويلة ومهمة أخيراً فى معهد ماستشوستس للتكنولوچيا (ش ة حـ) عن أزمة الشرق الأوسط الراهنة . ولعلنا نلخص أهم ما ينبغى أن نتوقف أمامه فيما أورده تشومسكى فيمايلى :

١- إن أزمة الشرق الأوسط الراهنة قد تتطور إلى حرب إقليمية بسرعة كبيرة ، إن لم

(١) شوقى ، أحمد «صورة المستقبل ، كيف نرسم ملامحها» ؟ المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

(٢) حسن ، محمد وجيه ، «العرب أقوى قوة إعلامية» ، جريدة الوطن السعودية ، ٢٠٠١/٧/١٩م .

يتم وقف ميكانزمات التدهور القائمة ، خاصة أن دول المنطقة المعنية لديها ترسانات ضخمة من الأسلحة فوق التقليدية .

٢- إن الحصار الاقتصادى المفروض على الفلسطينيين لم يسبق له مثيل ، وإنه رهان إسرائيل لكسر إرادة الشعب الفلسطينى ، وإن هذا الحصار مع ضرب المدنيين يتم تسويفه تحت مظلة رد إسرائيل على العنف الفلسطينى .

٣- إن ما تفعله إسرائيل حاليا فى الأراضى المحتلة مماثل تماما لما فعله الصرب فى البوسنة والهرسك من مجازر جماعية استدعت التدخل الدولى والأمريكى أساسا وعدم التدخل يمثل جريمة فى حق الإنسانية كلها .

٤- إن على أمريكا أن تعى أن سياسة الاحتواء المزدوج التى مارستها ضد إيران والعراق لم تعد فعالة ، وأن من أهم ما كان يمكن وأن يؤدى إلى نجاحها وجود هذه السياسة فى ظل عملية سلام ناجحة تسير على نحو إيجابى بين الإسرائيليين والفلسطينيين ... وبانتهاء هذه العملية فإن الموقف الأمريكى فى الشرق الأوسط يتعرض للفشل والمصالح للخطر .

٥- إن التعسف الإسرائيلى فى فهم الاتفاقيات ، خاصة أوسلو يعنى شيئا واحدا وهو إذلال الفلسطينيين إلى أبعد حد ، والاعتراف بالسلطة الفلسطينية فقط دون الاعتراف بحقوق الفلسطينيين ، وكأن الهدف كان ولا يزال مجرد إيجاد شرطة محلية تساعد قوات الاحتلال الإسرائيلى أو حفظ الأمن فى مناطق السلطة ليس أكثر ولا أقل .. أى إن الأمر لم يخرج وكما وصفه تشومسكى عن كونه نمطا معروفا من أنماط وسلوكيات القوى الاستعمارية التقليدية !

٦- يعتبر تشومسكى أن الموقف الأمريكى يتسم بالتواطؤ وبالنفاق وبالتصديق على اعتداءات إسرائيل أساسا وهو الأمر الذى نتج عنه مقتل عشرات الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين والعرب إلى اليوم درس حرب أكتوبر !

٧- وعكس معظم ما يكتب ويقال ويعرض على شاشات تلفزيونات غربية وعربية مع الأسف ، حيث يكون الكلام عن أى حرب مقصورا - مع الأسف - على مهزلة عام ١٩٦٧م ، يقول تشومسكى فى محاضرته : «إن المأساة الكبيرة هى عدم التعلم من دروس الماضى حيث لابد أن نتذكر أنه فيما بعد ١٩٦٧م انتشرت الدعاية القائلة : إن العربى لا يعرف أو يعى أين كعب البندقية من فوهتها إلى أن فوجئ العالم كله بحرب أكتوبر ١٩٧٣م وهى تلك الحرب التى ألقت الرعب فى قلب كل واحد فى العالم حيث كادت المواجهة تتحول إلى نووية ووقعت إسرائيل فى اضطراب كبير وظهرت مصر كقوة رادعة على وجه

الخصوص وتحرك كيسنجر من خلال ما عرف بدبلوماسية المكوك لينقذ ما يمكن إنقاذه إلى أن تتابعت الأحداث حتى وصلت إلى توقيع معاهدة كامب ديفيد .

٨- يصل تشومسكى إلى قناعة مؤكدة إلى أن الأمور تنحو نحو خطر أكبر قد لا يمكن السيطرة عليه ويشعر بأن هناك مسؤولية جسيمة تقع على الجامعات والمثقفين والإعلام والصحافة والآخرين لتعريف العالم بما يحدث حقيقة وهناك مسؤولية كبرى وأخطر على هؤلاء الذين يحاولون منع العالم من الفهم الحقيقى للأحداث .

الخلاصة : إن هناك مثالا غربياً مشهورا وهو «إنك لا تستطيع خداع العالم كل الوقت» وهذا ما ينطبق على آلة الدعاية الإسرائيلية التى تمثل الغطاء لآلة الحرب القاصرة ، والذى يطالع الصحف الإسرائيلية ومواقع الإنترنت التى تنشر عليها آلة الدعاية الصهيونية أكاذيبها لا يخفق فى أن يكتشف هذه الأكاذيب فعلى سبيل المثال لا الحصر راجع مقالا كتبه أنرديا ليفين فى صحيفة الجيروزليم بوست ٢٠٠١/٤/٦م بعنوان : «عين على الإعلام : هيئة الإذاعة البريطانية تشن الحرب حيث ينتقد الـ التى يسمعها أكثر من مئة وخمسين مليون مستمع حسب قوله لأنها تحدثت أخيرا على إسرائيل بالأوصاف الصادقة دون كذب وسمحت لقطاعات متعددة من الشعب الفلسطينى بالتعبير عن حنقهم وغضبهم من المجازر التى ارتكبتها إسرائيل فى حقهم وحق ذويهم ...

والملاحظ أن دفاعه وإدانته قد كشفت أكثر عن حقيقة ما حدث على الرغم من عبث الكاتب فى باقى ما ذهب إليه ولن يصدقه أى عقل ناقد وواع ، والأكثر والأهم هو ما يرد عن أمثال تشومسكى كما أوضحنا وما يصل إلى إسرائيل اليوم من انتقادات عنيفة من أوروبا ومن أمريكا ذاتها ، ولكن ما لا يكفى نهائيا أن نترك الأمور تحدث دون تدخل فعال منا وبإستراتيجية مدروسة وفعالة نوظف فيها أصوات العدل والحق التى لن تخفت ونعمقها ونصل بها ومعها إلى مزيد من فضح وكشف آلة الدعاية والحرب الإسرائيلية ومواجهتها باستمرار على الأصعدة المختلفة بقوة وحكمة وإيمان عميق بقدرتنا على تحقيق النصر وهزيمة هذا الكيان الدخيل واسترداد مقدساتنا مهما طال الزمن والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

خاتمة

مصر والعرب والعالم وسيناريوهات أربع

ليس الهدف من هذه الدراسة تقديم ٤ سيناريوهات تفصيلية بالطريقة المتعارف عليها فى صياغة السيناريوهات ، إنما ما قصدناه اساساً هو تحديد منطلقات للتحرك وترسيخ لعناصر ما نراه على كونه برنامج تشغيل علمى ثقافى جديد يستنهض اقصى الطاقات اللازمة لإدارة مباريات تنموية فى الداخل ومجابهة أحداث دولية غير مسبوقة وفى غاية التعقيد والتركيب ، وكما يستلزم التعامل معها الحرص والدقة والعقلانية بعد أن نسأل الله العالى القدير أن يوفقنا ويحفظ مصرنا وأمتنا العربية الإسلامية مما تتعرض له مخاطر وهجمات شرسة ، يستلزم الأمر استحضار ذلك المناخ العلمى المطلوب إعلامياً وتعليمياً ومؤسساتياً لتعميق النهج المستقبلى من منظور لغويات التفاوض وهو النهج المفتقد فى إدارة الكثير فى تفاعلات الداخل ويتسبب عدم تفعيله بالشكل المطلوب – الإطاحة بفرص كثيرة لاستباق الأزمات ومنعها بدلاً من إدارتها فى مراحلها المتأخرة بعد أن تكون الأمور قد استفحلت وأصبحت «قطع الشطرنج» خارج لوحة مباريات التفاعل فى إطار هذه الأزمة أو تلك ... ولقد أوضحنا بالعديد من الأمثلة التحديات التى يواجهها الدور المصرى والمحاور الأساسية لمثل هذه التحديات ، كما أوضحنا بالأمثلة ما المقصود بالبرنامج العلمى الثقافى الجديد المنشود ... وسلطنا الضوء على حجم التطرف القادم من الخارج ومنطلقات السعى لاحتوائه وابطال أثاره السلبية على العالم كله والمتمثل فى فكر الصدام الحضارى المفتعل وفكر النبوءات الغربية التى رصدنا طبيعتها بشىء من التفاصيل بعد أن خرجت مثل هذه النبوءات من مجرد حيز الأدبيات والكتابات إلى إطار التفعيل السياسى السلبى والعدوانى ومصاحبة ذلك لتلك الحرب الجائرة التى تتخفى اليوم وراء مصطلح «محاربة الإرهاب» التى لابد وأن نتحرك من أجل «تفكيك نظامها» فيما يتعلق بمقدراتنا ، خاصة فى ظل أوضاع دولية غير مواتية وصعود المحافظين الجدد وسعيهم الامبراطورى على مستوى العالم أجمع ..

مما سبق نود أن نطرح هنا ٤ سيناريوهات استعارية شهيرة فى مجال المستقبليات من ذلك النوع الاستعارى الحاضن [NESTING METAPHORIC SCENARIOS] .

ونحاول أن نرى فى إطارها منطلقات السعى المطلوب فى إطار رحم تفاعلات مصر والعرب والعالم . وهذه السيناريوهات الحاضنة الاستعارية هى التى تمت صياغتها فى جنوب أفريقيا وسُميت بسيناريوهات «مونت فلير» ؛ إشارة للمكان الذى شهد فى جنوب أفريقياً مشهداً مهماً من مشاهد التدخل العلمى الجماعى لحل

معضلات وأزمات عاصفة فى تاريخ دولة جنوب أفريقيا ... فلم ينقذها سوى ذلك الحشد العلمى من هذه الدولة ؛ حيث كانت تجرى بينهم مداولات علمية بخصوص الحجج الأساسية التى ينبغى أن تنبنى عليها سيناريوهات مستقبل البلاد وتحركاتها فكان مدخل كل سيناريو عدد كبير جداً من الحجج ليتم تفنيدها بكل أبعادها ثم استخلاص سيناريو يستند إلى أصح الحجج التى يمكن الاعتماد عليها علمياً وعملياً على صعيدى التبنى والممارسة ، وفى خضم هذه العملية التعصيفية للأفكار بين نخبة من أفضل خبراء جنوب أفريقيا فى كافة القطاعات المطلوب أن تتفاعل مع الأزمات وتديرها وتستبقها وتمنع المزيد منها ؛ فى خضم هذا المناخ كان يحكم على كل سيناريو بمسمى استعارى يصفه ويصف ما به من خلل حتى تم الوصول إلى أفضل سيناريو محكم علمياً (قدر طاقة البشر التى هى دائماً لها حدودها وخاصة فيما يتعلق بفكرة التدخل الإيجابى فى المساحة المسموحة فى إطار القدرات التى أعطاها الله لخلقه من البشر) ...

من هنا نرصد مسميات هذه السيناريوهات الأربع وهى :

(١) سيناريو *النعامة* (OSTRICH)

وكان يقول عنه خبراء جنوب أفريقيا وطبقاً للحلول التى كانت تعرض عليهم لتقييمها يتمثل فيما يلى :

«تلك الحكومة أو الأطراف التى لا تريد أن تواجه الحقائق . فمن المفترض أن النعامة تضع رأسها فى الرمال عندما يتهددها الخطر ، فالنعامة لا تحب أن ترى ، ولا يمكنها أن تطير لتنطلق فى السماء وترى الصورة من أعلى ... والنعامة تضطر فى النهاية أن ترفع رأسها من الرمال ..» .

(٢) سيناريو *البطة العرجاء* (THE LAME DUCK)

أما السيناريو الثانى الذى وصفه خبراء جنوب أفريقيا فكان يتمثل فى محاولة تبنى الحكومة لفترة انتقالية ممتدة للعقد القادم لإدارة الأمور .. وفند الخبراء ذلك السيناريو بقولهم – بغض النظر عن التفاصيل الدقيقة الخاصة بأوضاع جنوب أفريقيا حينذاك – أن مثل هذا السيناريو يتمثل فى صورة «البطة العرجاء» .. وهى صورة ذلك الطائر (البطة) ذى الجناح المكسور وبالتالى مهما حاول من مجهود ومهما كان له من إصرار إلا أنه لا يمكن لهذا الطائر أن يطير نهائياً فينطلق فى السماء ، وكما أنه كونه مصاباً يشير إلى أن لمثل هذا الطائر مصير غامض وغاية فى السلبية من المنظور المستقبلى .

(٣) سيناريو ايكاروس (ICARUS)

وايكاروس هو طائر على شكل إنسان فى الأساطير الأغريقية القديمة وهو طائر لا يقوى على الطيران طويلاً ثم يسقط ويتحطم بعد اقلاعه .. وقصته طويلة ولكنها قصة ايكاروس الذى هرب من الاضطهاد بصنع جناحين كبيرين وحذره والده من عدم الطيران قرب الشمس وكان يمكنه الطيران المؤقت السريع حتى ينجو ويهرب من موقع الظلم الذى كان يعانى منه ، ولكنه انتش من حرية ومتعة الطيران .. فأخذ يطير أعلى وأعلى ولم يراع إمكانياته ولم يلحظ أن أجنحته لا تقوى على الطيران فى ارتفاعات عالية ، فسقط وتحطم .. » وهذه الصورة مناسبة لوصف أى سيناريو لا يراعى الفاعل فى إطاره حدود أو محدودية طاقاته أو إمكانياته أو ينطلق من وضع لا يسمح إلا بالإنطلاقة لفترة قصيرة ومهمة محدودة .. ويعتمد على هذه الإمكانية فى القيام بمهمة أكثر ما تتحمله إمكانياته والمثل الإنجليزى الذى يقال هنا فى إطار هذا السيناريو هو : [FLY NOW CRASH LATER] [أى فليكن لك أن تطير الآن ... ولكنك ستسقط بعد قليل !]

(٤) سيناريو طيران الفليمنجو (The Flight of The Flemingo)

ومن المعروف أن طائر الفليمنجو يقلع ببطء ولكنه يصل إلى ارتفاعات عالية للغاية ، كما أنه لا يطير وحيداً عادة ، إنما يطير فى إطار سرب كبير ومن المعروف علمياً أن طيران السرب الكبير يقلل من مقاومة الهواء للطائر وبالتالى يقلل من إهدار طاقاته .

ومتى توفرت الحجج القومية من كافة الجوانب فى صياغة السيناريو وتفعيله وضعفت فرص الخلل المتوقع بها كلما امكن تسمية أو وصف مثل هذا السيناريو بوصف«الفليمنجو» .

مما سبق أقول بأننا لابد وحينما نتحدث عن الدور المصرى وفى إطار التحديات الصعبة التى اشرنا إلى أهمها والتى نواجهها اليوم وغداً فإن علينا استنهاض ذلك المناخ العلمى فى إطار المشروع المصرى المفترض لاستشراف وتفعيل الدور المصرى وهو الأمر الذى يحتاج منا إلى إحداث إجماع نخبوى مصحوباً بطاقات أكبر للتفعيل كالذى حدث فى إدارة سيناريوهات جنوب أفريقيا – بعيداً عن روح الفردية والجزر المنعزلة والاقصاء السلبى بأنواعه والتى لن تخدم غرضاً أو تحقق هدفاً حقيقياً ... وعلينا فى هذا الإطار أن نستهدف سيناريو معيارى يتعلق بأهم ملامح الدور المصرى على الأصعدة المختلفة يتحقق به «سيناريو طيران الفليمنجو» لنا وللآخرين فى هذا العالم بعيداً عن السيناريوهات الثلاثة الأخرى التى تتسم بالخلل والتى رصدناها

اعلاه ... وما هذه الدراسة وغيرها مما كتبت لا تشكل سوى «إحدى المدخلات» التى ينبغى أن يتبعها مدخلات أخرى ومدخلات الخبراء والعلماء المصريين لتشكل جميعها قاعدة بيانات يتم تقطيرها وتكريرها لاستخلاص اقوى الحجج وإحداث الاجماع عليها والسعى للتفعيل الأقصى لها ...

هذا والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان مع الدعاء بأن يوفق الله قادة هذه الأمة ويوفق كل الجهود المخلصة أنه السميع المجيب »

تمت بحمد الله تعالى .

obeikandl.com